

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture,Tourism and Antiquities \ IRAQ

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقّحة في ستة أجزاء

الجزء 3

دِيوَانُ الجَوَاهِرِيّ

الجزء الثالث

ديوان الجواهري
طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء
الجزء الثالث
تأليف: محمد مهدي الجواهري
موضوع الكتاب: شعر
بغداد – 2021

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

عدد الصفحات: 464 صفحة
الحجم: 17 × 24 cm
الرقم الدولي: ISBN 978-9922-641-23-2
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 2874 لسنة 2020



وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة
العنوان: بغداد – الأعظمية – حي تونس – آفاق عربية
البريد الالكتروني: info@darculture.com
الموقع الالكتروني: www.darculture.com

محمد مهدي الجواهري



طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء

الجزء الثالث

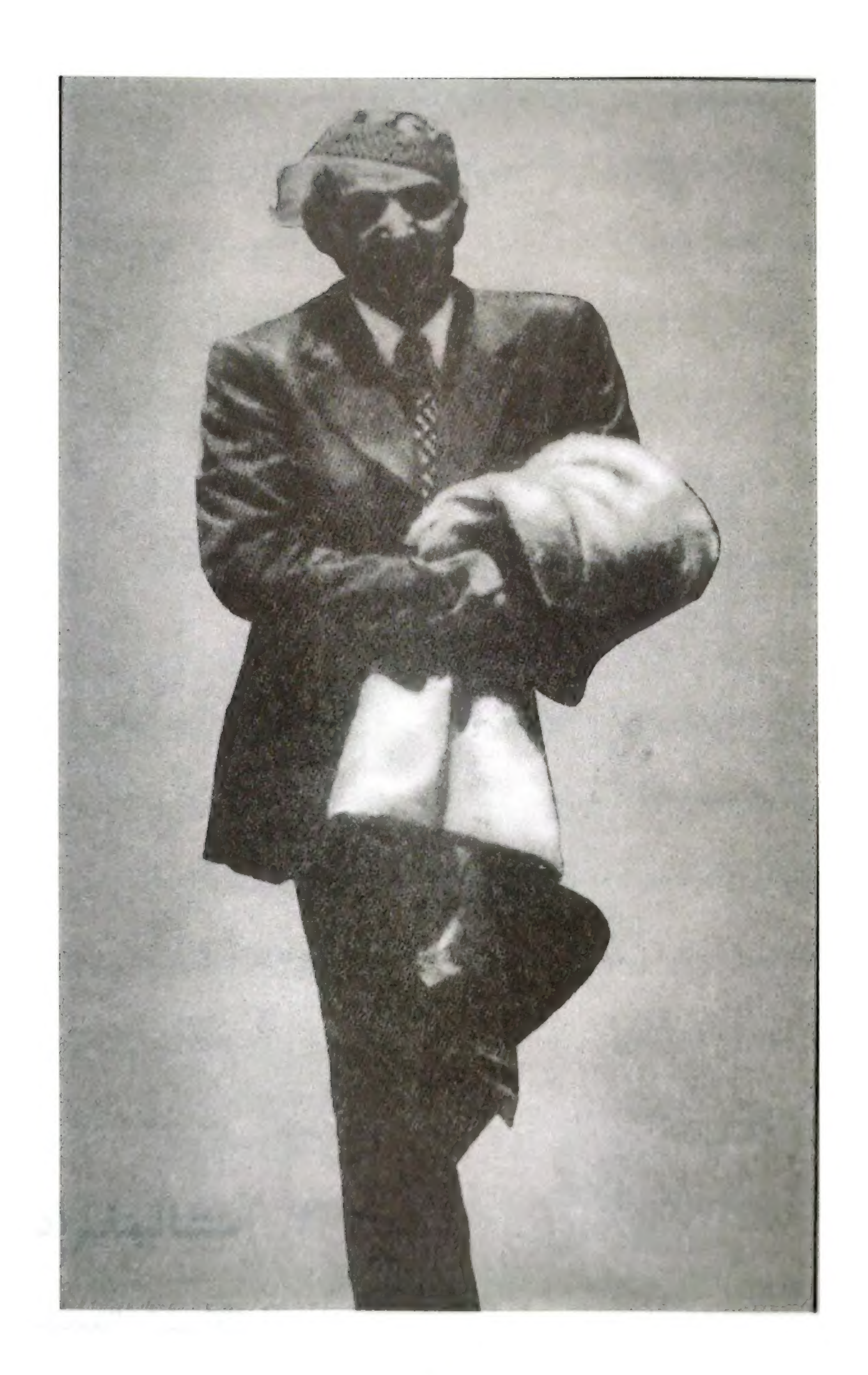
لجنة مراجعة الديوان

د. حسن ناظم

د. سعيد عدنان | د. سعيد الزبيدي

د. نادية العزاوي | د. رهبة أسودي حسين

بغداد - 2021



ستالينغراد

(الانتصار المجيد)

نَفَضَتِ الرُّوحَ وهزَّتها لـواء وكسَته واكتستْ منه الدماء

واستمدتْ من إلـه الحَقلِ والبيتِ والمصنعِ عَزماً ومَضاء

رَمتِ الزرعَ بعينٍ أثلجَ الدَمعُ فيها ضرمَ الحِقد اجتواء

أعجلتْ عنهُ فآلت قَسَماً أن ستسقيهِ دمَ الأعداءِ ماء

ومشت في زحمةِ الموتِ على قدَمٍ لم تخشَ مَيْلاً والتواء

أقسمتْ باسم عظيمٍ كرُمت باسمِه أنْ لا تُهين العظماء

* * *

يا "ستالينُ" وما أعظمها في التهجّي أحرُفاً تأبى الهجاء

أحرفٌ يستمطرُ الكونُ بها انعتاقاً و ازدهاراً و إخاء

خالقُ الأمَّةِ لم يمننْ ولم يبغِ - لولا أرَجُ الزهر - ثناء

وزعيمٌ شعَّ فيمنْ حولَه قبسٌ منه فكانوا الزعماء

زرَّ بُرديهِ على ذي مِرَّةٍ فاض إشفاقاً وبأساً وعناء[1]

مسّه الظلمُ فعادى أهلَه وامترى البؤسَ فَحَبَّ البؤساء

وانبرى كالغيمِ في مُصْحِرَةٍ فسقى دهراً، وأحيا، وأفاء

---

[1] المِرّة: القوة.

***

بــوركَ البــاني وعاشــت أمــةٌ		وفَّـــتِ البـــاني حُقوقـــاً والبنـــاء

قيــل للعــيشِ ففاضــت أُمنــاء		وإلى المــوتِ ففاضـــتْ شـــهداء

ومشــى التــاريخُ مــوزونَ الخُطــى		مــا انحنــى ذُلاً ولا ضــجَّ ادّعــاء

هــذه التربــةُ لا مــا سُــمِّيت		وطنــاً يُنبــتُ جوعــاً وعــراء

وهــي ذي الحُفــرَةُ إذ طــارت عَجاجــاً ألــفُ نفــسٍ معهــا طــارت فــداء

وهــو ذا العِــرضُ فهــل تبغــي وُقــاةً مــثلَهم، أو مثــلَ ذا تبغــي وَقــاء

***

قــفْ عــلى "القَفْقــاس" وانظــر موكــبَ المجــدِ والعــزَّةِ يمشــي خُــيَلاء

وســلِ (القــوزاقَ) هــل كــان دمــاً		لمعــانُ الســيفِ أم كــان طــلاء

وجــدَ الغــادرُ مــن قَســوتها		مــا رأى مــن جُثَــثِ القــتلى عنــاء[1]

نفخــت مــن وَدَجَيْهــا أن رأتْ		مُمْتطَــى فارِســها أمْــس خَــلاء[2]

فهــي والغــيظُ مَــرى أشــداقَها		تَعــرِكُ اللُّجــمَ وتجــترُّ الغُثــاء[3]

واحتواهــا رهَــجُ الحــربِ فــما		تُبصِــرُ الأرضَ عُتُــواً وازدهــاء

مــن عــلى صــهوتِها يمنحُهــا		شرفَ "الفــارسِ" عزمــاً وفَتــاء

---

[1] العتاق: جمع عتيق، الفرس النجيب.

[2] الودجان: عرقان في العنق.

[3] مرى: من مرى الضرع، أي احتلبه واستدرَّه.

***

يـا عـروسَ "الفُلـغِ" والفلغـا دمٌ　　　سـاءت البلـوى فأحسـنت الـبلاء

صُـبغَ "الـدونُ" دمَـاءينِ هُمـا　　　بُعـدُ بـين الـرجسِ والطهـرِ التقـاء

و جـــرت أمواجـــهُ حاملـــةً　　　فوقهـا الضـدّينِ صـبحاً ومسـاء

وعـلى الجُـرفين "عظـمان" همـا　　　رمـزُ عهـدَيْنِ انحطاطـاً وارتقـاء

يـا ابنـةَ النهـرين دومـي شَـبَحاً　　　لقـــويٍّ وضـــعيفٍ يُـــتراءى

للمُهينـــينَ عِقابـــاً و جَـــزاء　　　و المُهـــانينَ انتفاضـــاً وإبـــاء

كنـتِ أسـمى مَـثَلاً مـن ظَفَـرٍ　　　لم تَلِـدهُ خطـطُ الحـرب دهـاء

غُلِـبَ الغالـبُ فيـه وانثنـى الطـوقُ - كالحبـل - عـلى الطـوق انثنـاء

كنـتِ رمـزاً أَلْهَـمَ الجيـلَ الفـداء　　　وهَدى الأعقـابَ مـا شـاءت وشـاء

***

حسِـبوا أمـرَكِ مـا قـد عُـودِّوا　　　صَـعقَ الحـربِ اتقـاداً وانطفـاء

وابتـــداءً مـــن حديـــدٍ ودمٍ　　　يُمهَـرُ الفـتحُ بـه ثـم انتهـاء

واستجاشـوا فيلـقَ المـوتِ عـلى　　　ظمـإٍ للـدم منّـوه ارتـواء

ومضـــوا فـــيما أرادوا خُطـــوةً　　　أوشـكَ اليـأسُ بهـا يمحـو الرجـاء

أوجـفَ الغـربُ عـلى وطأتِهـا وأمالـت كلكـلَ الشـرقِ فنـاء[1]

وتلـوَّتْ جـيرةٌ طمّاحـةٌ أفنـاءً تتلَقـى أم بقـاء؟

حملـت حاضرَهـا واثقـةً أنَّ في مسـتقبلٍ آتٍ عـزاء

وانـبرى التـاريخُ في حَيْرَتِـهِ أأمامـاً يتخطّـى أم وراء

وسرت أنبـاءُ سُـوءٍ تَـدَّعي أنَّ ريحـاً تُنـذر الـدنيا وبـاء

حُلُـمٌ حلـوٌ مُـرٌّ مـؤنسٌ مُـوحشٌ سرَّ بـما جـاء وسـاء

طـافَ بـالكونِ فـأغفَى أهلُـه تعسـاءً و أفـاقوا سـعداء

* * *

فـإذا العِـزّةُ في عَليائهـا تتضـرّى فتـدوسُ الكبريـاء

وإذا الأنقـاضُ في كُربتِهـا تُفْعِـمُ المكـروبَ كـالرَّوض شـذاء

وإذا المُـنقَضُّ مـن أحجارهـا لمـحَ الـنجمَ تعـالى فأضـاء

وإذا الطـاغوتُ في أعراسـه يمـلأُ الـدنيا نحيبـاً وبكـاء

أنـتِ أمليـتِ عـلى تاريخـه طافحـاً بـالكِبر ذلّاً واختـذاء

ومحـوتِ العُجْـبَ مـن أسـطاره ومـلأتِ الصَّـلَفَ المحـضَ ازدراء

وصـفعتِ الـدَّنَّ في يافوخِـهِ صـفعةً لم تُبـقِ خمـراً وانتشـاء

---

[1] وجف: اضطرب.

حسـبُ مـن ضـاقت ثنايـاكِ بـه أنَّـه يبغـي – فـلا يقـوى – النَّجـاء

وكفـى المُحتـلَّ هَوْنـاً أن يُـرى الآسرون الغُلـبُ منـه أُسَراء

نحنُ أهلَ الأرض لـو نقْـوى وفـاء لرفعنـاكِ عـلى الأرضِ سـماء

لجعلنـا كـلَّ عـينٍ – مـثلما كـلُّ قلـبٍ – تـتملاّكِ اجـتلاء

***

نِعْـمَ مـا أسـدَتْ يـدٌ آثمـةٌ كشـفت عـن وجهـكِ الحُرِّ غطـاء

عاصـفٌ مـرَّ فجـلّى وانجـلى بـدت الشـمسُ بـه أبهـى سـناء

وضُـحَ الحـقُّ الـذي طـال خَفـاء وتـولى زبَـدُ الكِـذبِ جُفـاء

وحّـدَ العـدلُ شـعوباً خُلطـاء عَمـروا الأرضَ وعاشـوا خُلَصـاء

وجـدوا في تُربـةٍ تجمعُهـمْ كـلَّ مـا يُطلـبُ في الخُلْـدِ اشـتهاء

ورأوا في السّـلمِ دَينـاً يُقتضـى ورأوا في الحـربِ للـدَّينِ اقتضـاء

أترجّـي – أن تنجـي وطنـاً مـن يـد المـوت – جنـوداً فقـراء

إنَّ للحـربِ رجـالاً ليـتَهُمْ خبّرونـا أنَّ للحـربِ نسـاء

وغيـوراتٍ أبـى تاريخُهـا أن تُـرى دون الغيـورينَ غَنـاء

زانهـا الطهـرُ رُواء وارتمـتْ في مُثـار النقـعِ فـازدادت رُواء

ذادتِ الأمُّ عـن البيـتِ وَقـاء وارتمـى الطفـلُ عـلى الأمّ افتـداء

وتعــزّت حــين أخلــت طُنُفــاً ... لم تصُــنْه، أنهــا صــانت فِنــاء[1]

"أمَّ غـوركي" ليـت عنـدي وحيَـه ... لأوفي (بنتَــك) اليــومَ الثنــاء

لــو يعــود اليــومَ حيّــاً لــرأى ... مثلَهــا ألفــاً تهــزُّ البُلَغــاء

بــل ولــولا أن غــوركي أمُّــهُ ... مثــلُ هــذي لم يبــزَّ النبغــاء

***

يا "تولستوي" ولم تـذهبْ سُـدىً ... ثــورةُ الفكــر ولا طــارت هَبــاء

يــا ثَرِيّــاً وهــبَ النــاسَ الثـراء ... قُــمْ تــرَ النــاسَ جميعــاً أثريــاء

قُــمْ تَجِــدْهم مــالِكي غَلَّــتهمْ ... مــن عــلى عهـدِك كـانوا الأجـراء

هكــذا (الفكــرةُ) تزكــو ثمــراً ... إن زكــتْ غرســاً، وإن طابـت نَـماء

***

قــد محصــتَ القــولَ حقــاً وادّعــاء ... كلِــمٌ يخــترقُ الســمعَ ســواء

ووجــدتَ النــاسَ مــن جهلِهــمُ ... لا يَميــزون ثُغــاءً ورُغــاء[2]

اســتُغلوا فهُــمُ مــن يأسِــهمْ ... لا يكــادون يَعــونَ الأنبيــاء

فحملــت "البعــثَ" بــاليُمنى لهــم ... وعــلى اليُســرى هنــاءً ورخــاء

---

[1] الطنف: افريز الحائط أو ما أشرف من البناء خارجاً.

[2] الثغاء: صوت الشاة والرغاء للإبل.

وشـجبتَ الرفـقَ والرحمـةَ مـن نفـرٍ ليسـوا بحـقٍّ رُحَمـاء

ينشُـدون النـاسَ أحـراراً وهـم مـلأوا البيـتَ عبيـداً وإمـاء

وكَسَـوْا كلـبَهُمُ الخـزَّ ومِـنْ حـولِهِمْ يلتحـفُ الجمـعُ العـراء

ووجـدت الـذئبَ في حالاتـهِ رُبَّـما رافـقَ مِعـزاةً وشـاء[1]

قد يكون الكـذبُ مفضـوحاً هُـراء ويكـون الصـدقُ مدسوسـاً وبـاء

ويكـون الحـقُّ – مـا بيـنَهما – بـاطلاً، والطـالحونَ الصُـلحاء

***

يـا ابنـةَ "النهـرين" هـذا نَسَـبٌ مـن ولاءٍ لـو تقبَّلـتِ الـولاء

بَعُـدَ المَرْمـى بـما استهدفتِهِ واحتـذى السـهمُ فقصَّـرتِ عيـاء

وارتمـى الحِـسُّ على الحسِّ فـما يسـتطيعُ اللفـظُ للـوعي أداء

ومـن الظُلْـمِ – الـذي تأبَيْنَـه – أن تسـومي المُعجـزاتِ الشـعراء[2]

عاطفـاتٌ حُـوَّمٌ عاجـت عـلى أبحُـرِ الشـعر فردَّتهـا ظـماء

وهـي مـا كانـت لتُـدلي سـبباً لـك، لـولا أنَّهـا كانـت بَـراء

---

[1] الشاء: جمع شاة.

[2] المعجزات: ما يعجز.

لم تُثِرْهـــا نـــزوةُ الــــنفسِ، ولم يَزهِهـا العُجْــبُ ولم تنــبِضْ ريــاء
جُـــلَّ مـــا يُســعِفُني الشــعرُ بــه أن يلبِّــي "الفــمُ" للقلــبِ نــداء

بغداد، عام ١٩٤٣

يوم الجيش الأحمر

(في عيد تأسيسه)

بلادٌ مُفَدَّاةٌ وجيشٌ مُظَفَّرُ ... وقائدُ جيشٍ في البلاد مُوقَّرُ

وفتحٌ مُبينٌ يَقْصُرُ الشعرُ دونَهُ ... ولَلنَثرُ عمّا يُعجز الشعرَ أقصر

وحُرّاسُ حقٍّ يرقبُ الكونُ كلُّه ... مَصيراً على أيديهم يتقرَّر

إذا خَطَروا فالبيضُ تنطفُ بالدِّما ... تحيّي خُطاهم والجماجمُ تنشر

وذكرى كأن الدهرَ في جَرَيانه ... يقاسُ بها، والشمسَ منها تَنَوَّر

"ستالينُ" يا لحنَ التخيُّلِ والمُنى ... تُغنِّيه أجيالٌ، وترويه أعصُر

ويا كوكباً في عالَمٍ غُمَّ جوُّهُ ... بلألائه يَسترشِدُ المتحيّر

أرِدْ خُطةً تَقْدِرْ وتَنْجَحْ فإنَّنا ... عَرَفناكَ تُمضي ما تُريد وتَقْدِر

كأنَّ بناتِ الفكرِ في كُل خُطةٍ ... تَخُطُّ، ورأيٍ عبقريٍّ تُدبِّر

حظايا تُرجِّي نظرةً منك أيَّها ... تُريدُ، وأيّاً تنتقي وتَخَيَّر

بغداد، عام ١٩٤٣

عـالم الغـد

عـــالَمَ الغَــدِ: يـــا رهـــينَ ضَـــباب

مـــــن دُخـــانٍ ونَفْثَـــةٍ وتُـــراب

وعَجـــاج مــــن المغـــاني الخَـــراب

تحــــتَ أنْقاضِـــــها وُجـــوهٌ كـــوابي

مـــــن شُـــيوخٍ وصِـــبْيبةٍ وكَعَـــاب

هي إذْ حَشْرَجَتْ ورقَّتْ وَجيبـا

أَوْدَعَـتْ في الـترابِ سِراً رهيبـا

وخيـالاً للمُلْهَمـينَ خصـيبا

أمسِ هـذا الضـبابُ كـان قُلوبـا

نابضــــاتٍ بنافحـــاتِ الشـــباب

وهِبَـــاتٍ مــــن الأمـــاني العِـــذاب

وَهْـــي للكـــونِ بَعْـــدُ سَـــوْطُ عـــذاب

بِجَنـــــاحِ المـــــروَّعِ المرتـــــاب

حلَّقَـــتْ كالسَّـــحابِ فـــوقَ الســـحاب

تَمْنَحُ الشّمسَ جَـذوةً واشـتعالا

وَمَشَـتْ في الثـرى تَهُـزُّ الجبـالا

يمـلأ الأرضَ غيْضـها زلـزالا

يتحـــدّى بثقلِـــه الأثقـــالا

فتُقيـــل الطغـــاةَ والأَقيـــالا

والمهازيـــلَ في الحريـــرِ كســـالى

عَثَـــراتٍ تُعرقـــلُ الأجيـــالا

وبعوضـاً عـلى الـدّماءِ عِيـالا

تتهـــــزّى مــــن مـــــاجنٍ لَعّـــابِ

يتلهـــــــى بكأسِـــــــه والشَّـــراب

ســـــاقطٍ فـــوقَ غــــيرِهِ كالـــــذباب

ذاهــــلٍ عــــن دنُـــوّ يــــومِ الحســــاب

عَصَـــــفَتْ بــــالرؤوسِ والأذْنـــــاب

مــــن عبيــــدٍ وســــادةٍ أربــــاب

ثـــمَّ قالـــت وأنفـــذت كالشـــهاب

قـــال – بـــالرّجمِ – وهـــو فصـــل الخطـــاب

أتُـــراني مطـــرودةً مــــن إهـــابي

واللطـــافِ الخُلصـــانِ مــــن أحبـــابي

ومَقَـرّي في وارفـاتِ الظِّـلالِ

خافقـــاتٍ: برقَّـــةٍ ودلال

والنمـيرِ المرَقْـرَقِ السَّلْسـال

والطيـوفِ المعرِّسـاتِ حِيـالي

والأحاديثِ ذوبَ سِحْرٍ حَلال

والأمـــانيّ مثـــلَ زَهْـــرِ الـــرّوابي

بالصِّـــبا تَسْـــتَجِمُّ لا بالتّصـــابي

أتُـــراني اطَّرَحْـــتُ مـــالي ومـــا بي

ضَـــلَّةً في مســـالكي كالســـراب

ومهـاوي تشـرُّدٍ واغـتراب

أتُراني أصبحت محْضَ خَيـالِ

وبيـــانٍ عـــن فكـــرةٍ ومِثـــال

لأنمّـــي هـــذي الوجـــوهَ القِباحـــا

تُنـــذِرُ الكـــونَ كالوبـــاءِ اجتياحـــا

وأصـــونَ الإقطـــاعَ والأرباحـــا

ولأســـقي هـــذا الـــزنيمَ الوَقاحـــا

مـن دم العامـل الملـيء جراحـا
ولأبقـي الأجـيرَ والفلاحـا
والنفـوسَ التـي تَفـيضُ صـلاحا
والـذكاءَ المنـوَّرَ الوضَّـاحا

رهـنَ ذُلٍّ وخِيفـةٍ وارتيـاب
وأُسـارى مُقـامِرٍ ومُـرابي
وصريـحٍ في لؤمِـه ومُحـابي
وقـوانينَ لمْ تَجـىءْ بكتـاب
مـن سماءِ الأخـلاقِ والآداب

غـيرَ مـا سـنَّ مُجرمـون وَقـاحُ
شَرَعـوا الظلـمَ سُـنَّةً وارتـاحوا
وجَـرَتْ – وَفْـقَ مـا أرادوا – الريـاحُ
فـإذا العَـيْشُ سُـبَّةٌ واجـتراح
وجهـودُ الأفـرادِ نَهـبٌ مُبـاح

وهنـاءٌ مفـتَّحُ الأبـوابِ
للنّفايات مـن وحـوشِ الغـاب

يلعَقونَ الـدِّماءَ مثـلَ الكـلاب

عنـــــدهم مــــــن مُشَــــرَّعٍ مفتـــــاحُ

بـــــينَ حَدَّيْـــــهِ غِلْظَـــــةٌ وسَـــــماح

ومســـــــاءٌ في جوفِـــــهِ وصـــــــباح

و انقيــــــــادٌ لثُلَّـــــــةٍ وجِمـــــــاح

عــن ملايــينَ مُـدقعينَ عُـراةِ

وجيـاعٍ غرثـى مِـراضٍ حُفـاة

و حَيــارى مشـرَّدين غُـــواة

نقلــوا مــن دِمــائِهم للسـراةِ

وتخَلَّـوا عــن حقِّهـم في الحيـاة

لبقــاءِ العنــاصرِ المُنتَقــاة

تتهــاداهُمُ أكُــفُّ الجُبــاة

كـلُّ مســتنزَف الـدِّما كـالنواة

مُـزْدَراةٍ عـلى الثَّـرى مُلقـاة

كــــلُّ ألــــفٍ مــــنهم بِعِلْـــجٍ ســـمينِ

نــــاتىءِ الأخْــــدَعَيْنِ ضـــخْمِ الــــوتينِ[1]

فــــتراهم مـــــن حُرقَــــةٍ وشــــجونِ

وخنــــوعٍ بــــادٍ، وحقـــــدٍ دفـــــينِ

و تمـــادي أوامـــرٍ ونـــواهي

وتـــردٍّ في مُهْلِكـــاتٍ دواهـــي

تَـــرَكَ الـــذلُّ مـــنهُمُ في الجِبـــاه

و أخاديــــدَ أعـــينٍ وشِـــفاه

ومجــــاري الــــدّموعِ والبَسَــــماتِ

وخطــــوطِ الوجـــوهِ والقَسَــــمات

طابَعــــاً في الخلــــودِ كــــالنيّرات

هـــو في الأرض مَكْمَــــنُ الجَمَــــرات

ومثــــارُ العواطـــــفِ الخَطِــــرات

قــد علمنــا بمنطــقِ الحَــدَثانِ

وبــدرسٍ مــن "الحكـيم" الزمـان

بـــدمٍ خُـــطَّ في سُـــطورِ كتـــابِ

---

[1] الأخدع: شعبة من الوريد. الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

لنظـــــامٍ مهـــــيمنٍ غـــــلاّب

مُشـــــتَتَمِّ الفُصـــــول والأَبـــــواب

مـــــن نِتـــاجِ الأَجيـــال والأَحقـــاب

وضـــــحايا الأَشراطِ والحُجَّـــــاب

لم تُعَـــــوَّقْ خُطـــــاه بالإرهـــــاب

وفُنُـــــونِ الإجـــــرامِ والارْتكـــــاب

وأســـــاليبَ مغريـــــاتٍ كِـــــذاب

مـــــن ثـــــوابٍ مســـــتهجَنٍ وعِقـــــاب

وبـــما كـــان مـــن قـــديمٍ وكانـــا

مـــن حـــديثٍ، تســـمُّعاً وعِيانـــا

مـــن جـــوعٍ هلكـــى تشُـــلُّ كيانـــا

ركّـــزوا في أساســـهِ الطغيانـــا

وطَلَـــوْا بالعَدالـــةِ الجُـــدرانا

رافعـــاتٍ مـــن فوقِـــه بنيانـــا

للـــذي تســـتطيعُهُ عُنوانـــا

إنّ هـــذا النِّضـــوَ الـــذَّليلَ المُهانـــا

الـذي فـاض نِقمـةً واحتِقانـا
وتغـاضى عـن الأذى أزمانـا
يَحمِـلُ القلـبَ نابضـاً والهوانـا
والشـعورَ المُمِـضَّ والحِرمانـا
والـذي ظنّـه الجَبـانُ جَبانـا

لم يكـن مثـلَ مـا أرادوا وخـالوا
بـل هِزَبْـراً إذا اسـتقامَ مَجـالُ

و عَصـوفاً مُـدمِّراً مِرنانـا
وخِضَـمّاً إذا انْـبَرى طُوفانـا
وجحـيماً إذا طغـى بركانـا
يقـذف الغـيظَ جوفُـه نيرانـا
لا عتابـاً ورقـةً وحنانـا

لم نعـوّد لِصـق الـتراب العتابـا
غـير مـا كـان زجـرةً وسُـبابا
و امتهانـاً وإمـرةً وعقابـا

و شـحنّا آدابَنـا واللغـاتِ

بـــاختلاف الحـــروفِ واللهجــات

بنُعـــــوتٍ فيّاضــــةٍ وصـــــفات

مجحفـــــاتٍ بحقّـــه مزريــــات

لائقـــــاتٍ بهـــــذه النكــــرات

مـــن "ســـوادٍ" و"سُـــوقةٍ" وطَغــامِ

ورُعــــــاعٍ تُســــــاقُ كالأنعــــامِ

ووضـــــعناهُ في أحــــطّ مقــــامِ

و حرمنــــــاهُ لـــــذة الاحـــــترامِ

واجتنبنـــــاه كاجتنــــابِ الجُــــذامِ

وســــلبناهُ مـــا لَـــه مـــن حطـــامِ

و رَكَلْنــــــاه، بعـــــدُ، بالأقـــــدامِ

لم نغــــادرْ عليـــــه حتـــــى الثيابـــــا

و شرِبنــــــا دمــــــاءَه أكوابـــــــا

طافحــــاتٍ تَعاســـــةً واكتئابــــا

و سرقنــــا رغيفَــــــهُ والطعامــــا

ومنعنـــــاه مَضْـــــجَعاً ومَقامـــــاً

ثـــم جئنـــــاهُ مجــــرمينَ لئامـــــا

نترضّـــــاه محســـــنين كرامـــــا

رافعـــــينَ الــــرؤوسَ والأعلامـــــا

مُشـــــهدين الأجيـــالَ والأيّامـــــا

والطـــــروسَ الضِـــخامَ والأَقلامـــــا

ورجـــالَ الصِـــحافةِ الأَحـــرارا

وشـــــيوخَ المنـــــابرِ الأَخيـــارا

ودعـــــاةَ التحريـــــرِ والتفكـــــير

مـــــن أديـــــبٍ وشـــاعرٍ نِحْريـــــر

وعـــلى كـــلّ موجـــةٍ في الأثــــير

إننـــا مـــوسرون نرعـــى ذِمامـــا

ونُــــواسي الضـــعافَ والأيتامـــا

ونُعـــزّي أرامـــــلاً وأيـــامى

مُـــؤثرينَ الجيـــاعَ بالفَضَـــلاتِ

ونفايـــا موائـــــدِ ضَـــحِلات

غَرِقـــاتٍ بـــــأدمُعٍ هَطِـــلات

مـــن عيـــونٍ نديّـــةٍ خَضِـــلات

وبفـــيض مـــن مُقـــذِعِ التشـــهيرِ

ومثـــيرِ الإذلالِ والتحقـــير

لفقـــير! وعائـــذٍ مســـتجير!

وفقـــيرٍ لمـــن؟ للـــصٍّ خطـــير

مســـتجيرٍ بمـــن؟ بشـــرٍّ مُجـــير

يـــا نظـــامَ الإحســـان والصـــدقاتِ

واقتطـــاع الأجـــراء والنفقـــات

مـــن حســـابِ الأســـلاب والسَّـرِقات

واحتضـــانِ اللقـــيطِ في الطُّرُقـــات

واحتيـــالِ القـــانونِ للطبقـــات

موبقـــاتٍ تُـــرَمُّ بالموبقـــات[1]

يربـــأ الكـــون واثبـــاً مقـــداما

ماشـــياً – والأنـــوف رغـــمٌ – أمامـــا

غازيـــاً نـــورُهُ العقـــول اقتحامـــا

---

[1] رمّ: أصلح.

تاركـــاً خلفَـــهُ – الريـــاءَ – حُطامـــا

أن تـــرى أنـــت للشـــعوبِ نظامـــا

أيُّهـــــا المســـــتمنُّ بـــــالتّلطيف

مُسْـــــتَرقّاً بكِسْـــرَةٍ مـــــن رَغيـــف

لا تقيــــهِ أثــــارةٌ مــــن جــــوع

وبكــــوخ في ظــــلّ قصــرٍ مُنيــــف

يتمنّـــى انعكـــاسَ ضـــوءِ الشُّـــموع

وســـميلٍ مـــن الثيـــاب شـــفيف

يَسْـــتُرُ العَـــوْرَتَينْ بـــالترقيع

وحوالَيـــه مـــن نِتـــاجِ الصـــروف!

مـــن ذويـــه "الأوبـــاش" أيّ قطيـــع

عجبـاً! هـل علمـت؟ مـن ذا تكـونُ؟

أنـــت يـــا مـــن تركّـــزَ التكـــوينُ

فـــوق متنيـــك، والوجـــودُ الثمـــينُ

آه لـــو زايلتْـــكَ هـــذي الظنـــونُ

شـــاءها الخـــوفُ والنظـــامُ المهـــين

وتجـــلّى لـــك العيـــانُ اليقـــين

والمكـــانُ الـــذي تحـــلّ المكـــين

وبـــأيّ الهِبـــاتِ أنـــت قمـــين

آه لـــو كنـــتَ عالمـــاً مـــا يحـــين

لـــو تأبّيـــتَ أن تجـــوبَ القِفـــارا

و تـــرودَ البحـــورَ والأنهـــارا

وتـــدكَّ الصـــخورَ والأحجـــارا

وتَشـــيدَ القِـــلاعَ والأســـوارا

باعثـــاً ميّـــتَ الـــتُّرابِ نُضـــارا

و زروعـــاً فَيْنانـــةٌ وثـــمارا

و ســـلاحاً وزينـــةٌ ودِثـــارا

لـــو تحاشـــيتَ أن تقـــيمَ مطـــارا

أو تهيِّـــىء دبابـــةً وقِطـــارا

أو ترفَّعـــت أن تُـــذيبَ الحديـــدا

و تُزَجّـــي فيالقـــاً وجُنـــودا

و تُعَـــلّي معـــابراً وســـدودا

وتُصَـــفّي ســـبائكاً ونقـــودا

وتســـوّي جـــواهراً وعقـــودا

وكُبـــولاً بجنبِهـــا وقُيـــودا

كُـفَّ يومـاً عـن أن تكـونَ أسـيرا

للـــذي أنـــت "ربُّـــهُ" مـــأجورا

لـــترى هـــل تكـــونُ إلا أمـــيرا

وبشـــيراً إلى الـــورى ونـــذيرا؟

ذُقْ كـما شـئتَ يومـذاك الخمـورا

وتخـــيَّرْ كـــما تريـــدُ القصـــورا

ثـم جـاوِزْ "مخلَّـدِينَ" و "حُـورا"

واســحب الخَــزَّ نــاعماً والحريــرا

واســقِ أَطفالَــكَ الظِــماءَ العصــيرا

مـــن مِـــزاجِ التّفـــاحِ والأعْنـــابِ

لا خلـــيط الأَوشـــالِ والأَوشـــاب

وتـــرضَّ الصـــغارَ بالألعـــاب

مـــن تصـــاوير غـــابرينَ عجـــاب

نزلـــوا نُطْفَـــةً مـــن الأصْـــلاب

أَرَجُ المِسْـــكِ فوقهـــا والمـــلاب[1]

والبرايـــا مـــن طينـــةٍ وتُـــراب

قَـــذِر طـــافحٍ بعـــارٍ وعـــاب

كـــلُّ "رأس" محطَّـــمُ الأعصـــاب

خلفَـــهُ كُومـــةٌ مـــن "الأذنـــاب"

كـــلُّ مِسْـــخٍ بـــالأمس كـــانَ مخيفـــا

مُشْـــمَخِرّاً عـــلى الـــرؤوسِ مُنيفـــا

حَـــبَسَ الفكـــرَ حولَـــه أن يطوفـــا

وهبـــوبَ الريـــاحِ إلا رفيفـــا

وطيـــورَ الســـماء إلاّ زفيفـــا[2]

حَـــذراً أن تَمَسَّـــهُ تجـــديفا

لا يـــراهُ العبـــادُ إلا وقوفـــا

وسُـــجوداً ورُكَّعـــاً وعُكُوفـــاً

---

[1] الملاب: الطيب.

[2] الزفيف: زف الطائر زفاً وزفيفاً إذ بسط جناحيه.

إنـــه "كُتْلَـــةٌ" مـــن التَّقـــديسِ

مســـــتطيرُ الألـــــوانِ كالطّـــــاووس

كـــلَّ يـــومٍ لـــه زفـــافُ العَـــروس

أرِهـــمْ! مـــن "مقوّمـــاتِ" الغَبـــاءِ

وافتضـــاحِ الخُمـــولِ في السّـــيماء

وجمـــودِ الملامـــحِ البَلْهـــاء

فـــوق هـــذي "اللُّعَيْبَـــة" الرَّعْنـــاء

مـــا يُـــريهِمْ حقيقـــةَ النُّـــبلاء؟

أرِهـــمْ: رأسَ "بُومـــة" نكـــراء

صـــاعداً باســـتقامةٍ واســـتواء

فـــوقَ جســـم "البغـــالِ" في الامْـــتِلاء

لوحـــــةً ذاتَ بهجـــــةٍ ورُواء

رَسَـــمَتْها كـــفُّ "النِّظـــام" المُرائـــي

لترينـــا نمـــوذَجَ "الكُـــبَراء"؟

أرِهـــمْ: صـــورةً لوجـــهٍ خَـــلاء

مـــن سِـــماتِ الإيحـــاءِ والإغـــراء

جامـــدٍ مثـــل صـــخرةٍ صـــمّاء

ومـــن الصـــخرِ مـــا يَفـــيضُ بـــماء

و يُقـــــوّي دعـــــائماً للبنـــــاءِ

و تماثيـــــلَ نُطَّـــــقٍ خَرْســـــاء

مـــن نِتـــاجِ النوابـــغِ العُظـــماء

بجبـــينٍ ضَـــنْكٍ كطـــيّ الحـــذاء

أوســـعتْهُ صـــقلاً أكـــفُّ "الهنـــاء"

لا تـــرى فوقَـــهُ غضـــونَ عَنـــاء

هـــي رمـــزُ الرّجولـــةِ الشـــمّاء

وعيـــونٌ "كفحمـــةِ الطَّرفـــاء"

خافقـــاتٌ بنظـــرةٍ جَوْفـــاء

آذنَـــتْ مـــن خُمودِهـــا بانطفـــاء

هـــي عُنـــوانُ ميّـــتِ الأحيـــاء

أرِهـــمْ: في العـــروقِ مَجْـــرى الـــدّماء

آســـناتٍ في ظـــلّ عـــيشٍ رَخـــاء

لم تخضـــخض بهمـــةٍ وفَتـــاء

ومهـــبِّ العواصــــفِ النكبـــاء

واخـــــتلاطِ السـِــرّاء بالضـــرّاء

ومثـــارِ العواطـــفِ الشَّـــعْواء

وتجاريـــــبِ خَيبـــةٍ و رَجـــاء

مـــن أبٍ عـــاش عيشـــةَ السّـــفهاء

يقضِـــمُ المـــالَ قِضْـــمَةَ العَجْـــماء

حـــازه مـــن تســـفُّلٍ وارتشـــاء

واقتطـــاع وسرقـــةٍ و ادِّنـــاء

لم يُكَلَّـــفْ حتـــى بمعنـــى الثـــراء

ولأمٍّ مشـــــغولةٍ بالنســـــاء

وفنـــونِ الأصـــباغ والأزيـــاء

و مجـــالي تبـــذُّلٍ وارتمـــاء

وانـــزلاقٍ في هـــوّةٍ عميـــاء

مـــن مهـــاوي الفُجـــورِ والإغـــواء

تَتَهـــزّا منهـــا عيـــونُ الإمـــاء

قـل لهـم: أمـسٍ كـان مِسْـخٌ كهـذا

يمـــــلأُ الأَرضَ قـــــوةً ونَفـــــاذا

و ارتقـــــاءً بمعشـــــرٍ وانتبـــــاذا

لم يكـــن أمـــسِ مـــن يقـــولُ: لمـــاذا؟

كـــان هـــذا المِســـخُ الغبـــيُّ! مَعـــاذا

لنفـــــوسٍ تمُجُّـــــهُ ومَـــــلاذا

أمـــــسِ كنّـــــا وكنـــــتُمُ شُـــــذّاذا

أمـــــسِ كنّـــــا وكنـــــتُمُ شُـــــحاذا

نجتـــــدي مـــــن دمائنـــــا قطـــــراتِ

حبســـــتْ عنـــــدَ هـــــذه الحشـــرات

هـــــي منّـــــا في هـــــذه الغَمَـــــرات

والوُجـــــوهِ "المُصْـــــفَرَّةِ" الغـــــبرات

والعيـــــونِ "الحزينـــــةِ" الحـــــذِرات!

هـــــي منـــــا في هـــــذهِ النَّـــــبَرات

في حنايـــــا الصّـــــدورِ "منكســـــراتِ"

والأغـــــانيُّ أُفْعِمَـــــتْ بعويـــــلِ

و نُـــــواحٍ مرجَّـــــعٍ وهـــــديل

بين زاهـي الرُّبـى وخُضرِ الحقـول

وعــلى كــلِّ جَــدْولٍ ومســيل

ولــدى كــلِّ بُكــرةٍ وأصــيل

صــارخاتٍ مِــنِ احتــدامِ الميــول

وتقاليـــد "معشَــرٍ" و"قبيـــل"

مــن فــؤادٍ دامٍ وحُــبٍّ قتيــل

و"ضمير" سامٍ و"جسم" ذليـل

وهــي ضــوءُ الشــموعِ في الحُجُـراتِ

عنــدهم و"الكواكــب" النــيِّرات

ودَلالِ الأوانــــسِ الخَفِــــراتِ

و"تحايــا" أنفاسِــها العَطِــرات

واصطخابِ "الأهواءِ" في السّـهَرَات

وأريــجِ "العــرائِشِ" المزهــراتِ

وهــي ذَوْبُ الخمــورِ مُعْتصَـرات

أمــسِ هــذا "النعــيمُ"؟ كــان زروعــا

والــزروعُ الوَرْفــاءُ كانَــتْ بَقيعــا

كـم سَـقينا تلـك "الكـرومَ" دموعـا

واحتضـــنّا أُصـــولَها والفروعـــا

كـم عصـرنا – ونحـن نُعْصَـرُ جوعـا-

الثِّمـــارَ التـــي تُســـيلُ اللُّعابـــا

لنُســـاقي هــذي "المســوخَ" الشـرابا

كـــم دفنّـــا تحـــتَ الـــتُّراب شـــبابا

وأَضـــعنا الجُهـــودَ والأتعابـــا

لـــنجلّي هـــذي اللعـــوبَ الكَعابـــا

تَسْـــحَبُ الخـــزَّ نـــاعماً جِلبابـــا

مـــن "إهاباتِنـــا" خَلعَنـــا إهابـــا

فوقَهـــا ســـاحرَ الـــرؤى جـــذّابا

و"عَصـــرْنا" دماءَنـــا أَحقابـــا

لنصـــفّي منهـــا اللّمـــى والرُّضـــابا

نـــترضّى بـــذلكَ الأربابـــا

وسَـــلُوا مـــن مثالـــثٍ ومثـــاني

حانيـــاتٍ عـــلى أكـــفّ الغـــواني

ناطقـــــاتٍ برقّـــــةٍ و حنــــــان

عــن أمــاني هــذي "العُلــوج" "السّـمان"

وتشـــــهّي "فلانـــــةٍ" و"فُـــــلان"

كَــمْ وكَــمْ – مثلُهــا – ظهــورٌ حــواني

وعيـــــونٌ مقروحـــــةُ الأجفـــــان

عالجـــتْ شـــدَّ هـــذهِ العيـــدان

باعثـــاتٍ في ميّـــتِ "الأحطـــابِ"

أيَّ روحٍ ملطّـــــفٍ مُنســـــاب

هـــي لـــو عـــاودت إلى "الأنســاب"

وتُـــراثِ المُنـــاخ و"الأعصـــاب"

وافتقـــادِ اللّـــداتِ والأتـــراب

وهي في العِـرقِ أُخـتُ وَحْـشِ الغـاب

هـــي أمُّ الطيـــورِ، بنـــتُ السَّـــحاب

ضـــارباتٍ عروقُهـــا في الـــترابِ

قـــرأت في مقاصـــفِ الأقطـــاب

ومقاصـــير "نُخْبَـــةٍ" أطيـــاب

واقتعـــــادٍ بهـــــا وراءَ حجـــــاب

ومراســـــيمَ مُـــثْقَلاتِ الوطـــــاب

باصـــــــطناعِ الوَقـــــار والآداب

مَحْـــضَ إيحاشـــةٍ وفـــرطَ اغـــتراب

ومثـــــارَ الشـــكوكِ والارْتيـــــاب

لَتخلَّـــتْ عـــن "فاتنـــاتِ" القِيـــان

وصـــــدورِ "المغـــامراتِ" الحســـان

عَبِقـــــاتِ الأَحضـــــان؟ والأردان

لصـــــدورٍ مكتظَّـــــةِ الأشـــجان

زاخـــــراتِ الأنغـــام والألحـــان

مثلَهـــــا في مكانـــــةٍ وكيـــــان

مـــن بنـــات الوُحـــول والأطيـــان

لا صـــــدورِ الأكـــــابرِ الأعيـــان

***

عـالَمَ "اليـومِ" أنـت ضُـحْكَةُ رائـي

أنـت – لـولا العِيـانُ – محـضُ هُـراء

مـــن أقاصـــيصِ صِــبْيَةٍ أَبريـــاءِ

ونِكـــاتِ الخُــــلاّنِ والخُلطــــاء

أنـــتَ للســـامرين حـــولَ "الصــلاء"

سَـــمَرٌ قاتـــلُ ليـــالي الشـــتاء

"عالَمَ الغـدِ": أمـسِ أبصرتُ "قِنّـا"

مُجْهَـــداً عنـــد "نـــاعمٍ" يَتكنّـــى

"ســيداً"! عبـدَ "ســيدٍ" يتغنّـــى

بنُعـــوتٍ "لســـيِّدٍ" يتهنّـــى

بنعـــيمٍ مـــن "ســيّدٍ" راح عبـــدا

"لســـواهُ"؟؟ بفضـــلِهِ يـــتردّى

***

وغريـــبٌ في أمـــرِ هـــذي الجُمـــوعِ

مســـترَقّينَ للنّظـــام الرَّقيـــع

إن هذا "السّـوي" مطـاعُ الجميـع

وأولاءِ الســـاداتُ بالتشـــفيع

هـــمْ عبيـــدٌ لعبـــدِ ذاكَ "المطيـــعِ"

يـــا هـــواةَ التنفيـــذِ والتَّشـريع

و"غــواةَ" التمويــهِ و"التَّرْقيــع"

هل عَرَفْتُمْ "جَوْعانَ" ربٍّ "مجيع"

ومُجيعــاً يخــافُ وطــأَةَ جــوع

هكـــذا، هكـــذا، دنـــا فتـــدلّى

هَـــرمٌ مـــن عـــلٍ لتحـــتٍ تعـــلّى

رافعـــاتٍ عنـــه الجماهـــيرُ ثِقْـــلاً

ملقيـــاتٍ عـــلى البســـيطةِ ظِـــلاّ

يَـــنْعَمُ "الفـــردُ" تحتَـــه مســـتغِلاً

بالأطاييـــب – دونَهـــم – مُســـتقِلاً

فلـــماذا؟ وكيـــفَ؟ "عـــزَّ" و"جـــلاّ"

وتخطّـــى عـــلى "العبـــادِ"؟ مُـــدِلاّ

مَـــنْ علـــيهم غـــدا عِيـــالاً وكَـــلاّ

ولمـــاذا؟ وكيـــف؟ عـــاد أَشَـــلاّ

ولمـــاذا؟ عـــن كـــلّ حـــقٍّ تخـــلّى

ولمـــاذا؟ أضـــحى الأَغَـــمَّ الأَذَلاّ

ذلـــك الأكثـــر المعيـــلَ "الأقـــلاّ"

لُغُـــزٌ لم يجِـــدْ لـــهُ العقـــلُ حَـــلاّ

أنـــتَ يـــا رافعـــاً مـــن الأثقـــالِ

هَرَمـــاً، كـــان مـــن ضُروبِ المحـــال

أنـــتَ يـــا مَـــنْ لا يســـتَقِرُّ ببـــال

غـــيرَ إلمامـــةٍ كطيـــفِ خيـــال

كـــن جوابـــاً عـــلى أدقِّ ســـؤال

كـــان مُـــذ كانـــتِ العصـــورُ الخـــوالي

عـــن "قيـــام" مهـــدَّدٍ بـــالزوال

وتهـــاوي كواكـــبٍ وجبـــال

وتجـــلِّي بَعْـــثٍ، وعُقْبـــى نُشـــور

واطِّـــراحِ القبـــورِ أهْـــلَ القبـــور

ويســـيرٍ مـــن أمـــرِهِمْ وعَســـير

وتهاويـــلِ نـــافخٍ في الصـــور

وامتحانـــاتِ مُنكَـــرٍ ونكـــير

وجـــزاءٍ مـــن جنّـــةٍ وســـعير

ذاك رمـزُ انتصـارِ عهـدِ النّضـال

و "ربايـــا" تجـــوّلٍ وانتقـــال

و تصـــاميمُ دولـــةِ العُـــمّال

***

عـــالَمَ الغَـــدِ إنّ "ســـوقَ" العبيـــد

نزلـــوا عنـــد حُكْـــمِ "لَـــوْنِ الجلُـــود"

وابتـــــداعاتِ "ســـيّدٍ ومســـــود"

ومـــــآسي حـــــواجزٍ وحُـــــدود

وصـــياح "النّخّـــاسِ" هَـــلْ مِـــنْ مَزيـــد؟

في "تماثيـــــلَ" أوثِقَـــــتْ بـــــالقيود

غارقـــــاتٍ آذانُهـــــا في الصَّـــــديد

مُنِيَـــــتْ في قيامِهـــــا والقُعـــــود

بعُتُـــــلٍّ فَـــــظٍّ عنيـــــدٍ مَريـــــد

صـــــارخاتٍ بلونِهـــــا المكمـــــود

وبـــــما في عيونهـــــا مـــــن شُرود

للسّـــما تبتغـــي اخـــتراق النّجـــوم

تتحـــرّى مقـــرَّ ذاكَ "الحكـــيم"

الّـَـذي شــاءَ مــا بهــا مــن هُمــوم؟؟

لم تعطّـــــــــل إلاّ لأنَّ رقيقـــــا

أبيضـــاً يمــلأُ العيـــونَ أنيقـــا

لا يَـــرى مثـــل خَلْقِـــهِ مخلوقـــا

في خِضَـــمٍّ مـــن الغُـــرورِ غريقـــا

يســـترِقُّ الغريـــقُ منـــه الغريقـــا

حـــلَّ في "رِقِّـــه" محـــلَّ السّـــودِ

في هُبـــوطِ "أَسْـــواقُهُ" وصُـــعودِ

ونحـــوسِ "نجومُـــهُ" وسُـــعودِ

***

تلـــك ســـوقٌ فيهـــا "غِنـــى" ومَتـــاعُ

وعليهـــــا تســـــابُقٌ و صِراعُ

كـــلَّ يـــومٍ بـــينَ "الرقيـــقِ" نِـــزاعُ

أيهُـــمْ قبـــلَ غـــيره ينصـــاعُ

سَـــيْطَرتْ في ســـمائِها الأطـــماعُ

واســـتوى فـــوقَ عرشِـــها الإقطــاعُ

وتبـــــارى الإثــــــراءُ والإدقـــــاعُ

والمطيعـــــون يمتطِــــيهمْ مُطــــاعُ

كـــم، وكـــم تُشْــتَرى بهـــا وتُبــاعُ

حُرُمـــــاتٌ، وأنْفُـــــسٌ، وطِبــــاعُ

عَرِيَــتْ مــن "ضــمائرٍ" فهـي "قــاعُ"

صفصــفٌ، مــوحشُ الثــرى إمحـــالا

لــيس فيهــا "للصــالحاتِ" انتجــاعُ

فهـــي "جــرداءُ" لا تفـــيءُ ظِـــلالا

وهـــي "ظلـــماءُ" لم "يُنِرْهـــا" شُــعاعُ

مـــن "أحاســيسَ" تُرشِــدُ الضُّــلاّلا

***

عَـــرَضَ "البــائعونَ" فيهـــا الرّجـــالا

بعضُـــهُمُ فـــوقَ بعضِـــهِمْ أثقـــالا

كــــلُّ مســــتكبرٍ يَتيـــهُ اختيــــالا

ســـاحبٍ مــــن "تجَــبُّرٍ" أذيـــالا

حَمَلَتْ من "فضائحٍ" أوحالا

وصياحُ "النَّخّاسِ" عاد فَرَنّا

من جديدِ "بسوقِهِ" يَتَغَنّى

أيُّها الخائفُ احتقاراً و"طعنا"

يَتَجنّى ويتّقي ما تَجَنّى

كم "مِجَنٍّ" هنا لباغٍ "مِجَنّا"

دون ما شق من خروقٍ و"سنّا"

ها هنا لو أعْرْتُمُ "السوقَ" "وَزْنا"

سلع تحمِلُ "الجرائرَ" عنّا

هنّ لَفظٌ و"مُشْتَرِيهِنَّ" مَعْنى

هنّ مرأى و"مجتنيهنّ" مَبْنى

من هنا لفقت لفيفاً وهَنّا

كم نصِبنا بِخَلقها وتَعِبْنا

كم سعينا بهمّةِ الجبّارِ

بأساليبَ جمّةِ الأوطارِ

كم بثثنا الأرصاد ليلَ نهارِ

في ســــــوادِ الأقطـــــارِ والأمصـــــارِ

لشــــــراءِ "البضـــــــــائعِ"؟ الأشرارِ

تــــــتردّى مظـــــاهر الأخيــــار

أيُّهـــــا المبتغـــــونَ نَشْـــرَ دَمـــارِ

وارتجاعــــاً عـــلى يـــدي "سمْســـار"

يــــا بُغـــــاةَ الإدقـــــاع والإفقـــار

واحتجـــازِ الشـــعوبِ رهـــن الإســـار

أيُّهـــا الوالغـــون في كـــلِّ عـــارِ

وشــــــنارٍ لكـــــنْ وراءَ سِـــــتار

كـم سِـتارٍ لكـم هنـا وحجـابِ

نحـن حُكْنـا خيوطَـهُ باقتضـابِ

وأقمنـــا نســـيجَهُ باغتصـــابِ

مـن نِثـار الأسْـقاطِ و"الأسـلاب"

مـــن مُـــراءٍ ومُـــرْتَشٍ ومُحـــابي

وخـــؤونٍ ومُرْجِـــفٍ كـــذّابِ

عنـــدنا، هاهنـــا، عـــلى الأبـــوابِ

ألفُ قُطْبٍ "رَخوٍ" من الأقطابِ

من "دُهاةِ" القُطّاعِ والنّهاب

باختلافِ الحجومِ والأضراب

وبشتى النعوت "و".. الألقاب

وافتراقِ "الألوانِ" و"الأثوابِ"

نحن أدرى بهذه "الأنصابِ"

و"بأحسابِهِنَّ" و"الأنسابِ"

ومحلٌّ لهنّ في "الإعرابِ"

إنها حين تَتْرُكُ الأبوابا

عندما تَدْفَعونَ عنها الحِسابا

ترتدي غَيرَ ثوبِها أثوابا

ثم تُلقي على "الضميرِ" حجابا

وعلى أوْجُهِ "خَزينَ" خِضابا

فالمُحابي غداً يروحُ مُحابى

والمُرائي مُبَجّلاً مُسْتَطابا

والخؤونُ "الشهمُ" الرفيعَ جنابا

والغبـــارُ الــذي صـــببناه صـبّا

من "وُحول" فكان شخصاً مِـذَبّا

سيُصـــلّى لَـــهُ ويُعْبَـــدُ رَبّـــا

عنـــدنا ألـــفُ هيكـــلٍ جبّـــارِ

حولَـــه شـــائِكٌ مـــن الأَسْـــوارِ

مـــن بنـــاءِ "المُشِـــرِّعِ" القهّـــار

يـــتراءى لأَعْـــيُنِ النُّظّـــارِ

فارغـــاً شـــامخاً عـــلى الأبصـــارِ

يـــتحلّى "بهيبـــةٍ" و"وقـــارِ"

و"احتفـــاظٍ" وإمـــرةٍ واقتـــدارِ

وبســـرٍّ "فَـــذٍّ" مـــن الأَسْرارِ

وبإحكـــام "صـــانعٍ" مختـــار

نحـــن صُـــغناهُ مـــن مـــزيج غُبـــارِ

مـــن مُثـــارِ "النَّكْبـــاءِ" و"الإعصـــارِ"

ومـــداسِ "الوحـــوشِ" بـــينَ القِفـــارِ

و"وحـــولِ" الأكـــدارِ والأقـــذارِ

فهـــو كـــاسٍ - كـــما أردتُـــمْ - وعـــاري

وهـــو "عـــالٍ" عـــلى أســـاسٍ هـــاري

* * *

عـالَمَ الغـدِ: "أمـسِ" أبْصَـرتُ فـردا

مـن أولاءِ البـيضِ "العبيـدِ" اسـتبدّا

دخلَ "السـوقَ" فاشـتروا منـه عبـدا

لـيس يَقْـوَى لمـا أرادوا مَـرَدّا

ثـم ألقَـوْا عـلى حَفافيـهِ بُـرْدا

زعمـوا أنّـه تضـمّخ مَجْـدا

فـانبرى وهـو يَحسَـبُ الهـزلَ جِـدّا

والأنـاسيَّ أوليـاً و"جُنْـدا"

وخضـوعاً لم يملكـوا عنـه بُـدّاً

فَـرْطَ عُجْـبٍ "بمقلتيـه" وَ وَجْـدا

بالعبوديّـةِ التـي يـتردّى

كـذبوا أيُّ "سـؤددٍ"؟ أيُّ مجـدِ؟

مسـتعارٍ متـى اشـتَهَوْا، مسـتَرَدٍّ

مـن غـرورٍ وباطـلٍ مُسْـتَمَدٍّ

أيُّ "بُـردٍ" مـن كـفٍّ أيِّ "مُسَـدّي"

مُلحـمٍ، مالـكٍ لحـلٍّ وعَقْـدِ

قـد تـردّاهُ ألـفُ جِـبْسٍ وَ وَغْـدِ

أمَـــرُوا، وانتهَـــوْا بعـــزلٍ وطَـــرْدِ

فـــإذا "مجــــدُهُمْ" هبــــاءٌ نثــــيرُ

وإذا مـــــاؤُهُمْ سرابٌ يَغـــــورُ

وإذا هُـــمْ قَفْـــرٌ صحاصـــحُ بـــورُ

وإذا مـــا انطـــوتْ عليـــه الصـــدورُ

جِيَـــفٌ تُسْـــتَفَزُّ منهـــا القبـــورُ

وتخـــافُ الـــدّنُوَّ منهـــا العُطُـــورُ

قَـــبُحَ المســـتعارُ و المســـتَعيرُ

في مَصـــيرَيهما.. وبـــئسَ المصـــيرُ

وإذا فـــوقَ كـــلِّ ذاك، الضـــميرُ

لم يســـاوِمْ ليشـــتريه الحريـــرُ

***

"عـالَمَ الغـدِ": أمـسِ مـرَّتْ حِيـالي

كُتَـلٌ مـن "مـؤمَّرين" مـوالي؟

أخـرجتهمْ مصـانعٌ "لرجـالِ"؟

هـمْ بـرغمِ الألـوان والأشـكالِ

نُسِـجوا كلُّهـم عـلى "مِنـوال"

من "دمـى" إمـرةٍ؟ و"لعبـةِ" مـالِ

و"مرايـــا" سياســـةٍ واحتيـــالِ

و"ســعالي" ذوي شــعورٍ طــوالِ

تستسيغُ "الحـرامَ" باسـمِ الحـلالِ

ثـم مـرّت مواكـبٌ مـن "جِـمال"

بحـــرابٍ محميّـــةٍ وعـــوالي

تتشـــكّى في الوَخْـــدِ والإرقـــال

وطء مـــا حُمِّلَـــتْ مـــن الأثقـــالِ

مـــن خِـــداعِ "التشـــريعِ" و"التقنـــينِ"

مـــن شروحٍ فيّاضـــةٍ ومُتـــونِ

دبَّرتْهـــا فطاحـــلُ "التّـــدوينِ"

ودعـــاةُ التّخـــديرِ والتّســـكين

و رقـــاةٌ لعـــالَمٍ مجنـــونِ

ثـــم لاحـــتْ "أصـــابعٌ" كـــالظِّلال

وكـــما طـــافَ طـــائفٌ مـــن خيـــالِ

ثـــم جُـــرّتْ هـــذي الـــدُّمى بحبـــال

مـــن "نُضـــارٍ" مُزَيّـــفٍ مُـــتلالي

و "بجـــاهٍ" ممـــزقٍ أســـمالِ

وبمجـدٍ عـارٍ مـن "المجـدِ"، حـالي

بِطِــــلاءٍ مـــن القــــرونِ الخـــوالي

والخـــوالي مـــن القــــرونِ سرابُ

شُـــبَهٌ كـــلُّ أمرِهـــا وارتيـــابُ

بغداد، عام ١٩٤٣

تونــس

نظمت بمناسبة الإنزال الذي قام به الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، في شمال أفريقيا، خلف خطوط جيوش المحور.

رِدِي يـا خيـولَ الله مَنْهَلَـكِ العَـذبا ويـا شرقُ عُـدْ للغـربِ فـاقتَحم الغَرْبـا

ويـا شرقُ هَـلْ سَرَّ الطواغيـتَ أنّهـا فويقـكَ أشـلاءٌ مبعثـرةٌ إربـا

يـدٌ جَـذَّ يـومُ "القـيروانِ" عُروقَهـا وظهرٌ عـلى "القفقـاسِ" مستعلياً جُبّا

ويـا طـارقَ الجيـلِ الجديـدِ تلفُّتـاً إلى جبـلٍ إجتـازه طـارقٌ دَرْبـا

أثـرتَ لنـا في غمـرةِ النصرِ خَطْـرَةً مـن الـذكر فيهـا مـا نُحـبُّ ومـا نـأبى

هُزِزْنـا بهـا ذِكـرى، وتِهنـا بزهوهـا بُـدوءاً، ونُحنـا مـن تصـوِّرها عُقْبـى

لمثـلِ الـذي تَبْغـي مـن الحـقِّ قادَهـا إلى الموتِ، لم تسألْ بـه السَّـهلَ والصَّـعْبا

حَدا من جيوشِ الوحيِ والنصرِ ما حَدا وعَبَّـا مـن الإيـمانِ بالنصـر مـا عبّـا

كنـارِ "ابن عمرانَ" التي جـاءَ قابساً سـناها حريـقٌ في سـفائنهِ شـبّا

وألواحُهـا "الألـواحُ" لـولا "رسـالةٌ" عـلى "قُـرَشيٍّ" لم تُـرِدْ عينُـه الرَّبـا[1]

***

تخطَّـتْ إلى مَحْمِيَّـةِ الغـربِ أُمَّـةٌ حَمـتْ فأجـادت قبلَهـا عـن حِمـىً ذَبّـا

تحـدَّت عُبـاب البحـر تُـزعجُ حُوتَـهُ ومـن قبلِـه في الـبرّ أزعجـتِ الضَّـبّا

---

[1] يريد أن ألواح هذه السفن في قدسيتها كألواح موسى التي كتب فيها وصاياه العشر بفارق واحد هو رسالة الإسلام.

أولاءِ "البُداةُ" الغـامطُ النّـاسِ حقَّهـم ... وتلكَ التـي منهـا نـرى العـربَ العَرْبـا
لَتلــكَ قلـوبٌ نَنشـدُ اليـومَ مِثلَهـا ... أبــى دينُهــا أنْ تجمــعَ اللهَ والرُّعبــا
سَرَتْ كشُعاعِ النورِ في فَحمـةِ الـدُّجى ... ومثــلَ النسـيم الرِّخـوِ في يَـبَسٍ هبّـا
وفي ذلَّــةٍ عــزّا، وفي ضــلةٍ هُــدىً ... وفي جَنَـفٍ عـدلاً، وفي جَـذْبٍ خصْبـا
وفي عصــبيّاتٍ غِــلاظٍ تســامُحاً ... وفي مُلتــوٍ مِــنْ نهجهــا منهجــاً لَحبـا
أطلَّـتْ عـلى "مدريـدَ" تُسـمِعُ دعـوةً ... وسارتْ إلى "باريسَ" تَسمعُ مـن لبّـى
ودبَّتْ مَـدَبَّ الـروحِ في الكـونِ رحمـةً ... وشــدَّتْ لجســمٍ خــائرٍ مُتْعَـبٍ صُـلبا
ومــدَّتْ برفــقٍ كفَّهــا فتلمَّسَــت ... جـراحَ بنـي الـدُّنيا فآسـتْ لهـم نُـدْبا
وآوتْ مــن الأديــانِ شـتّى وأطْلَعَـتْ ... مِــن الخطـراتِ النـيّراتِ بهـا شُــهْبا
وحامَــتْ يَراعــاً جــالَ في جَنَباتِهــا ... وصانتْ – عليهـا أوْ لهـا – مِقْـولاً ذَرْبـا
ومـا سَـمَلَتْ عينـاً، ولا قَطعَـتْ يـداً ... ولا حجـزتْ رأيـاً، ولا أحْرَقَـتْ كُتْبـاً
نظـرتُ إلى مـا كـانَ منهـا ومـا جـرى ... عليهــا، ومــا يــأتي الشــقاقُ إذا دبّــا
وكيــفَ أفــاءَتْ مــا أرادتْ ظِلالَهَــا ... وكيـفَ اغتـدَتْ مُسـتثقَلاً ظِلُّهـا، نُهْبى
فقلتُ: وبعضُ القـولِ عُتبـى وبعضُـهُ ... عِتـابٌ، وشرُّ القـولِ عَتْـبٌ بـلا عُتبـى
أســاءَتْ صــنيعاً أُمَّــةٌ مُســتكينةٌ ... صـبورٌ عــلى البلـوى إلى أمـةٍ غَضْبى

***

سقى "تونساً" ما يدفعُ الخَطْبَ، إنَّها بخُضرَتِها تُكفى الذي يدفعُ الجَدْبا

وحيّا القِبابَ البيضَ رَوحٌ كأهلها رقيقُ الحواشي يَمسحُ الماءَ والعُشْبا

ورافقَها نورٌ من الوعي مُسْفِرٌ كأنوارِ أسحارٍ تُرَقرِقها سكبا

نَحِنُّ لِذكراها، ونشكو افتقادَها كما شَكَتِ العينُ التي افتقدَتْ هُدْباً

ويا "مونتكُمري" لو سقى القولُ فاتحاً سَقَتْكَ القوافي صفوَها السلسلَ العذْبا

ولو كانَ ذَوْبُ العاطفاتِ نِثارةً نَثرْنا لكَ الإعجابَ والشكرَ والحُبّا

نضتْكَ لدَرْءِ الشرِّ عَضْباً "صياقلٌ" أعدَّتْ لِلُقيا كلِّ مستكبرٍ عَضْبا

حلَلْتَ على "روميلَ" كَرْباً، وقبلَها أحلَّ بأدهى منه "ولِنكْتِنٌ" كربا

وأنتَ انتزعتَ النصرَ من يدِ قادرٍ عليهِ، ولم ترحَمْ مُعنّىً به صبّا

ودحرجتَهُ عن "مِصْرَ" وهوَ مُعرِّسٌ بأحلامِهِ، يُحصي الخراجَ الذي يُجْبى

وغرَّتهُ من ريح الصحاري قَبُولُها فكيفَ رآها وهي مُعرِضةٌ نَكْبا

دَحَا أرْضَها، وانصَبَّ كالموتِ فوقَها ولُحْتَ له مَوتاً على الموتِ مُنصَبّاً

تركتَ الذي رامَ السَّما يلمِسُ الثَّرى ومنْ كانَ يشكو بطْنةً يشتكي السَّغْبا

وبَصَّرْتَهُ لّما تَصَعَّرَ خدُّهُ بأنَّكَ أعْلى من أخادِعِهِ كَعْبا[1]

قصَصْتَ جناحَيْهِ فقَرَّتْ شَذاتُهُ وعادتْ "نوازي" شَرِّه أفرُخاً زُغبا[2]

كشفتَ لهُ ضَعفاً وغطَّيتَ قُوَّةً فكنتَ – ولولا خُدعةٌ لم تكن – خِبّا

---

[1] تصعر: تكبر. والأخادع: العروق المخفية في صفحتي العنق.

[2] الشذاة: القوة والنشاط. النوازي: المتوثبات من فراخ الطيور وفيها تورية عن "النازية" و"النازيين".

أراد التـي مـن دونهـا أنـت والـوغى، وعـــدل القضـــا، تَبّـــاً لمـــا رامـــه تبّـــا

ســددتَ عليــه الــرأيَ حتــى تركتَــه يَـرى مـن سَـدادِ الـرأي مـا عـدَّه سبّا

وحتـــى رأى ذُلَّ الفِـــرارِ غنيمـــةً وحتـى رأى الـداءَ الـذي يشتكي طِبّـا

وضـاقتْ عليـه الأرضُ فهـوَ مُهـوِّمٌ عليهـا نَهْتُـهُ أنْ يُـريحَ بهـا جَنْبـا

***

تمنّــى عليــهِ "ربُّـهُ" مِصْـرَ مِنْحـةً وكادَ عـلى "القَطّـارِ" أنْ يُـرضيَ الربّـا[1]

وكـادَ عـلى "القَطّـارِ" يُرْسِـلُ حاصبـاً على "الشرقِ" لولا أنْ قذفتَ بـه حَصْبا

تــراءى لـــهُ نَهْبـــاً، ولمّـــا صَـــدَمْتَهُ تــراءتْ لـه الأحـلامُ صِـيحَ بهـا نَهْبـا

ومـــدَّتْ لـــهُ الأطـــماعُ في نزواتِـــه إلى أنْ غَـدَتْ كـلّاً عـلى نَفْسـهِ حَرْبـا

وداعَبَـــتِ "الاســـكندريَّةُ" عينَـــهُ وخـادَعَ منـه "النيـلُ" في طمْيـهِ اللُّبّـا

ولاحَ له "الاسكندرُ" الصِّدقُ فانثنتْ تُزَيِّـفُ منـه الـنفسُ "أسـكندراً" كِـذْبا

ومَنّـــى بينْبـــوعِ الفـــراتِ حصـــانَهُ وعلّـــلَ "بـالزّابَيْنِ" عسـكَرَهُ اللّجْبـا

فيـا لَـكَ زَوراً ذاد عـن عينـهِ الكَـرى وشَرَّدَ عـــنْ أجفانـــهِ حُلُـــماً رَطْبـــاً

فلـــمْ يَـــرَ إلاّ مَغـرِزَ الرِّجْـلِ يَقْظَـةً وكـــانَ يُنـــاغي حالِمـــاً عالَمـــاً رَحْبـــا

[1] ربُّه: هتلر. القطار: منخفضات على الحدود المصرية.

من "العَلَميْن" استَقْتَهُ مُحكمَ القُوى		وفي "تُونسٍ" أدركتَهُ رازحاً لَغْبا
نثرتَ لهُ شُمَّ المتالعِ والقُرى		كما نَثَرَ الصيَّادُ للطائرِ الحَبّا
وأغريتَهُ بالقرب حتّى إذا دَنَا		إليكِ رأى منكَ الذي بَغَّضَ القُرْبا
عنودٌ، تأتى الوَثْبَ في نكَساتهِ		من الكِبْرِ، لولا أنْ تُطارِدَهُ وَثْبا

***

ولو غيرُ "روميلٍ" لقُلنا كغيرِها		سُقاةُ الرَّدى عاطَتْ بأكْؤُسها شَرْبا
ولكنَّه نَدْمانُ موتٍ إذا سَقى		ألحَّ وعاطى مَنْ ينادمُهُ عَبّا
وقد خَبَّأ السَّمَّ الزُّعافَ فَبزَّهُ		خبيرٌ بما أبدى، بصيرٌ بما خَبّا
ولمّا التقى الجمعانِ غُلْبٌ أشاوسٌ		دَهَتْ مثلَها شُوْساً مُدَجَّجةً غُلْبا
وحُمَّ الحديدُ الضخمُ والصبرُ والحجى		كِلا المعدِنين استنجدا معدِناً صُلْبا
مشى الحقُّ في الصفَّينِ يدمَغُ باطلاً		ويغمُرُ بالرَّيحان أوفاهما كَسْبا

***

تَفادى بـ "أرنيمٍ" وفَرَّ بنفسه		وأبقى لك الأهلَ الأعزَّةَ والصَّحبا
وأهداكَهم أسرى وقتلى كأنه		بهم يستميحُ العفوَ ممّا جنى ذَنْبا
تَلَظّى بهم بالنارِ بَرٌّ، وقاءهُمْ		خِضَمٌّ وراحَ الجوُّ يُمطرهم عَطْبا
كأنَّكَ إذ تُحصي رُكاماً حُطامَهُ		تُصَحِّحُ أغلاطاً فتوسِعُها شَطْبا
فمن يَرَ في الصحراءِ نَثراً قبورَهُمْ		يَخَلْها من الأجداثِ مجنونةً رُعبا
ومن يُبصرِ الأسرى يُقادونَ هُطَّعاً		يَجِدْ حادياً يحدو إلى سَقَرٍ رَكْبا

وخَلّى لَـكَ "الطليـانَ" يحتـكُّ بعضُـها ... بـبعضٍ كـما تحتَـكُّ مـن جَـرَبٍ جَرْبـا

أتـى بهـمُ إلبـاً عليـكَ سَـفاهةً ... فكـانوا عليـهِ في تَغَـنُّجِهِمْ إلْبـا[1]

أرادَ لخـوْضِ المـوتِ أغْـراسَ نعمـةٍ ... غـذاها وليُّ الأمـرِ فاكهـةً أبّـاً[2]

حَسِـبْنَ لإزعـاجِ ابـنِ آوى بنادِقـاً ... وخلْـنَ لِمِضـمارِ الهَـوى شُـزَّباً قُبّـاً

وضـاعَفْنَ نسـجاً مـن حريـرٍ ولأمـةً ... وجرَّرْنَ بيضَ الهندِ والـوشيَ والعَصْبا

ورُحْـنَ كـأسرابِ القطا نُعَّـمَ الخُطى ... وقـى اللهُ – مـن شرٍّ يُـراد بـه – السربا

وجـازى بشـرٍّ مـن أراد بجَـورِه ... وجُوهَ الحسانِ الغيـدِ أنْ تلمِس التُّرْبـا

وأن تهـبِطَ الوديـانَ لـيلاً لِريبـةٍ ... وأن ترتقـي صُـبحاً عـلى عَجـلٍ هُضْبـا

وأن تَشْـهَدَ الأشـلاء تـنقضُّ حولَهـا ... وفي دَمِهـا الفرسـانُ مخضـوبةٌ خَضْـبا

ولم ترتكِـبْ إثـماً سـوى أنّهـا دُمـىً ... ولم تـأتِ – إلا أنَّهـا عـورةٌ – ذنبـا

فلـو كنـتَ يـومَ النَّقْـعِ شـاهِدَ أمرِهـا ... وقـد خَبَّـأتْ تِـرْبٌ بأثوابهـا تِرْبـا

وسـدَّت ثقـوبَ الأرضِ مُجْحـرةً بهـا ... فـما غـادرَتْ مـأوىً لضَـبٍّ ولا ثقبـا

دعـوتَ عـلى مَنْ شـقَّ عنهـا حجاتِهـا ... وأقحَمَهـا مـا لـيسَ مـن شـأنِها غَصْبا

إذن لسـألتَ اللهَ فَـلّاً لغَربِـه ... جـزاءً عـلى مـا فـلَّ مـن سـترِها غَرْبـا

فرِفْقـاً بأشـباهِ القـواريرِ صُـدِّعَتْ ... وما اسْطعتمُ فاسـتدركوا صدعها رأبـا

***

---

[1] إلالب: القوم تجمع بينهم الحزازات والأحقاد.

[2] فاكهة أبا: أي طرية.

فيـا لـكِ بُشْرى مـا أرقَّ ومـا أصـفى ... أغاثـتْ نفوسـاً مـا أحـنَّ ومـا أصـبى

ويـا حُلفـاءَ اليـومِ والأمـسِ إنَّنـا ... لكُـمْ - مـا أردتُـمْ - في مودَّتِنـا قُرْبـى

أريـدوا بنـا خـيراً نَعِـدْكُمْ بمثلِـهِ ... وكونـوا لنـا حِزْبـاً، نَكـنْ لكُـمُ حِزبـا

وظُنُّـوا بنـا خـيراً فَفينـا كَـوامِنٌ ... مـن الخـير إنْ تُبعـث تَـزدْكمْ بنـا عُجْبـا

ولا تـذكروا عَتْبـاً فـإنَّ مُوطّـداً ... مـن الـودِّ زِدْنـا فيـه مـا يرفـعُ العتبـا

وإلا فكيلـوه عتابـاً بمثلـه ... لنـا وكلانـا مُعْتِـبٌ بَعْـدُ مـن أرْبـى

ولا تخْلِطـوا شَـغباً علـيكم مُبَغَّضـا ... إلينـا وحقـاً لا نريـد بـه شـغبا

وآخـوا بنـا شـعباً وهانـتْ أُخـوَّةٌ ... إذا كنتَ تَلقـى عنـدها الفـردَ لا الشَّـعبا

بغداد، عام ١٩٤٣



أمم تَجِدُّ ونلعب

بدأ بنظمها عام ١٩٤٢.

أُمـمٌ تَجِـدُّ ونَلعـبُ و يُعـذِّبون ونَطـرَبُ

المشـرِقُ الـواعي يَخُـطُّ مَصـيرةُ و المَغـرب

فهُنـا دمٌ يَتعهَّـد الجيـلَ الجديـدَ فَيُسـكب

وهنـا كِفـاحٌ – في سـبيلِ تحـرُّرٍ – وتوثّـب

وهنـا جمـاهيرٌ يُحُـبُّ بهـا زعـيمٌ أغلَـب

***

ونعـيشُ نحـنُ كـما يعـيشُ عـلى الضـفافِ الطُحْلُـب

مُتطفِّلـينَ عـلى الوجـودِ نَعـومُ فيـه وَنَرْسُـب

مُتذبـذبينَ وشرُّ مـا قتل الطمـوح تذبـذب

نُـوحي التطـيُّرَ كـالغُرابِ إلى النفـوس ونَنْعَـب

ونبُـثُّ رُعبـاً في الصـفوفِ بـما نُـدسُّ ونكـذِب

ندعو إلى المستعمرينَ لسـوطِهم نَتَحَبَّـب

نَهـوى تَقَـرُّبهم و فيـه حتفُنـا يتقـرّب

متخـاذلينَ كـما يشـاءُ تعنُّـتٌ و تعصّـب

إنَّ العـراقَ بـما نُحَشِّـدُ ضِـدَّه ونُؤلِّـب

بيـــتٌ عـــلى يـــدِ أهلِـــه مِمّـــا جَنَـــوا يَتخـــرَّب

***

إنَّ الحيـــاةَ طريقُهـــا وعـــرٌ بعيـــدٌ مُجـــدِب

عَـــرَقُ الجبـــينِ عـــلى الـــدماء فُوَيقهـــا يتصـــبَّب

ومِـــنَ الجماجـــم مـــا يَعيـــقُ الـــواهنينَ ويُرْهِـــب

يَمشـــي عليهـــا الإبـــنُ يُنجِـــزُ مـــا تَرَسَّـــمهُ الأب

ولكَـــم تخلَّـــفَ معشرٌ عنهـــا وشُرِّدَ مَوكـــب

ووراءهـــا الواحـــاتُ طـــابَ مَراحُهـــا والمَشـــرَب

ونُريـــدُ نحـــنُ لهـــا طريقـــاً منهجـــاً لا يُنْصِـــب[1]

الجَـــاهُ يـــنْعَمُ تحـــتَ ظِـــلِّ جِهادِنـــا والمَنِصـــب

***

قُـلْ للشبابِ تحفَّـزوا و تيقَّظـــوا وتـــألَّبوا

و تـــأهبوا للطارئـــاتِ فإنَّهـــا تَتَأهَّـــبُ

سَـــيَجدُّ مـــا ســـيطولُ إعجـــابٌ بـــه وتعجّـــب

ســـيزولُ مـــا كنّـــا نقـــولُ مشـرِّقٌ ومُغـــرِّب

(1) ينصب: يتعب.

ستكونُ رابطةَ الشعوب مبغَّضٌ و مُحَبَّب

***

سِيروا ولا تَستوحشوا ورِدُوا ولا تَتَهَيَّبوا

لا تَظمأوا إن الحياةَ مَعينُها لا يَنْضُب

سِيروا خِفاقاً، نَفْسُكمْ و صَفاؤها، والمذهب

لا تُثقلوها بالعويصِ وبالغريبِ فتتعَبوا

وتَلَمَّسوا أُفُقاً تلبَّدَ غَيمُهُ، و ترقَّبوا

يَنْهَضْ لكُمْ شَبحٌ بمسفوحِ الدماءِ مُخَضَّب

غَضِرُ الصِّبا وكأنَّه مِمّا تغَيَّرَ أشيب

ذو عارِضَينِ فمؤنسٌ جَذِلٌ، وآخرُ مُرعِب

يَرنو إلى أمسٍ فيعبِسُ عندَه.. ويُقطِّب

ويلوحُ فجرُ غدٍ فيركُضُ نحوه ويُرحِّب

يأوي إليهِ مُعمِّر ويخافُ منه مُجرِّب

مخضَ الحياةَ فلم يفُتْهُ مُصرَّحٌ ومُروَّب[1]

وانزاحَ عنْ عينيهِ ما يُطوى عليه مُغَيَّب

---

[1] المصرح: هو الخالص من اللبن. والمروب: الخاثر.

فاستلهِموهُ فخيرُ مَن رسمَ الطريقَ مُجرِّب

***

لا تجمُدوا إنَّ الطبيعةَ حُرَّةٌ تتقلَّب
كونوا كرقراقٍ بمَدرجةِ الحَصى يتسَرَّب
تأتي الصخورُ طريقَه فيجوزُهنَّ و يَذهب
وخُذوا وُجوهَ السانحاتِ منَ الظروفِ فقلِّبوا
فإذا استَوَتْ فتَقَحَّموا وإذا التوَتْ فتَنكَّبوا
وإذا وجدتُمْ جذوةً فضعوا الفتيلَ وألهِبوا
مُدُّوا بأيدِيكم إلى هذا الخليطِ فشذِّبوا
و تناولوا جَمراتِكم آناً وآناً فاحصِبوا[1]
لا تحذَروا أن تُغضِبوا مَن سرَّهُ أنْ تُغضَبوا
كُونوا كعاصفةٍ تُطوِّحُ بالرمالِ و تَلعب
وتطلَّبوا بالحتفِ مَن لحُتوفِكُمْ يَتطلَّب
لا يُؤيِسَنَّكُمْ مُقِلُّ عَديدِكم أن تَغلِبوا
إنْ لم يكنْ سببٌ يَمُدُّ خُطاكُمُ فتسبَّبوا
لا تَنْفِروا إنَّ الحياةَ إليكمُ تتقرَّب
لكمُ الغدُ الداني القُطوفِ وصَفْوُهُ المُستعْذَب

---

[1] الجمرات: الحصى. حصب: ضرب بالحصباء.

إنَّ النضـــالَ مُهِمَّـــةٌ يَعيـــا بهـــا المُتَرهِّـــب

***

سَيرى الـذينَ تـدثَّروا وتزمَّلـــوا وتجَلْبيـــوا[1]

وتحـــدَّثوا نَـــزْراً كمِعْـــزَاةٍ بجـــدبٍ تُحْلَـــب

وتَنـــادَروا هَمْســـاً كـــما نـــاغَى "جنيـــدبَ" جُنْـــدُب[2]

خُطـــواتُهمْ وشِـــفاهُهم و رؤوسُـــهم تَترتَّـــب

نَسَـــقاً كـــما الآجُـــرُّ صَـــفَّفَهُ صَـــناعُ مُـــدرَب[3]

إنَّ الحيـــاةَ سريعـــةٌ وجريئـــةٌ لا تُغْلَـــب

تَرمـــي بأثقـــالِ الســـنينَ وراءهـــا و تُعَقِّـــب

وتـــدوسُ مَـــن لا يســـتطيعُ لحاقَهـــا وتـــؤدِّب

بغداد، عام ١٩٤٤

---

(١) تزمل: تدثر.

(٢) الجندب: نوع من الجراد.

(٣) الصناع: الماهر في صنعته.

نشيد العودة

(استرداد سواستبول)

للهِ دَرُّكِ مـــن وليـــدِ في عيـــد مولِـــده السـعيدِ

حَيَّتْـــهُ ممطـــرةُ الـــدَّمار بمثـــل قاصـــفةِ الرُّعـــود

وأظَلَّـــه مـــن كـــل قاذفـــةٍ غـــرابٌ مـــن حديـــد

ومشـــى بهـــذا المَهْـــدِ مـــا يحـــدو المهـــودَ إلى اللُّحـــود

***

يـــا أخـــتَ أمـــسِ المـــالىءِ الـــدنيا بجبـــارٍ عنيـــد

أســـدى وقـــد جَحَـــدَ الخلـــودَ يـــداً تـــرفُّ عـــلى الخُلُـــود

أومَـــى إلى زُمـــرِ المناقِـــب مـــن طَريـــف أو تَليـــد

مـــن كـــلِّ شـــاكٍ مـــا اســـتَباح لـــه المـــؤرّخُ مـــن حـــدُود

فاتَتْـــه رازحـــةُ الخُطـــى تَشـــكو مـــن الجَهـــد الجهيـــد

يبـــدو عـــلى شَـــمَمٍ و إيثـــارٍ و إقـــدامٍ و جُـــود

جُـــرْحٌ بليـــغٌ في الفـــؤاد ولطمـــةٌ فـــوقَ الخـــدود

فأقرَّهـــا في أي أنصِـــبةٍ و مُصـــطَلحٍ وطيـــد

مِـــن هـــذه الأرواحِ ثـــائرةٌ عـــلى ضَـــنْك الجلـــود

ممـــا يُحشِّـــده نضـــالُك للفضـــيلة مـــن جُنـــود

مِـــن هـــذه الأشـــلاء نافحـــةُ الأريـــج عـــلى الصَّـــعيد

بـــالأمِّ هاويـــةٌ عـــلى البَعـــل الكـــريم، عـــلى الوليـــد

إنّـــا قرأنـــا فيـــكِ معنـــى لفـــظِ تـــاريخٍ مجيـــد

فضَّلتِ "أمسِ" على "غـدٍ" وطغى "القديم" على "الجديـد"

***

يـــا أخـــتَ مُحـــترشِ الحَـــمامِ وأمَّ مُقتـــنِصِ الأُســـود[1]

فُـــوزِي بعُقْبـــى مـــا وُعِـــدتِ فقـــد صَـــبرْتِ عـــلى الوعيـــد

ولقـــد صَـــبَرت عـــلى التـــي يَعيـــا بهـــا صَـــبْرُ الجلَيـــد

فلقـــد صَـــبرْتِ عـــلى رِيـــاح المـــوت تَعصِـــفُ بالحصـــيد

وعـــلى جحـــيمٍ منـــك عَبَّـــأ مـــا تَخَـــيَّر مـــن وَقـــود

وعـــلى أمـــرَّ مـــن الجحـــيمِ، شـــماتةِ النمـــرِ الحقـــود

***

صُـــغتِ السُـــدودَ مـــن الصـــدور تـــرُدُّ عاديـــة الســـدود

ومشـــيتِ أنـــتِ إلى الـــردى فأخـــذتِ منـــه بالوريـــد

بَـــليَ الـــبِلى بأشـــدَّ منـــه شـــكيمةً يـــومَ الـــوُرود

عُـــودي فقـــد حَـــنَّ العـــرينُ لعـــودة الأسَـــد الطريـــد

---

[1] احترش: صاد.

عـــودي كواســـطةِ الجُـــمان تَعـــود للعِقـــد الفريـــد
عـــودي نشـــيداً خالـــداً ولأنـــتِ مُلْهِمَـــةُ النشـــيد

بغداد، عام ١٩٤٤

إلى الرصافي

نشرت في جريدة "الرأي العام"، وقدمها الشاعر: "في عزلة - لولا عرائس عبقر التي تحوم حولها لقلنا إنها موحشة - يقضي صاحب "العالم شعر" و"الدستور" و"السجن في بغداد" و"الفقر والسقام" و"البسفور" ما تبقى من عمره، وهو يدلف إلى الثمانين موقرة بأثقال الإحساسات المرهفة.. ولواعج الخواطر المتراكمة.. وذكريات الأدوار العنيفة. في عزلة كهذه يقضي أيامه المتبقية الشاعر الذي غنى الأقطار العربية في أعراسها وناح عليها في مآتمها. ورافقها في أيام محنتها ورخائها. وبؤسها ونعيمها. والذي صدع بحرية "الرأي" وقدسية "العقيدة".. إذ لا سائل عنهما، ولا متحدث بهما، في غمرة "النسيان" و"التجاهل" و"العقوق" يقضي الرصافي ساعاته وأيامه، في البلد الذي ناغاه وناجاه وأنار في جنباته شعاباً كثيرة مظلمة. فهل أقل من أن "نؤنسه" في وحشته هذه بأن نذكره فحسب. ولكن "قبل أن يموت"؟. هذا هو كل ما نعتز به في تذكرنا إياه بهذه القطعة التي هي في طريقها إلى القصيدة الكاملة!".

وقد أجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها:

بك اليوم لا بي أصبح الشعر زاهرا ... وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا

وأعادت الجريدة نشرها بعد فترة وجيزة بمقدمة جديدة للشاعر:

"أردنا عندما ناغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ "الرصافي" أن يكون لنا شرف تذكره وهو في عزلته الموحشة. فكان لنا إلى جانب ذلك أيضاً شرف انبعاث شاعريته الفذة التي حالت حوائل المرض والانعزال و"النقمة" دون تمتع المعجبين بها في شتى الأقطار العربية وبنتاجها.

والآن وقد هززنا الأسد الرابض الضائق ذرعاً بعرينه وبني غابته. المنطوي على نفسه ألماً وغضباً وكبرياء. فليكن لنا شرف الاستماع إلى زئيره.

والآن فليضم المتغنون بشعر الأستاذ "الرصافي" هذه الترنيمة الجديدة إلى مجموعاتهم، وهذه "الزفرة" الحارة إلى السلسلة "المقطوعة" من أخواتها.

وسلام على "عيش؟" الشاعر المتمرس "بالأولى" والمتفكر في "الأخرى"؟ هذا العيش "الحر الطليق" الذي خانتنا كلمة "وفضلت"؟ في التعبير عن مقدار إعجابنا بطبيعته واحترامنا له ولصاحبه.

وسلام على الشعر "الرصافي" المتفتق نوره في الذهن المشبوب والفكر الحائر والنفس الجياشة والمستجيشة بفيضها والقلب المرتج بالعواطف الزاخرة والزاج بصاحبه في شتى المهاوي.

ذلك الشعر "الرصافي" الذي أعجبنا لأنه لم يكن "حبلاً مرغماً" "أوائله أن تلتقي والأواخر". وذلك "العيش" "الرصافي" بماضيه، وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون "تنسيق" ولا "اختيار؟" بل يوحى من "الفكر الحر" و"الصراحة" و"الجرأة" و"محض الطبيعة" وفي بعض الفترات منه يوحي "الضرورة". وهذه هي عناصر عظمته عندنا. وفي هذا جواب "الاستعتاب"؟ الرقيق.

تمَرَّسْتَ "بالأولى" فكنتَ المُغامرا وفكَّرتَ "بالأخرى" فكنتَ المُجاهرا

وفضَّلتَ عيشاً بينَ تلكَ وهذه به كنتَ – بل لولاهُ – ما كنتَ شاعرا

وما الشِّعرُ إلاّ ما تفتَّقَ نَورُه عن الذهنِ مَشبوباً، عن الفكر حائرا

عن النفس جاشتْ فاستجاشت بفيضها عن القلب مرتجَّ العواطفِ زاخرا

وما زجَّ في شتّى المَهاوي بربِّه وقحَّمهُ "النَهجينِ" قصداً وجائراً

وما هو بالحبلِ الذي رُحتُ مُرغِماً "أوائلَه" أنْ تلتقي و"الأواخرا"

***

وكنتَ جريئاً حينَ يدعوكَ خاطرٌ مِن الفكر أن تدعو إليك المَخاطرا

على ثقةٍ أنْ لستَ في الناسِ واجداً على مِثله – إلاّ القليلَ – مُناصرا

وكنتَ صريحاً في حياتكَ كلِّها وكانَ – ومازالَ – المُصارِحُ نادرا

فإنْ شابَها ما لم تجدْ عنه نُدحةً شَفَعْتَ به حُكمَ الظروف مُسايرا

فقد كنتَ عن وحي الضرورةِ ناطقاً وقد كنتَ عن محضِ الطبيعة صادرا

وقد كنتَ في تلك "الأماديحِ" شاتماً مُحيطاً "بأربابِ" القرائحِ كافرا

وإلاّ فأنتَ المانعُ الصُغرِ "عن يدٍ أبتْ أنْ تُحلَّى في الجِنان أساورا"[1]

***

[1] إشارة الى بيت ورد للرصافي في قصيدة له ينتصر بها لحرية الفكر والرأي وهو:

ومن أجل مقتي "للمخانيث" أنكرت يدي أن تحلى في "الجنان" أساورا

وإنَّـــكَ أنقـــى مـــن نُفـــوسٍ خبيثـــةٍ تُـــراودُ بالصَّـــمت المُريـــبِ المَنَـــاكرا

تَعيـــبُ عـــلى الشّـــعرِ التَّحايـــا رقيقـــةً وتلـــثِمُ مـــن "بغـــلٍ هجـــينٍ" حـــوافرا

تريـــدُ القـــوافي المؤنســـاتِ عفيفـــةً وقد أشغرتْ – للفاحشاتِ – الضمائرا[1]

وتُنكـــر أنْ يُستنشـــقَ الشـــعرُ "نفحـــةً" وقـــد فغـــرتْ أشـــداقَها والمنـــاخرا

وتطـــوي عـــلى "أمِّ الـــدَّنايا" مَباطنـــاً وتُلقـــي عليهـــا مـــن إبـــاءٍ مَظـــاهرا

كـــما أســـدلتْ لـــيلاً "هَلـــوكٌ" مُلحَّـــةٌ عـــلى مخـــدعِ العَهـــرِ الحريـــرَ ســـتائرا

مـــن العـــارِ أنْ نـــرضى التذبـــذبَ صـــامتاً دنيئـــاً، خبيثـــاً، والغـــاً، متصـــاغرا

عـــلى حـــينَ نـــأبى أن تحـــرِّكَ شـــاعراً ضرورةُ حـــالٍ بـــدَّلتْ منـــه خـــاطرا

وإنّيَ إذ أُهـــــدي إليـــــكَ تحيَّتـــــي أهـــزُّ بـــكَ الجيـــلَ العَقـــوق المُعـــاصِرا

أهـــزُّ بـــكَ الجيـــلَ الـــذي لا تهـــزُّه نوابغُـــــه، حتـــــى تـــــزورَ المقـــــابرا

بغداد، عام ١٩٤٤

---

[1] أشغرت: أخلت.

الأصيـل في لبنـان

نشرت في جريدة "الرأي العام" ومقدّمتها:

"يزور - الآن - الأستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري سوريا ولبنان بين غياط دمشق ورياض حمانا، حيث يتمتع بجمال تلك المغاني الساحرة، ويتلقى عنها وحي الهوى والشعر. وقد استفز مشاعره منظر الأصيل على الساحل الأبيض في بيروت فصوره في هذه اللوحة الرائعة بألوان زاهية لا تجيد رقشها غير ريشته".

أأنـتَ رأيـتَ الشـمسَ إذ حُـمَّ يومُهـا تَحَـدَّرُ في مهـوىً سـحيقٍ لتغرُبـا؟
تَحَـدَّرُ في مهـوىً تلقَّـفَ قُرْصَـها تلقُّـفَ تَنُّـورٍ رغيفـاً مُحَصَّـبا
ومـا خلَّفـتْ في الجـوِّ مـن خَطراتهـا وما خلعت من مُرقِصـاتٍ عـلى الربـى
ومـا بـدَّلتْ مـن زُرقـة البحـرِ ألهَبَـتْ بجمرتهـا آذيَّـهُ فتلهبـا
تغـيّر حتـى حـوَّم الطـيرُ فوقـه يُحـاذِر أن يـدنو إليـه ليشْـرَبا
وقد صَمَتَ الكـونُ الرهيـبُ ضجيجُه عـلى أنَّـه في صـمتِه كـان أرهبـا
وهـيمنَ روحٌ مـن جِمـامٍ ورقَّـةٍ عـلى الشـاطئين اسـتيقظا فتوثّبـا

***

أأنـتَ رأيـتَ الغـيمَ يلـتمُّ فوقهـا يجـاذِبُ متنيْهـا رداءً مـذهَّبا؟
يغازلهـا مـا غازلتْـهُ، أخـو هـوىً يلاعبُهـا مـا اسـتمتعتْ منـه ملعَبـا
تَجمَّـع مـن أطرافهـا ثـم مسَّـه بروعتـه لألاؤهـا فتشـعَّبا
أأنـت سـألت الكـون عـن أيِّ باعـثٍ بدا في غروب الشمس جذلانَ مُعجبًا؟
وأيِّ يـدٍ مـرَّت عليـه كريمـةٍ صَـناعٍ، فردَّتـهُ أديـا مخضَّـبا؟
ومـا هـذه الأشـباحُ تَـترى؟ أغيمـةٌ تولّـد أظلافـا ونابـاً ومخلبـا؟
غـرابٌ تصـبّاه غـرابٌ، وثعلـبٌ يُطـارد في جَـوْز السَّـاواتِ ثَعْلبـا

وثَــمَّ سَــنامٌ مُســتَجدٌّ وغــاربٌ ... يُنــاديَ أن تســعى إليــه فتركَبــا

وثــمَّ سَــفينٌ مــن دُخــانٍ قُلوعُــه ... ونُوتيُّــهُ رَوح رخــيٌّ مــن الصَّــبا

وأولاءِ رهــطُ الجــنِّ بــين نــديِّهم ... يُقيمــون مــن سِــحْرٍ رُواقــا مطنَّبــا

كــأني أرى المزمــارَ في فــمِ عــازفٍ ... وأسْمَعُ – لـو أقـوى – الغنـاءَ المُشـبَّبا

وتلكـمْ عـلى النـادي تطـوفُ عـرائسٌ ... بــدا ســافراً رهــطٌ، ورهــطٌ تَنَقَّبــا

وهاتيــك أقــزاعٌ لِطــافٌ كؤوسُــها ... وخَمْرَتُهــا جَــوْنُ السَّــحاب تــذوَّبا[1]

بغداد، عام ١٩٤٤

---

[1] أقزاع: جمع قزعة بفتحتين قطعة من السحاب. والجون: الأسود.

أبو العلاء المعري

ألقيت في مهرجان ذكرى أبي العلاء المعري، الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان الشاعر ممثلاً للعراق.

قِــفْ بــالمَعرَّةِ وامْسَــحْ خَــدَّها التَّرِبــا ... واستَوحِ مَـنْ طَـوَّقَ الـدُنيا بَـها وَهَبا[1]

واســتَوحِ مَــنْ طبَّــبَ الــدُّنيا بحكْمتِــهِ ... ومَـنْ عـلى جُرحهـا مِـن رُوحـه سَـكَبا

وســـائلِ الحُفْـــرةَ المرمـــوقَ جانِبُهـــا ... هـل تبتَغـي مَطمَعـاً أو ترتجـي طلَبـا؟

يــا بُــرجَ مفْخَــرةِ الأجــداث لا تهِنــي ... إنْ لم تكــوني لأبــراج السَّــما قُطُبــا

فكـــلُّ نجـــم تمنّـــى في قرارتِـــهِ ... لــو أنّــه بشُــعاعٍ منــكِ قــد جُــذبا

والملهَــمَ الحــائرَ الجبّــارَ، هــل وَصَــلَتْ ... كَــفُ الــرَّدى بحيــاةٍ بَعْـدَه سَــببا[2]؟

وهـــل تَبــدَّلْتَ رُوحــاً غــيرَ لاغبــةٍ ... أم مـا تـزالُ كـأمس تشـتكي اللَّغَبـا[3]؟

وهـــل تخـــبَّرْتَ أنْ لم يـــألُ مُنْطَلِـــقٌ ... من حُرَّ رأيكَ يَطْـوي بعْـدكَ الحِقَبـا[4]؟

أم أنـــتَ لا حِقَبـــاً تـــدري، ولا مِقَـــةً ... ولا اجتــواءً، ولا بُــرءاً، ولا وصَــبا[5]؟

وهـــل تصَـــحَّحَ في عُقبـــاكَ مُقـــتَرَحٌ ... ممّــا تفكــرَّتَ، أو حــدَّثتَ، أو كُتِبـا[6]؟

---

[1] الترب (بكسر الراء): الذي يكسوه التراب.

[2] الملهم منصوبة ((بسائل)) مضمرة.

[3] اللاغبة: المتعبة.

[4] لم يأل: أي لم ينفك ولم يبرح.

[5] المقة: الحب. والاجتواء: البغض.

[6] تفكرت: بمعنى فكرت.

نَــوِّرْ لَنـــا، إننـــا في أيّ مُـــدَّلجٍ ... ممَّــا تَشــكَّكْتَ، إنْ صِــدقاً وإنْ كــذبا[1]

((أبا العلاءِ))، وحتى اليـومِ مـا بَرِحـتْ ... صَنَّاجةُ الشّعر تُهـدي المـترفَ الطَّربـا[2]

يَســتنزلُ الفكــرَ مــن عَليـا مَنازلـهِ ... رأسٌ ليمســحَ مــن ذي نعمــةٍ ذنَبـا

وزُمـــرةُ الأدبِ الكـــابي بزُمرتـــهِ ... تفرَّقــتْ في ضَــلالاتِ الهــوى عُصَبـا

تَصــيَّدُ الجــاهَ والألقـــابَ ناســيةً ... بـــأنَّ في فكــرةٍ قُدســـيَّةٍ لقبـــا

وأنَّ للعبقـــريّ الفـــذِّ واحـــدةً ... إمَّـــا الخُلــودَ وإمَّـــا المــالَ والنَّشــبا

مــن قبـلِ ألـفٍ لَـوَ انَّـا نبتغـي عِظَـةً ... وعَظْتَنَــا أنْ نصــونَ العلــمَ والأدبــا

***

عــلى الحصــيرِ.. وكــوزُ المـاء يَـرفدُه ... وذِهنُـــه.. ورفــوفٌ تحمِــلُ الكتبــا

أقـــامَ بالضَّــجَّةِ الــدُّنيا وأقعــدَها ... شــيخٌ أطــلَّ عليهــا مُشــفقاً حَـدِبا

بَكــى لأوجــاعِ ماضــيها وحاضرِهــا ... وشـــامَ مُســتقْبَلاً منهـــا ومرتقَبـــا

وللكآبــــةِ ألـــوانٌ، وأفجعُهـــا ... أن تُبصــرَ الفيلســوفَ الحُــرَّ مكتئِبـا

تنـــاولَ الــرثَّ مــن طبــعٍ ومُصــطَلَحٍ ... بالنقـــدِ لا يتــأبّى أيّـــةَ شـــجبا

وألهــمَ النــاسَ كــي يَرضَــوا مغبَّــتهم ... أن يُوسعوا العقـلَ ميـداناً ومُضـطَربا[3]

وأنْ يَمـــدُّوا بـــه في كـــلِّ مُطَّـــرحٍ ... وإنْ سُــقوا مِـن جَنـاه الويـلَ والحربـا

---

[1] المدلج: السائر في آخر الليل خاصة.

[2] الصنج: من آلات الطرب وصناجات الشعر المغنون به والمرقوقون إياه.

[3] المغبة: العاقبة.

لثـــورةِ الفكــــرِ تـــأريخٌ يحـــدثُنا ... بـــأنَّ ألـــفَ مســيحٍ دونَهـــا صُـــلِبا
إنَّ الـــذي ألهـــبَ الأفـــلاكَ مِقولُـــه ... والـدَّهرَ.. لا رَغَبـاً يرجـو ولا رَهَبـا..
لم يـــنسَ أنْ تشـــملَ الأنعـــامَ رحمتُـــهُ ... ولا الطيـــورَ.. ولا أفراخَهـــا الزُّغُبـــا
حَنـــا عـــلى كـــلِّ مغصـــوبٍ فضـــمَّده ... وشـجَّ مَـنْ كـان، أيّـاً كـان، مُغتصِـبا
سَـلِ المقـاديرَ، هـل لازلـتِ سـادرةً ... أمْ أنـتِ خجـلى لِمـا أرهقتـهِ نصَـبا؟
وهـــل تعمَّـــدت أنْ أعطيـــتِ ســـائبةً ... هـــذا الـــذي مـــن عظـــيمٍ مثْلِـــه سُـــلبا
هـــذا الضـــياءَ الـــذي يَهـــدي لِمَكْمَنِـــه ... لِصّـــاً ويُرشـــدُ أفعـــى تنفُـــثُ العَطَبـــا
فـــإنْ فَخَـــرتِ بـــما عوَّضـــتِ مـــن هبـــةٍ ... فقـــد جنيـــتِ بـــما حمَّلتـــهِ العصَـــبا

***

تلمَّـــسَ الحُســـنَ لم يمـــدُدْ بمُبـــصرةٍ ... ولا امـــترَى دَرَّةً منهـــا ولا حَلبـــا[1]
ولا تنـــاولَ مـــن ألوانهـــا صُـــوراً ... يَصُـــدُّ مبتعِـــدٌ مـــنهنَّ مُقتربـــا
لكـــنْ بأوســـعَ مـــن آفاقهـــا أمـــداً ... رَحْبـاً، وأرهـفَ منهـا جانبـاً وشَـبا
بعـــاطفٍ يتبنّـــى كـــلَّ معـــتلجٍ ... خفَّاقُـــه ويُزكّيـــهِ إذا انتســـبا[2]
وحاضـــنٍ فُـــزِّعَ الأطيـــافِ أنزلهـــا ... شِـــعافَه وحَباهـــا مَعقِـــلاً أشِـــبا
رأسٌ من العصبِ السامي على قَفصٍ ... مـــن العظـــام، إلى مهزولـــةٍ عُصِـــبا

---

[1] امترى: احتلب.

[2] المقصود بـ ((عاطف)) هنا القلب و بـ ((معتلج)) ما يخالجه من العواطف.

أهـــوى عـــلى كُـــوَّةٍ في وجهـــهِ قـــدَرٌ فسَـــدَّ بالظُّلْمـــةِ الثُقبـــينِ فاحتجبـــا[1]

وقـــال للعاطفـــاتِ العاصـــفات بـــهِ ألآنَ فالتمســـي مِـــن حُكمـــهِ هربـــا

ألآنَ يـــشربُ مـــا عتَّقـــتِ لا طَفَحـــاً يخشـــى عـــلى خـــاطرٍ منـــه ولا حَببـــا

ألآنَ قـــولي إذا استوحشـــتِ خافقَـــه هـــذا ((البصـــيرُ)) يُرينـــا آيـــةً عَجبـــا

هـــذا ((البصـــيرُ)) يُرينـــا بـــين مُنـــدرسٍ رثِّ المعـــالم، هـــذا المرتَـــعَ الخَصِـــبا[2]

***

((زنجيَّـــةُ الليـــلِ)) تَـــروي كيـــف قلَّـــدَها في عُرسها غُرَرَ الأشـعار.. لا الشُّـهُبا[3]

لعـــلَّ بـــينَ العَمـــى في ليـــلِ غُربتـــه وبـــين فحمَتِهـــا مـــن أُلفَـــةٍ نســـبا

و (ســـاهرُ الـــبرق)) والسُّـــمَّارُ يُـــوقِظهم بـــالجزع يَخفـــق مـــن ذِكـــراه مُضـــطربا[4]

و ((الفجرُ)) لو لم يلُـذْ بالصبح يَشـربه مـــن المطايـــا ظِـــماءً شُرَّعـــاً شُربـــا[5]

والصـــبحُ مـــا زال مُصـــفرّاً لمقرَنـــهِ في الحُسْن بالليل يُزجـى نحـوه العتبـا[6]

***

---

[1] الكوة إشارة إلى دائرة العين ومركزها، والثقبان هما فتحتا العينين.

[2] مندرس رث المعالم: يراد به أديم الوجه المتأثر بانطماس العينين. والمرتع الخصب: يراد به عقل أبي العلاء وروحه.

[3] البيت إشارة الى بيت أبي العلاء المشهور:

ليلتي هذه عروسٌ من "الزنج" عليها قلائد من جُمان

[4] إشارة إلى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضا:

يا ((ساهر البرق)) أيقظ راقد السمر لعل بالجزع أعواناً على السهر

[5] إشارة إلى بيته وهو أجمل وأرق ما سمع في وصف تبلج الصباح:

يكاد الفجر تشربه المطايا وتملأ منه أوعية شنان

[6] إشارة إلى بيت له من قصيدته التي مر ذكر البيت السابق منها وهو:

يـا عاريـاً مـن نَتـاجِ الحُـبِّ تكرمـةً | وناسـجاً عَفَّـةً أبـرادَهُ القُشُـبا
نعـوا عليـكَ ـ وأنـت النـورُ ـ فلسـفةً | سـوداء لا لـذَّةً تبغـي ولا طَرَبـا
وحمَّلـوكَ ـ وأنـت النـارُ لاهبـةً ـ | وِزرَ الـذي لا يُحِسُّ الحُـبَّ ملتهِبـا
لا موجـةُ الصَّـدرِ بالنهـدينِ تدفعـه | ولا يَشـقُّ طريقـاً في الهـوى سَربـا
ولا تُدغـدِغُ منـه لـذَّةٌ حُلُـماً | بـل لا يُطيـقُ حـديث اللـذَّةِ العـذِبا
حاشـاك، إنَّـكَ أذكـى في الهـوى نَفَسـاً | سَـمْحاً، وأسـلسُ مـنهمْ جانبـاً رطِبـا
لا أكـذبنَّكَ إنَّ الحُـبَّ مـتَّهمٌ | بـالجَور يأخـذُ مِنَـا فـوقَ مـا وَهَبـا
كـم شـيَّعَ الأدبُ المفجـوعُ مُحتضَـراً | لـدى العيـونِ وعنـدَ الصـدر مُحتَسَبا[1]
صَرعـى نَشـاوى بـأنَّ الخَـودَ لُعبتُهم | حتـى إذا اسـتيقظوا كـانوا هُـمُ اللُّعَبـا
أرتهُـمُ خـيرَ مـا في السِّـحرِ مـن بُـدعٍ | وأضمرتْ شرَّ مـا قـد أضـمرتْ عُقبـا

***

عـانى لَظـى الحُـبِّ ((بشَّـارٌ)) وُعصـبتهُ | فهـل سـوى أنَّهـم كـانوا لـه حَطبـا
وهـل سـوى أنهـم راحـوا وقـد نـذروا | للحـبِّ مـا لم يَجِـبْ مـنهم ومـا وَجَبـا

= رب ليل كأنه الصبح في الحسن | وإنْ كان أسود الطيلسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:

عللاني فإن بيض الأماني | فنيت والزمان ليس بفان

[1] المحتضر: من أدركه الموت فاشرف عليه. والمحتسب: المقصود بالموت ويقال ذلك للكبير. فان كان المفقود صغيرا قيل فيه ((مفترط)) بفتح الراء.

هـل كنـتَ تخلـدُ إذ ذابـوا وإذ غَـبرُوا — لو لم ترُضْ من جِماحِ الـنفس مـا صَـعُبا

تـأبى انحـلالاً رسـالاتٌ مقدَّسـةٌ — جـاءت تقـوِّمُ هـذا العـالَمَ الخَرِبـا

***

يـا حـاقِرَ النبـع مزهُـواً بقوَّتِـهِ — ونـاصراً في مجـالي ضـعفهِ الغَرَبـا[1]

وشـاجبَ المـوت مـن هـذا بأسـهمهِ — ومُسْـتمّناً لهـذا ظِلَّـهُ الرَّحِبـا

ومُحـرِجَ المُـوسرِ الطـاغي بنعمتـهِ — أن يُشرِكَ المُعْسِرِ الخـاوي بـما نهبـا

والتَّـاجُ إذ تتحـدّى رأسَ حامِلـه — بـأيِّ حـقٍّ وإجمـاعٍ بـه اعتصـبا

***

وهـؤلاء الـدُّعاةُ العـاكفونَ عـلى — أوهـامهم، صـنماً يُهدونـه القُرَبـا[2]

الحـابطونَ حيـاةَ النـاس قـد مَسـخوا — مـا سَـنَّ شَرْعٌ ومـا بـالفطرة اكتُسِـبا

والفـاتلونَ عثانينـاً مُهـرّأةً — سـاءتْ لمحتطـبٍ مَرعـى ومُحتطَبـا[3]

والمُلصِـقونَ بعـرشِ الله مـا نسـجت — أطماعهُـم: بِـدَعَ الأهـواءِ والرِّيبـا

والحـاكمونَ بـما تُـوحي مطـامعهُم — مـؤوَّلينَ عليهـا الجِـدَّ واللَّعبـا

---

[1] النبع: شجر يعرف بقوته وتتخذ منه السهام والقسي. والغرب: شجر معروف بسهولة انكساره. ومعنى البيت الإشارة إلى شجب المعري القوة بكل مظاهرها. واحتضانه الضعفاء من كل جنس.

[2] يريد بهم المشعوذين باسم الدين والذين يروجون للبدع وللخرافات ويضيقون آفاق الحياة على الجماهير.

[3] العثانين: جمع عثنون بالضم: اللحية.

على الجلودِ من التدليس مَدرعةٌ وفي العيونِ بريقٌ يخطَف الذهبا

ما كان أيُّ ضلالٍ جالباً أبداً هذا الشقاء الذي باسم الهُدى جُلبا!

أوسَعْتَهم قارصاتِ النقدِ لاذعةً وقلتَ فيهم مَقالاً صادقاً عَجَبا

((صاحَ الغرابُ وصاحَ الشيخُ فالتبستْ مسالِكُ الأمرِ: أيٌّ منهما نعبا))

***

أجللتُ فيكَ من الميزات خالدةً حُريةَ الفكرِ والحِرمانَ والغضبا

مجموعةً قد وجدناهُنَّ مُفردةً لدى سواكَ فما أغْنَيْننا أرَبا

فربَّ ثاقبِ رأيٍ حطَّ فكرتَه غُنمٌ فسفَّ.. وغطَّى نورَها فخبا

وأثقلَتْ مُتَعُ الدُّنيا قوادِمَهُ فما ارتقى صُعُداً حتى ادّنى صَبَبا

بَدا له الحقُّ عُرياناً فلم يَرَهُ ولاحَ مقتلُ ذي بغيٍ فما ضَربا

وإنْ صدقتُ فما في الناس مُرتكباً مثلُ الأديبِ أعانَ الجورَ فارتكبا

هذا اليراعُ، شواظُ الحقّ أرهفه سيفاً وخانعُ رأي ردَّه خشبا

ورُبَّ راضٍ من الحرمان قِسمتَه فبرَّرَ الصبرَ والحرمانَ والسَّغَبا

أرضى، وإنْ لم يشأ، أطماحَ طاغيةٍ وحالَ دونَ سوادِ الشعب أن يثبا

وعوَّضَ الناسَ عن ذُلٍّ ومَتربةٍ مِن القناعةِ كنزاً مائجاً ذهبا!!

جيشٌ من المثُلِ الدُّنيا يَمُدُّ به ذوو المواهبِ جيشَ القوَّةِ اللَّجِبا

***

آمنتُ بالله والنورِ الذي رسَمَتْ به الشرائعُ غُرّاً منهجاً لَحِبا

وصُــنتُ كــلَّ دُعــاةِ الحــقِّ عــن زَيــغٍ والمُصــلحينَ الهــداةَ، العُجْــمَ والعَربَــا

وقــد حَمِــدتُ شــفيعاً لي عــلى رَشَــدي أُمّــاً وجــدتُ عــلى الإســلام لي وأبــا

لكــنَّ بي جَنَفَــاً عــن وعــي فلســفةٍ تقضــي بــأنَّ البرايــا صُــنِّفتْ رُتَبــا[1]

وأنَّ مِــن حِكمــةٍ أنْ يجتنــي الرُّطبــا فَــرْدٌ بجَهــد ألــوف تعلــكُ الكَرَبَــا[2]

بغداد، عام ١٩٤٤

---

[1] الجنف: الميل والانحراف.

[2] الكرب: أصول سعف النخل.

أحيّيك طـه

نشرت في جريدة ((الراي العام)) وقدمتها:

كان عميد الأدب العربي طه حسين قد أقام مأدبة على شرف الوفود العربية المشاركة في مهرجان المعري في دمشق وباسم الحكومة المصرية، وقد حضرها أقطاب البيان والشعر والأدب من شتى الأقطار العربية. وفي هذه المأدبة أنشد صاحب هذه الجريدة القطعة التالية معبراً فيها عن مكانة الدكتور طه السامية في نفوس العراقيين وداعياً إياه لزيارة العراق الذي يكنّ أبناؤه المثقفون الإعجاب الشديد بأدبه الجم. وقد أجاب سعادته عليها بكلمة مؤثرة استهلها:

((وصدق الرسول العظيم: إن من البيان لسحراً، وأن من الشعر لحكمة)) لقد أفحمني الأستاذ الجواهري بهذا البيان الساحر الذي هو البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح. وبدعوته الكريمة إياي لزيارة العراق الذي أكنُّ له في قلبي الحب والشوق. وإن كان قد قرنني بالمعري الذي لست بالغ شأوه. وإنه لمما يسرّني أن تتهيأ لي الأسباب في القريب العاجل لإجابة دعوة الأستاذ الجواهري)).



أُحيّيكَ ((طه)) لا أُطيلُ بكَ السَّجْعا … كفَى السَجْع فَخراً محضُ إسمكِ إذ تُدعى

أُحيّيكَ فَذّاً في ((دِمشقَ)) وقبلَها … ((ببغدادَ)) قد حيّيتُ أفذاذَكم جَمْعا

شكرناكَ: أنا في ضيافة نابغٍ … نُمتّعُ منه العينَ والقلبَ والسمعا

ذرفتُ - على أنْ لا يرانا بطرفه … وإنْ حسَّنا بالقلب - من أسفٍ دمعا

وكُنَّا على آدابكَ الغُرِّ قَبلَها … ضُيوفاً فما أبقيتَ في كرمٍ وُسْعا

نهضتَ بنا جِيلاً وأبقيتَ بعدَنا … لأبنائنا ما يَحمِدونَ به المَسعى

***

أبا الفكرِ تستوحي من العقلِ فذَّه … وذا الأدبَ الغضَّ استثرتَ به الطَّبعا

ويا سحرَ موسى إنَّ في كلِّ بُقعةٍ … لما تجتلي من آيةٍ حيَّةً تسعى

لكَ الله محمولاً على كلِّ خاطرٍ … ومن كلِّ قلبٍ رُحْتَ تحتلُّهُ تُرعى

أنبّيكَ أنَّ ((الرافدينِ)) تطلّعتْ … ضِفافُهما واستنْهضَ الشَّجرُ الزرعا

نمى خبرٌ أنْ سوفَ تسعى إليهما … فكادَ إليكَ النخلُ من طربٍ يسعى

وقد نذرَ الصَّفصافُ وارفَ ظلِّهِ … عليكَ وأوصى ـ أن يساقيَكَ ـ النبعا

هلمَّ لشطآنِ الفُراتينِ واستمِع … أهازيجَها تستطرفِ المعجِزَ البَدعا[1]

وطارِحْ به سجعَ الحَمام فإنَّه … لُهاثٌ على الجرْحى، نُواحٌ على الصَّرْعى

---

[1] البدع: الطريف المعجب.

وواسٍ عليه الـرازحينَ مـن الهـوى وطبّـب هنـاكَ النازعـاتِ بـه نزعـا[1]

هناك تلمَّسْ ((ضائعَ الحبّ)) وافتقِد ضـحاياه واراْبْ للقلـوب بـه صَـدعا[2]

وجـدِّدْ لنـا عهـدَ ((المعـرِّي)): إنَّـه قضـى، وهـوى بغـدادَ يلذعـهُ لـذعا[3]

وكنّـا إذا ضـاقتْ بـلادٌ برائـدٍ أتانـا فـلا المُرتـادَ ذمَّ ولا المرعـى

إلى الآنَ في بغـدادَ تُسـتافُ مِسـكةٌ لناقتـهِ ممـا أثـارت بهـا نقعـا[4]

ونمـزجُ مـن مـاء الفـراتينِ جَرعـة بـذاكرهُ مما عـبَّ مـن صَـفوة جَرْعـا

ونهـوى السـفينَ الحـائراتِ كأنّهـا سـفينتُه إذ تشـتكي الأيـنَ والضَّـلْعا[5]

أجـلْ، قـد خطفناهـا مخافـةَ فُرقـةٍ وخشـيةَ إزمـاع نضـيقُ بـه ذرعـا[6]

وضـاق بـه ذرعـاً وحسـبيَ شـاهداً ((نبيٌّ من الغِربان لا يعرفُ الشـرعا))[7]

---

[1] البرازحون: المتعبون. والنازعات: من أدركهن الموت.

[2] ضائع الحب: إشارة إلى كتاب الدكتور ((طه)) (الحب الضائع).

[3] إشارة إلى بيت المعري في (وداع بغداد)

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على جمرات ما ينين من اللذع

[4] المُسكة: الطينة العطرة. الناقة: كناية عن السفينة التي أقلت أبا العلاء الى بغداد بطريق الفرات، وقد كنى بها المعري في موارد من شعره عن السفينة.

[5] الأين: التعب. الضلع: الميل والعوج.

[6] البيت ومابعده إشارة للرواية التي اختلف فيها المؤرخون وصدقها أكثرهم من أن سفينة أبي العلاء قد سرقت منه في مرساها في محلة الأنباريين ببغداد. الإزماع: قرار على السفر.

[7] إشارة إلى مطلع قصيدة أبي العلاء المعروفة في وداع بغداد والتي مر ذكر البيت السابق منها وهو:

هلـمَّ إلى ((بغـدادَ)) لا تخـشَ خاطفـاً فإنّا نسجنا مـن ((فريـدٍ)) لـك الـدرعا[1]

ســنحجزُه نرتـــادُ ذكـــراك عنـــده وينفحُنـا مـن طيـب أنفاسـك الردعـا[2]

دمشق عام ١٩٤٤م

= نبي من الغربان ليس على شرع يذكرنا أن القلوب إلى صدع

[1] هو ((فريد شحاتة)) سكرتير الدكتور طه.

[2] الردع: الزعفران وأثر الطيب في الجسد.

جمال الدين الأفغاني

ألقيت في حفل الاحتفاء بمرور رفات جمال الدين الأفغاني من العراق في طريقه إلى أفغانستان الذي أقيم في الحضرة الكيلانية صباح يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٤٤.

هَوِيتَ لِنصرة الحقّ السُّهادا فلولا الموتُ لم تُطِقِ الرُّقادا

ولولا الموتُ لم تَترُكْ جِهاداً فَلَلْتَ به الطغاةَ ولا جِلادا

ولولا الموتُ لم تُفْرِحْ فُرادى صَعَقْتَهُمُ،ولم تُحزِنْ سوادا[1]

ولولا الموتُ لم يذهبْ حريقٌ بيانعةٍ وقد بَلَغَتْ حَصادا

وإنْ كانَ الحدادُ يَرُدُّ مَيتاً وتَبلُغُ منه ثاكلةٌ مُرادا

فإنْ ((الشَّرقَ)) بينَ غدٍ وأمسِ عليكَ بِذِلَّةٍ لبِسَ الحِدادا!

***

ترفَّعْ أيُّها النجم المُسجَى وزِد في دارة الشَّرفِ اتقادا

ودُرْ بالفكر في خَلَدِ الليالي وجُلْ في الكونِ رأياً مُستعادا[2]

وكُنْ بالصمتِ أبلغَ منك نَطْقاً وأورى في مُحاجَجةٍ زِنادا[3]

فإنَّ الموتَ أقصرُ قِيدَ باعٍ بأنْ يَغتالَ فِكراً واعتقادا[4]

***

جمالَ الدين، يا روحاً عَليّاً تنزَّلَ بالرسالة ثمَّ عادا

---

[1] فُرادى: يعني الخاصة. السواد: يعني العامة.

[2] الخلد: البال والقلب.

[3] النطق (بفتح النون وكسر): الناطق.

[4] القيد هنا بمعنى المقدار ويجيء بكسر القاف وبفتحها.

تجشَّـــمْتَ المهالـــكَ في عَســـوفٍ تجشَّـــمَهُ ســـواك فـــما اســـتَقادا[1]

طَريـــقِ الخالِـــدينَ، فمـــن تَحامـى مصـــايرَهُمْ تَحامـــاه وحــــادا

كثـيرِ الرُّعْـبِ بالأشـلاءِ، غطَّـتْ مَغـــاورَهُ الجماجِـــمُ والوِهـــادا

جمـــاجِمُ رائِـــدي شرَفٍ وحـــقٍّ تهـــاوَوا في مجاهِلِـــهِ ارْتيـــادا!

وأشـــباحُ الضـــحايا في طـــواهُ عـــلى السـارينَ تحتشِـدُ احتشـــادا!

وفـوقَ طُروسـه خُطَّـتْ سُـطورٌ دمُ الأحـــرار كـــان لهـــا مِـــدادا

شَـقَقْتَ فِجاجَـهُ لم تخـشَ تَيْهـاً ومَذْئبـــةً ولـــيلاً وانفِـــرادا

لأنـكَ حامـلٌ مـا لا يُـوازى بقوَّتـــهِ: العقيـــدةَ والفـــؤادا!

وتختلـفُ الـدُروبُ وسـالكوها وغايُتهـــا، دنُـــوَّاً وابتعـــادا

ويختلـــفُ البُنـــاةُ ورُبَّ بـــانٍ بَنـــى مـــن فِكـــرةٍ صَرْحـــاً وشـــادا

وأنـتَ ازدَدْت مـن سُـمٍّ زُعـافٍ تَذَوَّقَـــهُ ســـواك فـــما اســـتزادا!

نضـالِ المسـتبدِّ، يَـرى انكشـافاً عمايتَـــهُ، وعثرتَـــه ســـدادا[2]

إذا اسـتحلَى غَوايتَـه وأصـغى إلى المتـــزلِّفينَ لـــه تمـــادى

خَشـيتَ اللهَ عـن علـمٍ وحـقٍّ إذا لم تخـــشَ في الحـــقّ العبـــادا

طَلَبْـتَ اللّـذةَ الكُـبرى فكانـت طريـــفَ الفِكـــرِ والهِمـــمِ الـــتِّلادا

وأعصـاباً تَشُـدُّ عـلى الرَّزايـا إذا طاشَـــتْ وتَغلِبُهـــا اتّئـــادا

---

[1] العسوف: الصعب الوعر. استقاد: انقاد.

[2] نضال المستبد بدل من ((سم زعاف)) في البيت السابق.

ولمّــا كنــتَ كــالفجر انبلاجــاً ((وكالعنقــاء تكْــبُرُ أن تُصــادا))[1]

مَشَــيتَ بقلــبِ ذي لَبــدٍ هَصــورٍ ((تعانِــدُ)) مــن تُريــدُ ((لــه العِنــادا))

صــليبَ العُــودِ، لم يَغمــزْكَ خَــوفٌ ولم تَســهُلْ عــلى الــترفِ انعقــادا[2]

ولم تَنــزِلْ عــلى أهــواء طــاغٍ ولا عــمّا تُريــدُ لِمــا أرادا

ولم تُجــدِ الأمــانيَ والمنايــا مُسَــوِّغَةً عــن الحــقِّ ارتــدادا

ولم أرَ في الرجــالِ كمُســتَمِدٍّ مــن الحــقِّ اعتــزازاً واعتــدادا

وكــان مُعســكرانِ: الظلــمُ يَطغــى ومظلــومٌ، فلــم تَقِــفِ الحِيــادا

ولم تحــتجَّ أنَّ البَغْــيَ جــيشٌ وأنَّ الــزاحفينَ لــه فُــرادى

ولا أنَّ الليــاليَ مُحرِجــاتٌ وانَّ الــدَّهرَ خصــمٌ لا يُعــادى

وأنَّ الأمــرَ مرهــونٌ بوقــتٍ ينــادي حــينَ يــأْزَفُ لا يُنــادى[3]

مَعــاذيرٌ بهــا ادَّرَعَــتْ نُفــوسٌ ضــعافٌ تَرهــبُ الكُــربَ الشِّــدادا

تُريــدُ المجــدَ مُرتميــاً عليهــا جَنــيَ غَضّــاً تلَقّفُــهُ ازدِرادا!

* * *

---

[1] في هذا البيت والبيت الذي يليه تضمين ومعارضة لبيت المعري المشهور:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تُطيق له عنادا

أي فعاند من تريد، وليس من تطيق عناده!.

[2] انعقد الشيء وعليه: أي خلص له واستقام.

[3] يأزف: أي يحين.

جمـالَ الـدينِ كنـتَ وكـانَ شرقٌ وكانـت شِرعـةٌ تَهَـبُ الجهـادا
وكانـت جَنَّـةٌ في ظِـلِّ سـيفٍ حَمـى الفَـردُ الـذِّمارَ بـه وذادا
وإيـمانٌ يقـودُ النـاسَ طوعـاً إلى الغَمَـراتِ فَتـوى واجتهـادا
ونـاسٌ لا الحضـارةُ دنَّسَـتْهُمْ ولا طـالُوا مـع الطَّمَـعِ امتِـدادا
وكانـت ((عُـروةٌ وُثْقـى)) تُزَجّـى لمنقَسِـمينَ حُبّـاً واتحـادا[1]
ونيَّـةُ ساسـةٍ بَسُـطَتْ فبانـت ووجْـهُ سياسـةٍ جـلّى وكـادا
وحُكْـمٌ كالـدُّجى عُريـانُ صـافٍ فلـم يُنْكِـرْ، إذا انتسبَ،السَّـوادا[2]
ولم يُـدْخِلْ مـن الألـوانِ ظِـلاً يلـوذُ بـه انتقاصـاً وازْديـادا
دَجَـا قَسْراً وسـادَ، وكـان شَـهماً صريحـاً أنَّـه بـالرُّغمِ سـادا
وجِئـتَ ورِفقـةٌ لـك كالـدَّراري لِضُـلّالٍ بغَيْهَبِـه، رشـادا
تَصُـدُّ عُبابَـهُ وجهـاً لوجـهٍ وتزْحَمُـهُ انعكاسـاً واطّـرادا

***

جمـالَ الـدينِ كنـتَ وكـانَ عهـدٌ سُـقيتَ لمـا صـمَدْتَ لـه العِهـادا[3]
نَـمَا واشـتطَّ واشـتدَّتْ عُـراه وزادَ الصـامدونَ لـهُ اشـتدادا

---

[1] ((عروة وثقى)) إشارة إلى المجلة الشهيرة التي كان يصدرها في باريس الفقيدان ((الأفغاني)) و ((عبده)) ويناضلان بها الاستعمار البريطاني في الشرق.

[2] أنكر ينكر: ونكر ينكر.

[3] العهاد: المطر.

مشَـتْ خمسـونَ بعـدَك مُرْخِيـاتٍ أعِنَّتَهـا، هِجانـاً لا جِيـادا[1]

محمَّلـةً وُسُـوقاً مـن فُجـورٍ وشـامخةً كَمُحصَـنةٍ تَهـادى[2]

تحـوَّرتِ السياسـةُ عـن مَـداها إلى أنـأى مـدىً وأقـلَّ زادا

وبـاتَ الشـرقُ ليلَتَـه سَـليماً عـلى حـالينِ مـا اختَلَفَـا مُفـادا

عـلى حُكمـينِ مـن شَـفَعٍ وَوِتْـرٍ عُصـارةُ كـلّ ذلـك أنْ يُسـادا

ولُطِّفَـتِ الإبـادة، فهـو حُـرٌّ بـأيِّ يَـدٍ يُفَضِّـلُ أن يُبـادا!

ومُـدتْ إصـبَعٌ لذويـهِ فيـهِ فعاثـتْ فـوقَ مـا عـاثُوا فَسـادا!

فكَـمْ في الشـرقِ مـن بَلـدٍ جـريحٍ تشَـكّى لا الجـروحَ بـل الضِّـمادا!

تشـكّى بَغـيَ مُقتـادٍ بغـيضٍ تـأبّى أنْ يُطاوعَـه انقيـادا

فكانـتْ حِيلَـةٌ أنْ يَمْتَطيـهِ رضـيعُ لِبانـه فبغـى وزادا

صَـدىً للأجنبـيّ، ورُبَّ قَفْـرٍ أعـادَ صـدىً فَسَـرَّ بـما أعـادا

وكـان أجـلَّ مـن زُمَـرٍ إذا مـا تجنَّـى المُسـتَبيحُ، بهـا تفـادى

فكـانوا منـه في العَـوْراتِ سِـتراً وكـانوا فـوقَ جمرتـهِ رمـادا

تـروّى مـن مَطامعـهِ وأبقـى لهـم مـن سُـؤرِ مـا وَرَدَ، الـثمادا

وكـان إذا تهضَّـمهُ غريـبٌ أقـامَ لـه القيامـةَ والمَعـادا

---

[1] خمسون: يراد بها السنون التي اعقبت موت السيد الأفغاني. ومرخيات اعنتها: كناية عن استرسالها. والهجان غير الكريمة ولا الأصيلة في أنسابها.

[2] الوسوق: الأحمال والأثقال.

فأســـلَمَهُ الغريـــبُ إلى قريـــبٍ ... يُســـخِّرُهُ كـــما شـــاءَ اضـــطهادا

وكـــان الأجنبـــيُّ وقـــد تَـــولّى ... زمـــامَ الأمـــرِ واغتصـــبَ الـــبلادا

يـــرى أدنـــى الحُقـــوقِ لهـــمْ عليـــه ... مُســـاغَ النقـــد والكلِـــمَ المُعـــادا

فأضـــحوا يحســـبونَ النقـــدَ فتحـــاً ... لـــو اســـطاعُوا لِمـــا يَصِـــمُ انتِقـــادا

فبـــئسَ مُنـــىً لمصـــفودٍ ذليـــلٍ ... لَـــوَ انَّ يَديـــه لم تَضَـــعَا الصِـــفادا[1]

وبـــئسَ مَصـــيرُ مُفترِشـــينَ جمـــراً ... تمنّـــيْهم لـــو افتَرَشـــوا القَتـــادا[2]

وكـــانوا كـــالزُّروعِ شَـــكَتْ مُحـــولاً ... فلـــمّا اســـتمْطرتْ مُطـــرَتْ جـــرادا!

بغداد عام ١٩٤٤

---

[1] الصفاد: بالكسر ما يوثق به الأسير.

[2] القتاد: شجر له شوك.

يافا الجميلة

قدمتها جريدة ((الرأي العام)) عند نشرها بالمقدمة الآتية:

((القطعة الشعرية التي ألقاها صاحب هذه الجريدة في الحفلة التي أقامها لتكريمه المجمع الثقافي في ((يافا)) الذي يمثل عدة نواد ثقافية وأدبية، حاول فيها ـ ما استطاع ـ أن يعبر عن إحساساته المختلطة تجاه سحر البلد الجميل، وأهاليه الأطايب، والسدود المضروبة بين هذه الأقاليم المفرقة.

بـ ((يافـا)) يـومَ حُـطَّ بهـا الرِكـابُ | تَمَطَّـرَ عـارِضٌ ودجـا سَـحابُ
ولَـفَّ الغـادةَ الحسـناءَ ليـلٌ | مُريـبُ الخطـوِ لـيسَ بـه شِـهابُ
وأوسَـعَها الـرَّذاذُ السَّـحُّ لَـثْماً | فَفيهـا مِـنْ تحرُّشِـهِ اضـطِرابُ[1]
و ((يافـا)) والغُيـومُ تَطـوف فيهـا | كحالِمـةٍ يُجَلِّلُهـا اكتئـابُ
وعاريـةُ المحاسـن مُغريـاتٍ | بكـفِّ الغَـيمِ خِـيطَ لهـا ثيـابُ
كـأنَّ الجـوَّ بـين الشـمسِ تُزْهَـى | وبـينَ الشـمسِ غطّاهـا نِقـابُ
فـؤادٌ عـامِرُ الإيمـانِ هاجَـتْ | وساوِسُـهُ فخـامَرَهُ ارتيـابُ
وقفـتُ مُـوَزَّعَ النَّظـراتِ فيهـا | لِطـرفي في مغَانيهـا انْسـيابُ
ومـوجُ البحـرِ يَغسِـلُ أَخْمَصَـيْها | وبـالأنواءِ تغتسـلُ القِبـابُ
و ((بيّاراتُهـا)) ضَربـتْ نِطاقـاً | يُخطِّطُهـا كـما رُسِـمَ الكتـابُ[2]
فقلـتُ وقـد أُخـذتُ بسـحرِ ((يافـا)) | و أتـرابٍ ليافـا تُسـتطابُ
((فلسـطينٌ))، ونعـمَ الأمُّ، هـذي | بَناتُـكِ كلُّهـا خَـوْدٌ كَعـابُ[3]

* * *

أقلَّتنـي مـن الـزَّوراءِ رِيـحٌ | إلى ((يافـا)) وحلَّـقَ بي عُقـابُ

---

[1] الرذاذ: المطر الضعيف في أول نزوله. والسح مصدر أقيم مقام الصفة وهو بمعنى المنصب والمنسكب.

[2] البيارات: هي مغارس البرتقال عند أهل فلسطين.

[3] خود: حسناء.

فيا لكَ ((طائراً)) مَرِحاً عليه　　　طيورُ الجوِّ من حَنَقٍ غِضابُ

كأنَّ الشوقَ يَدفَعُهُ فيُذكي　　　جوانِحَهُ من النجمِ اقترابُ

ركِبناهُ لِيُبْلغَنا سَحاباً　　　فجاوزَه، لِيبلُغَنا السَّحابُ

أرانا كيف يهفو النجمُ حُبّاً　　　وكيفَ يُغازِلُ الشمسَ الضَّبابُ

وكيفَ الجوُّ يُرقِصُهُ سَناها　　　إذا خَطرتْ ويُسكِره اللُّعابُ

فما هيَ غيرُ خاطرةٍ وأخرى　　　وإلّا وَثْبةٌ ثُمَّ انصِبابُ

وإلّا غفوةٌ مسَّتْ جُفوناً　　　بأجوازِ السماءِ لها انجِذابُ

وإلّا صحوةٌ حتّى تمطَّتْ　　　قوادِمُها، كما انتفَضَ الغُرابُ

***

ولّما طبَّقَ الأرَجُ الثنايا　　　وفُتِّحَ مِنْ جِنانِ الخُلدِ بابُ

ولاحَ ((اللُّدُّ)) مُنبسطاً عليهِ　　　مِنَ الزَهَراتِ يانِعةً خِضابُ[1]

نظرْتُ بمُقْلةٍ غطّى عليها　　　مِنَ الدمعِ الضليلِ بها حِجابُ

وقلتُ وما أحيرُ سوى عِتابٍ　　　ولستُ بعارفٍ لِمَنِ العتابُ[2]

أحقّاً بينَنا اختلَفَتْ حُدودٌ　　　وما اختلفَ الطريقُ ولا الترابُ

ولا افترقتْ وجوهٌ عن وجوهٍ　　　ولا الضّادُ الفصيحُ ولا الكِتابُ

***

[1] أللد: من ضواحي يافا، وفيه مطارها المعروف باسمه.

[2] لا أحير: أي لا أجد كلاما وماضيه حار.

فيـــا داري إذا ضـــاقَت ديـــارٌ ويـــا صَـــحبيْ إذا قَـــلَّ الصِـــحابُ

ويـــا مُتســـابِقينَ إلى احتِضـــاني شَـــفيعي عِنـــدَهم أدبٌ لُبـــابُ

ويـــا غُـــرَّ الســـجايا لم يَمُنُّـــوا بـــما لَطُفـــوا عـــليَّ ولم يُحـــابوا

ثِقـــوا أنّـــا تُوَحِّـــدُنا همـــومٌ مُشـــارِكةٌ ويجمعُنـــا مُصـــابُ

تشِـــعُّ كريمـــةً في كـــل طَـــرفٍ عراقـــيٍّ طيـــوفُكُمُ العِـــذابُ

وســـائلةٌ دَمـــاً في كـــلِّ قلـــبٍ عراقـــيٍّ جُـــروحُكُمُ الرِّغـــابُ[1]

يُزَكينـــا مـــن المـــاضي تُـــراثٌ وفي مُســـتَقْبَلٍ جَـــذِلٍ نِصـــابُ

قَـــوافِيَّ التـــي ذوَّبـــتُ قامَـــتْ بعُـــذري، إنّهـــا قلـــبٌ مُـــذابُ

ومـــا ضـــاقَ القـــريضُ بـــه ســـتمحو عـــواثِرَهُ صُـــدورُكم الرّحـــابُ

لـــئنْ حُـــمَّ الـــوَداعُ فضِـــقتُ ذَرعـــاً بـــه، واشـــتفَّ مُهجتـــيَ الـــذَّهابُ

فمِـــنْ أهـــلي إلى أهـــلي رجـــوعٌ وعـــنْ وطَنـــي إلى وطنـــي إيـــابُ

يافا ـ فلسطين، عام ١٩٤٥

---

[1] الرغاب: الواسعة.

ألقت مراسيها الخطوب

(انتهاء الحرب العالمية)



ألقــتْ مراسِــيَها الخُطــوبُ وتَبَسَّـــمَ الـــزمنُ القَطـــوبُ

وانجـــاب عـــن صُـــبحٍ رضيٍّ ذلـــك اللّيـــلُ الغَضـــوبُ

وادّال مِـــنْ صَـــدَأ الحديـــدِ عـــلى الثّـــرى أرَجٌ وطِيـــبُ

ومشـــى ربيـــعٌ للسَّـــلام بِـــهِ تفتَّحـــتِ القلـــوبُ

وتطـــامن الألمُ الحبـــيسُ وأفـــرخَ الأمـــلُ الرحيـــبُ[1]

فجـــرٌ صـــدوقٌ ربَّ حـــربٍ رِبْحُهـــا فجـــرٌ كـــذوبُ

الآنَ يَقْبَـــعُ في مهانَتِـــهِ لتنـــتفضَ الشّـــعوبُ

وَحْـــشٌ تقلّمـــتِ المخالـــبُ منـــه واختفـــتِ النُّيـــوبُ

***

مشـــتِ القصـــيدةُ للقصـــيدةِ يصـــرعُ الكَسِـــلَ الـــدؤوبُ

وتلمّـــس الـــدّرنَ الحكـــيمُ، وشـــخَّصَ الـــداءَ الطبيـــبُ

وتلاقـــتِ الأجيـــالُ في جيـــلٍ هـــو الـــنَّغَمُ الرتيـــبُ

جيـــلٌ توضـــحت المَعَـــالمُ مِنْـــهُ وانجلـــتِ الغُيـــوبُ

وجـــرتْ عـــلى خـــير المقـــاييسِ المحاســـنُ والعيـــوبُ

فالمستضـــامُ ((المســـتغَلُّ)) هـــو الحســـيب، هـــو النســـيبُ

---

[1] تطامن،أفرخ: سكن.

والمستقيمُ هو المُحكَّمُ، والصريحُ هو اللبيبُ
والمُنطوي كبتاً يشد على الضميرِ هو المُريبُ
ومُنَزِّهُ الآراءِ عن تأويلِهنَّ هو الصليبُ
والمكتوي بلواذع الألم العميقِ هو الأديبُ

***

ربّى القرونَ بكلّ حِجْرٍ طيّبٍ نِعمَ الربيبُ
شابتْ مَفارِقُهم وأزمَنَ لا يِهِمٌّ ولا يَشيبُ[1]
أيّامَ ((رسطاليس)) كانَ بُعَيْدَ مولدِهِ يهيبُ
والسمُّ إذ ((سُقراطُ)) يجْرَعُهُ ويحلِفُ لا يتوبُ
إذ قال للملأ العظيمِ وكأسُهُ فيها شُبوبُ:
((إني أكولٌ للحِمام على مرارتِه شَروبُ))
أهلاً فإنكِ لا تُخيفين العقيدةَ، يا شَعُوبُ[2]
وخيالُ ((أفلاطونَ)) والجُمْهورُ، والحكمُ الأريبُ
ما عابَه أن ضيم فيهِ ((الرقُّ)) وامتُهِنَ ((الجليبُ))[3]
إنَّ العقولَ تكامُلٌ من يُخطِ ينفعْ من يُصيبُ

---

[1] من الهم بكسر الهاء: وهو الشيخ الطاعن في السن.

[2] شعوب بفتح الشين: الموت.

[3] الجليب: العبد يجلب من بلد الى غيره.

***

وتبـــارت الأجيـــالُ تـــنجحُ بالرســـالةِ، أو تخيـــبُ

عصـــرٌ خصـــيبٌ بالكفـــاحِ وآخـــرٌ منـــهُ جـــديبُ

شَرِقٌ بـــأعوادِ المشـــانقِ أو بمذبحـــةٍ خضـــيبُ

يجـــري النعـــيمُ بـــه وَتَـــزْدحِمُ العظـــائِمُ والكـــروبُ

بـــإزاء وَجْـــهٍ نـــاضرٍ ألـــفٌ تلوِّحـــه السُّـــهوبُ[1]

ومواكـــبُ الأحـــرار في صَـــخَبِ الطُّغـــاةِ لهـــا دبيـــبُ

وعواصـــفُ الظلـــم الفظيـــع لهـــا رُكـــودٌ أو هبـــوبُ

ومَعـــينُ فكـــرٍ في مَعـــينِ دمٍ يَصُـــبُّ، ولا نُضـــوبُ

ومُشـــرَّدونَ عـــلى المبـــادىء حُقِّـــروا فيهـــا وعِيبـــوا

سُـــدَّتْ مســـالِكُهُمْ فـــما ضـــاقتْ بمـــذهبِهمْ ثقـــوبُ

ضـــمنَ النعـــيمَ إنابـــةٌ وأبـــى التحـــرّزُ أن يُنيبـــوا

يتلقّـــفُ الأضـــواء نَجْـــمٌ شـــعَّ مـــن نجـــمٍ يَغيـــبُ

فـــ ((أبـــو العـــلاء)) عـــلى نـــواميسٍ مُهـــرَّأةٍ كئيـــبُ

ويُهـــينُ ((فـــولتيرُ)) النظـــامَ وبالمشـــرِّع يســـتريبُ

وتعهـــد ((الأوبـــاشَ) _ زولا _ فـــانجلى ((الـــوحش)) النجيـــبُ

---

[1] سهوب الفلاة: نواحيها.

فــــإذا بـــــه غــــيرُ المـــوارِبِ حـــين يَكثـــرُ مـــــن يـــروبُ[1]

وإذا بـــــه وهـــــو الكريــــــبُ يُثـــيرُ نَخْوَتَـــــهُ الكريـــــبُ[2]

وإذا بأشـــــتاتِ الطُيـــــوبِ يَلُمُّهـــــا هـــــذا الجنيـــــبُ[3]

هـــــذا المُهـــــانُ لأنــــهُ مـــن نِعمـــةٍ خـــاوٍ ســـليبُ

ولأنَّ مشـــــــرَبه حثـــــالاتٌ ومطعَمَـــــهُ جشـــــيبُ[4]

ولأنـــــهُ ذو مِعصـــــم لم يُزْهِـــهِ الحلَـــقُ الـــذهيبُ

ولأِنـــــهُ في الأكثـــــرينَ الجـــــائعينَ لـــــه ضروبُ

ولأنـــــه بـــــين ((الصـــدورِ)) المجـــرمينَ هـــو الكُعـــوبُ!!

***

جيـــــلٌ تعـــاوَره الطلـــوعُ - بـــما يُبشـــرُّ - والغـــروبُ

يطفـــو ويحجُبُــــه - إلى أمـــدٍ - مـــن البغـــيِ الرســوبُ

حتـــى تلقَّفَـــهُ ((لنـــينُ)) وصـــنْوُهُ البطـــلُ المَهيـــبُ[5]

والعـــاكفونَ عليـــه أُمّـــاتٌ، وشـــبانٌ، وشـــيبُ

---

[1] الموارب: المختال. يروب: يخاتل.

[2] الكريب: المكروب وهو الذي أصابته كربة أي مصيبة.

[3] الجنيب: الأجنبي المستمر.

[4] الجشيب: خشن، سيء.

[5] يريد بصنوه: ستالين.

فـــإذا بـــه عبـــلُ الســـواعِدِ لا يُزاحِمُـــهُ ضريـــبُ[1]
تعنـــو لـــه الجُـــلى ويقِـــصرُ عنـــده اليـــومُ العصـــيبُ
بالشـــعب تدعَمُـــهُ الجيـــوشُ وتـــدعمُ الجـــيشَ الشُّـــعوبُ
والرايـــةُ ((الحمـــراءُ)) تحـــتَ ظلالِهـــا تَمشـــي القلـــوبُ

***

قـــالوا ((الســـلامُ)) فـــراح يســـتبقُ البعيـــدَ بـــه القريـــبُ
ودَعْـــوا، فخَـــفَّ مجـــاوبٌ وثـــوى صريـــعٌ لا يُجيـــبُ
وتوثـــب العـــاني وأعـــوزَ مُثخنـــاً فيـــه الوثـــوبُ
طـــرح الأســـيرُ قيـــودَه وهفـــا لموطنِـــه الغريـــبُ
وتعطـــرَّتْ بشـــذا اللقـــاءِ ونفحـــةِ اللُّقيـــا دُروبُ
في كـــلِّ بيـــتٍ بســـمةٌ كـــدراءُ، أو دمـــعٌ مَشـــوبُ[2]
غلـــب ابتســـامَ الآيبـــينَ بكـــاؤهم مـــن لا يـــؤوبُ
رفَّـــت عـــلى أعشاشـــها أرواحُ هائمـــةٍ تلـــوبُ
ذُعُـــرٌ تخطفهـــا الفـــراقِ ومسَّـــها منـــه لغـــوبُ[3]
ومشـــى مـــن ((القـــبرِ)) الرهيـــب خيـــالُ محـــتربٍ يجـــوبُ

---

[1] عبل: ممتلئ مفتول.

[2] شاب: خلط، شوب: مختلط، دمع مشوب: مختلط بالدم.

[3] ذعر: جمع ذعور (بالفتح) وهي الخائفة. لغوب: التعب والاعياء.

غطّى معالمَهُ شجاً وتوحُّشٌ، ودمٌ صبيبُ

أصغى فألْهَبَ سمعَه من ((هامة)) الجدَثِ النعيبُ[1]

وتمطتِ الأنقاضُ عن وجهٍ يؤمِّلُهُ حبيبُ

عن ساعدٍ ألوى على جيدٍ كما اختلف الصّليبُ

وفمٍ مَراشِفُهُ، للثم أليفِها شوقاً تذوبُ

***

وضمائرُ ((الأجداثِ)) تشكو ما جنى البَشَرُ العجيبُ

ورمائمُ الأنقاضِ، مما استوَعبت، فيها شُجوبُ

والنار تَحلف.. من حصيد لهيبها ذُعِرَ اللهيبُ

والحوتُ يَضْمَنُ رزقَه بحرٌ بها فيه خصيبُ

للوحشِ مأدُبةٌ عليها ما يَلَذُّ وما يَطيبُ

وكواسرُ العِقبانِ يَزهوها من الجثث النصيبُ

ماذا تريد؟ حواصلٌ ملأى، ومنقارٌ خضيبُ

والدودُ يسألُ مقلةً تدمى وجمجمةً تخوبُ[2]

هذي المطاعم: أيُّ طاهٍ شاءها؟ أهي الحروبُ؟

***

[1] الهامة: طير خرافي يطالب بالثأر للقتيل.

[2] تخوب: كأنه يريد مشجوجة بدلالة ((مقلة تدمى)).

من مُبْلِغُ الشاوينَ تُعوِلُ عندهم ريحٌ جَنوبُ
والمفرَدين عليهمُ من كلِّ والغةٍ رقيبُ[1]
والطفلُ يسألُ من أبيهُ أهكذا يَلِجُ المشيبُ؟
والكاعبُ الحسناءُ جفَّ بنحرِها نَفَسٌ رطيبُ
واستنزفَ الحُلُمَ الرغيبَ بصدرها جُرْحٌ رغيبُ
إِنَّ الرياشَ المستجدَّ لكُمْ تَنُمُّ به الطيوبُ
والبيتُ يُنعشه رنينُ العُودِ، والطفلُ اللَّعوبُ
والدَّهرُ لم يبرح عليه من الصِّبا ثوبٌ قشيبُ
والأرض يُرقصها الشروقُ - كما عهِدتم - والغروبُ
وعلى الربيعِ غضارةٌ وعلى الأراكَةِ عندليبُ[2]
والشمس يُستَرُ وَجْهُها بالغيم يُمْسِكُ أوْ يصوبُ[3]
والخافقاتُ العاطفاتُ بكم يُعذِّبُها الوجيبُ
ألقتْ مراسِيَها الخطوب وتبسَّم الزمنُ القَطوبُ

بغداد عام ١٩٤٥

---

[1] الوالغة: الوحش الذي يلغُ في الدماء وفي جثث القتلى.

[2] الأراكة: شجرة.

[3] يصوب: يمطر.

طرطرا

نظمت عام ١٩٤٥، نُشرت أول مرة في جريدة ((الرأي العام) العدد ١٤٨٤ في ٢٤ آذار ١٩٤٦م، وقدّمتها:

((إنها من وحي الظروف خلال تطبيق مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لعام ١٩٤١ على هذه الجريدة في اليوم الأول من شهر آب ١٩٤٥ التي عطلت بموجبه قرابة شهرين)).

وأضافت: ((وهي على النمط الساخر والوزن من القصيدة الدبدبية المشهورة التي قيلت في العهد العباسي ومطلعها :

أي دبدبى تدبدبي   أنا علي ((المغربي))

أيْ طرطـــرا تطرطـــري تقـــدَّمي، تـــأخرَّي
تَشـــيَّعي، تســـنَّني تَهـــوَّدي، تَنصـــرَّي
تكـــرَّدي، تعـــرَّبي تهـــاتري بالعُنصـــرِ
تَعمَّمـــي، تَبَرنطـــي تعقَّـــلي، تســـدَّري
كـوني - إذا رمـت العُـلى - مـن قُبُـلٍ أو دُبُـرِ
صـالِحَةً ((كصـالحٍ)) عـامرةً ((كـالعُمري))

***

وأنـتِ إنْ لم تَجِـدي أبـاً حميـدَ الأثـرِ
و مَفخَـراً مـن الجُـدودِ طيِّـبَ المُنحـدَرِ
ولم تَـرَي في الـنَّفْس مـا يُغنيـكِ انْ تفتخـري
شـأن عِصـامٍ قـد كَفَتـهُ الـنفسُ شرَّ مَفْخَـرِ[1]
فالتَمِســي أبـاً سِـواهُ أشِراً ذا بَطـرِ
طُـوفي عـلى الأعـرابِ مـن بـادٍ ومـن مُحتَضـرِ
والتَمِـسي مـنهم جـدوداً جُـدُداً وزَوِّري
تَزيـدِي تزبَّـدي تعنَّـزي تَشـمَّري

---

[1] يشير إلى عصام وهو الرجل الذي ساد نفسه.

في زَمَــــنِ الـــذَّرِّ إلى　　بَـــــداوةٍ تَقَهْقَـــــرِي

***

تَقَلَّبِـــــي تَقَلُّــــبَ الـــدهرِ بشــــتّى الغِـــيَرِ

تصـــرَّفي كَــــما تشـــائينَ و لا تعتَـــــذري

لِـــمَن؟!! أللنـاس؟!! وهـم　　حُثالــــةٌ في سَـــقَرِ

عبيـــدُ أجـــدادكِ مـــن　　رِقٍّ ومـــن مُســـتأجَرِ!

أمْ للقـــوانينِ ومـــا　　جـــاءَتْ بغَـــيرِ الهَـــذَرِ

تـــأمرُ بـــالمعروف و المنكَـــر فـــوقَ المِنـــبَرِ

شيء أبـــى المعـــروف في　　شـــويِّ أمِّ المنكـــرِ[1]

أمْ للضـــميرِ والضـــميرُ صُـــنْعُ هـــذا البَشَـــرِ؟!

تَعِلَّـــةٌ لصـــائمٍ　　فَطِـــيرةٌ لُمفطّـــرِ

لِمــــن؟!! أللتـــاريخ؟!! وهــــو في يَـــدِ المُحَـــبِّرِ

مُســـخَّرٌ طَـــوْعَ بنـــانِ الحـــاكِمِ المُســـتَحِرِ[2]

بـــدِرْهَم تُقلِّـــبُ الحـــالَ يّـــدُ المُحـــرِّرِ

قـــد تَقـــرأ الأجيـــالَ في　　دَفَّـــةِ هـــذا المحضَـــرِ

عن مِثْلِ هـذا ((العَصْر)) أن　　قـــد كـــان زَيـــنَ الأعصُـرِ

---

[1] شَويّ، بتشديد الياء: كناية عن عضو التأنيث.

[2] المستحر يريد به المستحر بتشديد الراء وهو الشديد.

وأنـــه مـــن ذَهَـــبِ وأنـــه مـــن جَـــوهرِ

أم للمقـــاييس اقتضـــاهنَّ اخـــتلافُ النَظَـــرِ؟

إنَّ أخَـــا طَرْطَـــرَ مـــن كَـــلِّ المقـــاييس بَـــريِ!

***

أي طرطـــرا إن كـــانَ شَـــعبٌ جـــاع أو خَلـــقٌ عَـــريِ

أو أجْمَـــعَ الســـتُّ الملايـــينُ عـــلى التـــذمُّرِ

أو حَكَـــمَ النســـاءُ حُكـــم الغاصـــبِ المقتَـــدِرِ

أو صـــاحَ نَهبـــاً بـــالبلاد بـــائعٌ ومشـــتري

أو نُفِّـــذَ المرســـومُ في محـــابِرٍ وأســـطُرِ

أو أُخِـــذَ الـــبريءُ بـــالمجرِمِ أخـــذَ ((طرطـــريِ))

أو دُفِـــعَ العـــراقُ للـــذلِّ أو التـــدهورِ

فـــاحتكمي تُحكَّمـــي وتُحمَـــدي وتـــؤجَري

***

أي طرطـــرا تطرطـــري وهلِّـــلي وكَـــبِّري

وطَـــبِّلي لكـــلِّ مـــا يُخـــزي الفَتَـــى وزمِّـــري

وسَبِّحي بحمدِ مأفونٍ وشكرِ أبترِ[1]

أعطي سماتِ فارغٍ شَمردَلٍ لبُحترِ[2]

واغتَصِبي لضِفدعٍ سماتِ ليثٍ قَسورِ

وعَطِّري قاذورةً وبالمديح بَخِّرِي

وصيِّري من جُعَلٍ حديقةً من زهَرِ

وشَبِّهي الظلامَ - ظُلماً - بالصَّباح المُسفرِ

وألبسي الغبيَّ و الأحمقَ ثَوبَ ((عبقري))

و أُفرغي على المخانيثِ دُروعَ ((عنترِ))

إن قيلَ إنَّ مجدَهمُ مزَيَّفٌ فأنكِري

أو قيلَ إن بطشَهم من بَطْشةِ المستعمِرِ

و إنَّ هذا المستعيرَ صولةَ الغَضَنفَرِ

أهونُ من ذبابةٍ في مستحمٍّ قَذِرِ

فهي تطير حُرَّةً جَناحُها لم يُعَرِ

وذاكَ لو لم يستعِرْ جَناحَه لم يَطِرِ

فغالِطي و كابري وحَوِّري و زوِّري

***

[1] الأبتر: الخبيث من الحيات.

[2] الشمردل: الطويل، والبحتر: القصير.

أي طرطـرا سِـيري عـلى نَهجِهِـمُ و الأثَـرِ

واسـتقْبلي يومَـكِ مـن يـومهمُ و اسـتدبِرِي

وأجمِعـي أمـرَكِ مـن أمـرِهِمُ تَسـتكثِرِي

كُـوني بُغاثـاً واسـلَمي بـالنفسِ ثـم استَنْسِـرِي[1]

إنْ طوَّلُـوا فطَـوِّلي أو قصَّـروا فقَصِّـري

أو أجرَمُـوا فاعتـذري أو أنـذروا فبشِّـري

أو خَبَطـوا عشـواً فقُـولي: أيُّ نجـمٍ نَـيِّرِ

أو ظَلَمـوا فـأبرزي الظُلـمَ بـأبهى الصُـوَرِ

شَـلَّتْ يَـدُ المظلـوم لم يَجْـن ولم يُعَـزَّرِ[2]

أو صَـنَعوا مـا لم يـبرَّرْ منطـقٌ فـبرِّرِي

***

أي طرطـرا لا تُنكِـري ذَنبـاً ولا تَسْـتَغفِرِي

ولا تُغطِّـي سـوءةً بانـت، ولا تَتَّـزِرِي

ولا تغُضِّـي الطـرفَ عـن فَـرط الحيـا والخَفَـرِ

كُـوني عـلى شـاكِلةِ مـن أمـرهم تُـؤَمَّرِي

كـوني عـلى شـاكلةِ الـوزيرِ بـادي الخَطَـرِ

---

[1] بغاث الطير: الحقير وما لا يصيد. واستنسر: صار كالنسر.

[2] لم يعزر: لم يردع الجاني ولم يعاقبه.

أيْ طرطـــــرا كُــــوني عــــلى تاريخِــــك المُحتقَـــــرِ
أحــــرَصَ مـــــن صــــاحبة النِحيـــيْن إنْ تَـــذكَّري

***

طـولي عـلى ((كِسرى)) ولا تُعنَـــي بتـــاج ((قَيْصــرِ))
كــوني عـل مـا فيـك مـن مســـــاوئٍ لم تُحصَـــرِ
كــوني عــلى الأضــداد في تكوينـــــك المُبعثَــــرِ
شـــامخةً شـــموخَ قَـــرن الثَـــور بـــين البَقَـــرِ

***

أيْ طرطـــــرا أُقســــم بالســــويكةِ المشــــهَّرِ
والخَــــرزِ المَعقـــود في الـــبطن فُويـــقَ المشـــعرِ
بوجهـــكِ المعتكـــر وثَغـــرِك المنـــوَّرِ
وعينـــك الحمـــراءِ ترمِـــي حاســـداً بالشَـــرَرِ
وصـــنوك الثـــور يُثـــا ر غيظُـــه بـــالأحمرِ
أقســم ((بالكـــافور)) لا أقصِـــدُ شَـــتم ((العَنْـــبرِ))
لأنـــتِ فـــوقَ البشَـــرِ فـــوق القَضَـــا والقَـــدرِ

***

أي ((طرطـرا)) يالَـكِ مـن قُـــــبّرةٍ بمَعمَــــــرِ
((خــلا لــكِ الجــوُّ)) وقــد طــاب ((فبيضـي واصــفِري))

((ونقِّـري)) مـن بَعـدِهم ((مـا شـئت أن تُنَقِّـرِي))

قـد غَفَـل الصـيّادُ في ((لَنـدَنَ)) عنـك فابشِـري!

بغداد عام ١٩٤٥

ذكرى وعد بلفور

ألقيت في الحفل الذي أقيم في بهو ((الأمانة)) في بغداد يوم ذكرى وعد بلفور.

خــذِي مَســعاكِ مُثخَنــةَ الجِــراحِ ونـــامي فـــوقَ داميـــةِ الصِـــفاحِ[1]

ومُـــدِّي بـــالمماتِ إلى حيـــاةٍ تـــسَرُّ، وبالعَنـــاءِ إلى ارتيـــاحِ

وقَـــرّي فـــوقَ جَمْـــرِكِ أو تُـــرَدِّي مِـــن العُقبـــى إلى أمـــرِ صُراحِ

وقُـــولي قـــد صَـبرْتُ عـــلى اغتبـاقٍ فـــماذا لـــو صَـبرتُ عـــلى اصـطِباحِ[2]

فـــإنَّ أمـــرَّ مـــا أدْمَـــى كِفاحـــاً طُعـــونُ الخـــائِفينَ مِـــن النجـــاحِ

فكُـــوني في ســـماحِكِ بالضـــحايا كعهـــدكِ في ســـماحِكِ بالأضـــاحي

فـــإنَّ الحـــقَّ، يقطُـــرُ جانبـــاه دَمـــاً، صِـــنوُ المُـــرُوءةِ والســـماحِ

وتـــأريخُ الشُـــعوب إذا تبَنّـــى دمَ الأحـــرارِ لا يمحـــوهُ مـــاحي

***

فِلَسْـــطينٌ سَـــلامُ اللهِ يَســـري عـــلى تلـــك المشـــارِفِ والبطـــاحِ

رأيتُـــكِ مـــن خِـــلال الفَجـــرِ يُلقـــي عـــلى خُضْـــرِ الرُّبـــى أحـــلى وِشـــاحِ

أطَـــلَّ ((النَســـرُ)) مُنتصِـــباً عليـــهِ فهـــبَّ الـــديكُ يُنـــذِرُ بالصـــياحِ[3]

يـــؤوبُ الليـــلُ منـــه إلى جَنـــاحٍ وتبـــدو الشـــمسُ منـــه عـــلى جَنـــاحِ

وعَـــينُ الفجـــرِ تَـــذري الـــدمعَ طَـــلاً وتَمسَـــحهُ بمنـــديل الصـــباحِ

---

[1] الصفاح: السيوف.

[2] الاغتباق: شرب الخمر وقت المساء. الاصطباح: شربها وقت الصباح.

[3] النسر: كوكبان يشتد لمعانهما وقت الفجر.

وأنفـــاسُ المُـــروجِ معطَّـــراتٌ بأنفـــاس الرُّعـــاة إلى المَـــراحِ
لَمسـتُ الـوحيَ في لحْـنِ ((المثـاني)) وشِمتُ الحزُنَ في وَقعِ ((المساحي))[1]
وغَنّـى ((أورْشَـليمَ)) يُعيـدُ لَحنـاً ((لـداودٍ)) هـزارٌ بالصُّـداحِ
وحَـولي مِـن شـبابكِ أيُّ روضٍ يـنمُّ حَديثُـه بشـذا الأقـاحِ
وألطـافٍ، كأنفُسِـهم عِـذابٍ وأسـمارٍ، كـأوجُهِهمْ صِـباحِ
سـلاماً للعُكُـوفِ عـلى التيـاحِ وشـوقاً للظِـماء إلى ارتيـاحِ[2]
وحُزنـاً أنْ يجُـرَّ الـدهرُ حُزنـاً عـلى تلـك الغَطارفـةِ الوضـاحِ[3]

***

أأمّ ((القُـدْسِ)) والتـأريخُ دامٍ ويومُـكِ مثـلُ أمسِـكِ في الكفـاحِ
ومهـدُكِ وهـو مهـبِطُ كُـلِّ وحـيٍ كنعشـكِ وهـو مَشـتَجرُ الرِمـاحِ[4]
و((وادي التِّيهِ)) إنْ لم يُؤوِ ((موسى)) فقد آوى((الصليبَ)) على ((صلاحِ))[5]
وذكـرى ((بخـتَ نُصّـر) في الفيـافي يُجـدِّدُها ((ألِنبـي)) في الضـواحي[6]
فـلا تَتَخَبَّطـي فالليـلُ داجٍ وإنْ لم يَبْـقَ بُـدٌّ مِـن صـباحِ

---

[1] شمت: رأيت.

[2] الالتياح: شدة الشوق والعطش.

[3] الغطارفة: جمع الغطريف وهو السيد الكريم.

[4] مشتجر الرماح: أي مشتبكه.

[5] وادي التيه: الصحراء الممتدة على طول سيناء والحدود الفلسطينية – المصرية وفيه تاه اليهود.

[6] ألنبي: القائد البريطاني الذي احتل القدس في الحرب العالمية الأولى.

شَـدَدْتِ عُـرى نِطاقِـكِ فاسـتمري ولا يَثقُـلْ عليـكِ فَتُسـتباحي
ولا تُغْنَـيْ بنـا إنّـا بُكـاةٌ نَمُـدُّكِ بالعويـل وبالصـياحِ
ولا تُغْنَـيْ بِنـا فالفِعـلُ جَـوٌّ مَغِـيْمٌ، عنـدَنا والقـولُ صـاحِ
ولـن تجِـدي كإيّانـا نصـيراً يَـدُقُّ مـن الأسـى راحـاً بـراحِ!!
ولا قَومـاً يَـرُدُّون الـدّواهي - وقـد خَرِسَـتْ - بألسنةٍ فِصـاحِ

***

أُعِيـذُكِ مِـن مَصـيرٍ نحـنُ فيـه لقـد عُـوِّذْتِ مِـن أَجَـلٍ مُتـاحِ
ووضـعِ أمـسِ كُلُّهُـمُ لـواهٍ بـه، واليـوم كلُّهـم لـواحِي[1]
تَنَصَّـلَ منـه زُوراً صـانِعوهُ كمولـودٍ تحـدَّرَ مِـن سِـفاحِ
وذُمُّـوا أنَّهـم كـانوا عُكوفـاً عليـهِ في الغُـدُوِّ وفي الـرواحِ
وتـأريخٍ أُريـدَ لنـا ارتجـالاً فـآبَ كـما أُريـدَ إلى افتضـاحِ
شَـحَنّا دَفَّتيـهِ بِمُغمضـاتٍ ((كأحـداقِ المها مـرضى صِحاحِ))
وغَلَّفْنـا مظـاهِرَهُ حِسـاناً مُزخْرفـةً عـلى صُـوَرٍ قِبـاحِ
وسُـقنا النـاسَ مُكْرَهـةً عليـه عـلى يـدِ نـاعمينَ بـه وَقـاحِ
و نَصَّـبْنا مرَوِّضـةً غِلاظـاً عـلى مـا في الطبـائعِ مـنْ جِمـاحِ

---

[1] لواه: لاهون، لواحٍ: واللاحي هو العاذل.

وأحْلَلْنــاه وهــو ضريــحُ شــعبٍ	محــلَّ الــوَحْيِ جـاء مــن الضُّــراحِ[1]
نُجرَّعُــــهُ ذُعافـــاً ثـــم نُضــفي	عليــه محاسِـــنَ الشَّـــبِم القَــراحِ[2]
ورُبَّــةَ ((صَــفْقَةٍ)) عُقِـدَت فكانــت	كتحـــريم الطـــلاقِ عـــلى نِكــاحِ
تُــدَبَّرُ في العواصـــمِ مـــن مُريْــب	خبيــثِ الــذكر، مَطعــون النــواحي
تفــوحُ الخمــرُ منهـــا في اخْتتـــامٍ	ويبـــدُو التِّـــبْرُ منهـــا في افْتتـــاحِ
ويُســـفِرُ نَصُّـــها المُســـوَدُّ خِزيـــاً	ومَظلمـــةً عـــن الغِيـــد المِـــلاحِ
و ((تصــريحٍ)) يُمطّطـــه قـــويٌّ	كَلَــوْحِ الطّــينِ إذ يــدحوه داحــي
و ((حِلفٍ)) لستُ أدري مـن ذُهـولٍ	أعـــن جِـــدٍّ يُـــدَبَّرُ أم مِـــزاحِ
لنـــا حـــقٌّ يُرجّـــى بـــالتماسٍ	وبـــاطِلُهمْ يُنفَّـــذُ بالســـلاحِ
ولســـتُ بعـــارفٍ أبـــداً حَليفـــاً	يهـــدِّدُه حليـــفٌ باكتســـاحِ!

***

((فلســـطينُ)) تَـــوقَّيْ أنْ تكـــوني	كـــما كُنّـــا بمَدرَجـــةِ الريـــاحِ
وأنْ تَضِـــعي أمـــورَكِ في نِصـــابٍ	يـــوفَّرُ أو يُطَفَّـــفُ بـــاجتراحِ[3]

---

[1] الضراح: البيت المعمور في السماء.

[2] الذعاف: السم الشديد. والشبم: الماء البارد. والقراح: العذب الصافي.

[3] الاجتراح: اقتراف السيئات. يوفر ويطفف: يزيد وينقص.

وهـــابِي أن تُمَـــدَّ إليـــكِ مِنّـــا | يـــدُ المتضـــاربين عـــلى القِـــداحِ[1]
فكـــم هـــاوٍ أَجَـــدَّ لنـــا جُروحـــاً | بـــدعوى أنَّـــه آســـى جـــراحِ[2]
وأُصدِقُكِ الحديثِ فكـم ((حُلـولٍ)) | حَـــرامٍ، لحُـــنَ في زِيِّ مُبـــاحِ
نطَـــوَّفُ مـــا نطـــوّفُ ثُـــم نـــأوى | إلى بيـــتٍ أُقـــيمَ عـــلى ((اقـــتراحِ))[3]
يُحَـــرِّجُ ألـــفَ وجـــهٍ مِـــنْ حـــديثٍ | ويَخْلُـــقُ ألْـــفَ معنـــىً لاصـــطلاحِ

بغداد عام ١٩٤٥

---

[1] القداح: هي السهام التي كان العرب في الجاهلية يتقامرون بها ولها درجاتها وأصنافها وأسماؤها الخاصة.

[2] الآسى: الطبيب.

[3] التضمين من بيت للحطيئة.

ذكرى أبو التمن

ألقيت في الحفل الأربعيني الكبير الذي أقيم لذكرى الفقيد ((محمد جعفر أبو التمن)) في ٥ كانون الثاني ١٩٤٦.

ولقد كان لإلقاء هذه القصيدة، ونشرها في جريدة((الرأي العام)) دويٌّ كبير وصدى شديد. وقامت السلطة بتحريك الدعوى على الشاعر. فكتب مقالاً افتتاحياً في جريدة ((الرأي العام))، يروي فيه ((حكاية)) تحريك الدعوى ولم ينشر كاملاً لأن ((الرقيب)) حذف منه أجزاء مهمة وكان بعنوان ((كلمة يجب أن تُقال: إننا مستعدون)).

قال فيه:

((بلّغ صاحب هذه الجريدة ـ أي الشاعر ـ عصر يوم أمس الأول ((الأربعاء)) (يصادف ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٦) بالحضور لدى حاكم تحقيق الرصافة الجنوبي. للتحقيق معه في ((التهمة)) الموجهة إليه حسب المادة ٨٩ من قانون العقوبات البغدادي وذلك صباح يوم السبت.

((وهذه التهمة؟)) هي قصيدته التي ألقاها في حفلة تأبين فقيد الامة المغفور له ((أبو التمن)).

((وهنا لانجد بدأ من تنوير القراء والرأي العام عن مجرى هذه القضية ((وملابساتها)) بكلمة مختصرة)).

(مشى قلم الرقيب بقساوة فحذف من هذه ((الملابسات)) الشيء الكثير والمثير في نقاط مشار إليها).

((فقد سبق قبل عشرين يوماً تقريباً أن أثيرت قضية تقديم صاحب هذه الجريدة إلى المحاكمة عن قصيدته هذه ثّم نامت.

(هنا حذف الرقيب ما يوازي ٧ أسطر).

((وفي يوم الثلاثاء الماضي أثيرت مرة أخرى.

(حذف الرقيب هنا كلمتين).

((فقدمت إلى الإدعاء العام برفقة مذكرة من وزارة الداخلية تقول فيها إنها ترى ما يستوجب اتخاذ الاجراءات القانونية تجاه السيد ((الجواهري)).

(هنا حذف الرقيب نحو ثمانية أسطر)

((فكان بعد ((اتضاح؟؟)) عوامل وبواعث لا مجال لسردها الآن في هذا المقام؟ أن فاتح رئيس الوزراء ظهر اليوم المذكور فريق من النواب أن ليس من المصلحة إثارة مثل هذه القضايا الوطنية الخالصة المعبرة عن الشعور المكبوت؟ وفي حفلة زعيم وطني كأبي التمن؟ تمثل فيه العراق بأجمعه بآماله وآلامه. وأنه من غير الجائز التمادي في حجز الآراء والحريات إلى هذا الحد. فكان من الرجل أن تأثر بذلك وأبلغهم عدم علمه بشيء من هذا الأمر! ثم كان منه أن أبلغ الادعاء العام، بوصفه رئيساً للحكومة، بوجوب سحب القضية وإيقافها؟.

ولكن؟؟

(حذف الرقيب قرابة ستة أسطر).

((وما تزال القضية بين الأخذ والرد، وقد خرجت من الادعاء العام إلى حاكم التحقيق كما سبق ذكره.

ويضيف مختتماً المقال:

((هذا ما لم نجد بداً من ذكره باختصار عن جريان هذه القضية؟

((وبقي علينا أن نقول كلمة وباختصار أيضاً:

((إننا على الدوام على أتم الاستعداد وأكمل أهبة لتلقي كل ماتفرضه علينا العدالة في هذه البلاد من ثواب وعقاب اليوم وغداً - كما كان أمس - جزاء قيامنا بما هو بعض الواجب المفروض على الأحرار من أبناء الشعوب العربية تجاه بلادهم وأمتهم وتجاه ضميرهم ووجدانهم وتجاه التاريخ الذي لا يحابي أحداً كم أنه لا يبخس أحداً حقه؟

إننا – ونحن في حومة المعركة – مكتوب علينا حتماً أن يمسنا من نارها وشرارها وعلى الأقل فمن غبارها الشيء الكثير.

((وأخيراً فإننا مستعدون)).

ولكن الدعوى سحبت، بعد نشر هذا المقال، بحوالي عشرين يوماً.

طالَتْ – ولو قَصُرَتْ يدُ الأعمارِ – لرَمتْ سِواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختارِ
مِن صفوةٍ لو قيلَ أيُّ فذُّهُمْ لم تَعْدُ شَخْصَكَ أعينُ النُظّارِ
لكنْ أرادتْ أن تحوزَ لنفسها عينَ القِلادةِ فازدَرَتْ بنُثارِ
وأرى المنايا بالذي تختارُهُ للموتِ عاطلةً، وذاتَ سِوارِ
فطوَتْكَ في دَرْجِ الخُلودِ فعطَّرتْ بك سالفَ الأحقابِ والآثارِ[1]
واستنزلَتْكَ لغُربةٍ ولأنتَ مِن عَلياكَ في لَجِبٍ من الأنصارِ[2]
وتجاهَلتْ أنَّ البلادَ بحاجةٍ لكَ حاجةَ الأعمى الى الإبصارِ
مُدَّتْ من الأُخرى إليك مَعاصِمٌ مِن رفقةٍ لكَ قادةٍ أبرارِ
خُلَصاءِ سَعيِكَ في الجهاد، وأخوةٍ لكَ في الوفاءِ المحضِ والإيثارِ
ورفاقُ هذي الدار فيما أسلَفوا للكاتبينَ رفاقُ تلكَ الدارِ

***

بَكَرَ النَّعِيُّ فما سَمعتُ بمِثْلِها عِبءاً على الأسماعِ والأبصارِ
رمتِ العَمايَاتُ العيونَ، وصَكَّتِ الأسماعَ صافرةٌ مِن الإنذارِ
وترنَّحَ الأحرارُ يؤذِنُ بَعضُهُمْ بعضاً بفقدهِم أبا الأحرارِ
لله درُّك مِن نقيٍّ لم يَنَلْ أذيالَهُ وَضَرٌ مِن الأوضارِ
في حيث تزدحِمُ الشكوكُ و ترتَمي شُبُهاتُها حتّى على الأخيارِ

---

[1] درج الخلود، (بسكون الراء): هنا أي طيّه وثنيّه.

[2] لجب: كثير.

خاضَ السياسةَ وانجلى عن لُجِّها أَلِقَ الجبينِ مُكلَّلاً بالغارِ[1]

في حينَ رامَ سِواه خوضَ عُبابها فطغى عليه فضاعَ في التَّيارِ

وصليبُ عُودٍ حينَ بعضُ مرونةٍ في ضَعفها خطرٌ مِنَ الأخطارِ

وطَريُّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابةٍ في عُقبها حجرٌ مِن الأحجارِ

وخَفيُّ كيدٍ حيثُ يسمو كائدٌ ومِنَ المكايدِ جالبٌ للعارِ

وصريحُ رأيٍ لم يَحِدْ عن خُطَّةٍ ليلوذَ من تأويلها بجِدارِ

حَرْبٌ على مُستعمِرٍ وربيبِهِ، ومُسالمٌ مُستَعْمراً ومُجاري

***

أعززْ عليَّ ((أبا عزيزٍ)) أنْ أرى حُضّارَ حفلِكَ زائغي الأبصارِ

خَلَتِ المحافلُ من عُلاكَ وأوحشتْ من بَعْدِ وجهِكَ ندوَةُ السُّمارِ

وتَعَرَّتِ الأنظارُ عن مُستَشرِفٍ بادي السَّنا، عالٍ على الأنظارِ

ولقد يَعِزُّ عليكَ أنَّكَ لا ترى في ((الأرْبِعاء)) مواكبَ الزُّوّارِ[2]

***

أأبا عزيزٍ كنتَ تُذكي جذوتي ويَلَذُّ سَمْعُكَ مَنطقي وحَواري

غوْثَ الصريخِ، أتتك تَعوِلُ حُرَّةٌ حرّاءُ صارخةٌ من الأشعارِ

هَيَّجتَ منّي أيَّ داءٍ كامنٍ وقدحتَ مِنّي أيَّ زندٍ واري

---

[1] الألق: اللمعان. والغار: نوع من الشجر طيب الرائحة، مكللاً بالغار كناية عن النصر.

[2] إشارة إلى يوم الأربعاء من كل أسبوع وهو اليوم الذي كان الفقيد قد خصصه لإستقبال الزائرين من إخوانه ومحبيه.

قَسَماً بيومِكَ والفُراتِ الجاري والثورةِ الحمراءِ والثُّوّارِ[1]

و الأرضِ بالدَّمِ ترتوي عن دِمْنَةٍ وتَمَجّهُ عن روضةٍ مِعطارِ[2]

والخيلِ تَزحفُ لم تَدَعْ لُمغيرها جثثٌ تُغَطّي الأرضَ أيَّ مَغارِ!

قسَماً بتلكَ العاطفاتِ ولم تكُنْ لي قبلَها من حِلْفةٍ بالنّارِ

إنَّ الذينَ عهِدتَهمُ حطَبَ الوغى لولاهمُ لم تشتعِل بأُوارِ

واللاّقِحينَ نَتاجَها بأعزِّ ما مَلَكَتْ يمينٌ من حِمىً وذمارِ

والداهناتِ دماؤُهم لِمَمَ الثَّرى والمُؤنساتِ شواطىءَ الأنهارِ[3]

والناحرينَ مِنَ الضَّحايا خيرَ ما حَمَلَت بُطُونُ حرائرٍ أطهارِ

ما إنْ تَزالُ حقوقُهُمْ كذَويهمُ في القَفْرِ سارحةً معَ الأبقارِ!

وأعزُّ ما تبغي ((الحلائلُ)) مِنهمُ أنْ تُسترَ العَوراتُ بالأطمارِ[4]

***

خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنَّها بشخُوصِها خَبَرٌ منَ الأخبارِ[5]

ضِقنا بها ضيقَ السجينِ بقيدِه من فَرْطِ ما حَمَلَتْ من الأوزار

---

[1] إشارة إلى الثورة العراقية في الفرات.

[2] الدمنة: ما تجمع من فضلات البقر والأوساخ والمعنى أن دم الثوار سائل على أرض مقفرة فأحالها، بما سقاها وبما نفحها من كرامة وعزة، روضةً معطاراً.

[3] اللمة: في الأصل ما جاور شحمة الأذن من شعر ويراد بها وجه الأرض.

[4] الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة.

[5] إشارة الى المدة التي أنقضت على ابتداء العهد البائد حتى عام وفاة الفقيد.

وتَجَهَّمَتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ ... للخابطينَ بكوكبٍ سيّارِ
شاخَ الشبابُ الطّيبون وجُدّدتْ ... فيها شبيبةُ شِيخةٍ أشرارِ
وبدا على وَجهِ الحفيدِ وجدِّه ... للناظرينَ تقارُبُ الأعمارِ
مَن كانَ يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمره ... حُكْمٌ أقيمَ على أساسٍ هاري؟!
ومِن الفَظاعةِ أنْ تُريدَ رَعيَّةٌ ... في ظِلِّ دُستورٍ لها وشِعارِ
ما يَطلُبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ: ... إسداءَ عارفةٍ وفكَّ إسارِ
ورَوايةٍ حَبَكَ الزَّمانُ فُصولَها ... فبدَتْ لنا ممسوخةَ الأدوارِ
من شرِّ ما اختلقَ الرُّواةُ، ولَفَّقتْ ... حِيَلٌ، وضمَّتْ دَفَّةُ الأسفارِ
وممثّلينَ تصنّعاً ووراءَهمْ ... خَلْفَ السِتار مُلَقِّنٌ مُتواري
ومفرِّقينَ مَذاهباً وعناصراً ... مُتكَفِّلينَ سياسةَ استعمارِ
نزلوا على حُكم الغريبِ وعَرَّسوا ... في ظِلِّ مأثَمةٍ له وفَجارِ[1]
وتحلَّبُوا أوطارَهُ فإذا بها ... وَشَلٌ لما استحلى من الأوطارِ
واستفرشَ الشعْبُ الثرى، ودُروبُهُمْ ... مملوءةٌ بنُثارةِ الأزهارِ!
وتحلّأ الجَمْعُ الظِماءُ، ووُكِّلتْ ... أبناؤهم بالوِرد والإصدارِ[2]

***

ذُعِرَ الجنوبُ فقيلَ: كيدُ خوارجٍ! ... وشكا الشِّمالُ فقيلَ: صُنْعُ جِوارِ!

---

[1] عرسوا: أقاموا.

[2] تحلأ الجمع عن الماء: طردوا ومنعوا عن وروده.

وتنـابَزَ الوسَـطُ المُـدِلُّ فلـم يَـدَعْ بعــضٌ لــبعضٍ ظِنَّــةً لفَخــارِ[1]

ودعــا فريــقٌ أنْ تســودَ عَدالــةٌ فرُمــوا بكــلِّ شــنيعةٍ وشَــنارِ!

ومشَى المُغيثُ على الجياع - يَقوتُهُمْ - وعــلى العُــراةِ، بجحفــلٍ جــرّارِ!!

وتســـاءلَ المُتَعَجِّبــونَ لحالــةٍ نكراءَ: مَنْ هُـم أهـلُ هـذي الـدارِ؟

هــيَ للصـحابةَ مِـن بنـي الأنصـار مــن كــلِّ بَــدريٍّ وكــلّ حَــواري

للحــاكمينَ بــأمرِهم عــن غــيرِهم! ولصَــفْوَةِ الأســباطِ والأصــهارِ[2]

مــن كــلِّ غــازٍ شــامخٍ في صــدره زاهــي الوســامِ، مــدوَّخِ الأمصــارِ

هــيَ للــذينَ لــو امتحنــتَ بَلاءهــم لعجِبــتَ مــن سُــخْريَّةِ الأقــدارِ[3]

هي للـذي مـن كـلِّ مـا يَصِـمُ الفتـى كـاسٍ، ومـن جُهْـدٍ يُشرّفُ عـاري[4]

***

ومُســلَّطٍ لِمُسَــلَّطينَ مشــتْ بــه الأهــواءُ مِشــيَةَ مُثقَــلٍ بخُــمارِ

نَســيَ المُعــيرَ ولــو تــذكَّرَ لانثنــى خَزيــانَ مــن ثــوبٍ عليــه مُعــارِ

كــم رامَ غــيرُك مِثلَهــا فأحلَّــهُ نَــزَقُ الغُــرور بشَــرِّ دارِ بَــوارِ

بــل لــو تــذكَّرَ لم يجِــدْ لضــميره ومصــيرِه عَونــاً مــن التَّــذكارِ

---

[1] الوسط المدل: يراد به العاصمة العراقية ((بغداد)).

[2] الأسباط: جمع سبط (بكسر فسكون)، ولد الولد، ويغلب على ولد البنت.

[3] امتحن الشيء: اختبره. وأبلى في الأمر بلاء: أظهر فيه قدرته.

[4] كاسٍ: أي مكسو.

لم يبـــقَ ألّا أنْ تُـــتَمِّمَ خطـــوةٌ ... ويظَـــلَّ يَلعـــبُ لاعـــبٌ بالنـــارِ
فلَـــربمّا نفَـــتِ الشَّـــكاةَ، وقرَّبَـــتْ ... يـــومَ الخـــلاصِ سياســـةُ الإصرارِ

* * *

أأبـــا عزيـــزٍ والحـــديثُ كـــما رَوَوا ... شَـجَنٌ، ومُـرُّ القـول عـذبٌ جـاري
ومـــن العواطـــفِ مـــا يثـــورُ ويَغـــتلي ... مثـــلَ الجحـــيم، ويرتمـــي بشِـــرارِ[1]
عَفْـواً وإنْ شـطَّ المَـدى عـن غـايتي ... ونَبتْ جيـادُ الشـعر عـن مِضـماري[2]
فلقـد تحَشَّـدَتِ البواعـثُ واشـتكَتْ ... صَـمْتَ القــريض لِفَحْلِـهِ الهـدّارِ
ولقـــد عَهِـــدْتُكَ بـــالبلاد وأهلِهـــا ... جَـــمَّ الشُـــجونِ، مُـــوزَّعَ الأفكـــارِ
ووجـدتُ قَـدْحَ الـذكريات شـجيَّةً ... بَـــرْداً لأفئـــدةٍ عليـــك حِـــرارِ
وعَرَفـــتُ أشـــجاناً يثـــيرُكَ بَعْثُهـــا ... فـــأثَرْتَهُنَّ فطِـــرْنَ كُـــلَّ مَطـــارِ

* * *

إيـهٍ شـبابَ ((الرافـدين)) ومَـنْ بهم ... يرجـــو العـــراقُ تَـــبَلّجَ الأســـحارِ
الحـــاملينَ مِـــنَ الفـــوادح ثِقْلَهـــا ... ليســـوا بأنكـــاسٍ ولا أغـــمارِ[3]
والذائدينَ عـن الحيـاضِ إذا انتَحَـتْ ... كُـــرَبٌ، ولاذَ مُكـــابرٌ بفِـــرارِ
والباذلينَ عن الكرامةِ – أُرخصَـتْ – ... أغـلى المُهـورِ، وأفـدحَ الأسـعارِ

---

[1] الشرار (بالكسر): هنا جمع الشرارة (بالفتح).

[2] نبا الشيء: بعد وتأخر.

[3] الانكاس: جمع نكس الرجل الضعيف. والأغمار: جمع غمر الخامل كالمغمور.

الفَقْـرَ إذ طـرُقُ الغِنـى مفتوحـةٌ والبـؤسَ إذ غُـدَقُ النعيم جـواري[1]

ومـؤجّجينَ نفوسَـهـمْ وقُلـوبَهمْ شُـعَلاً يسـيرُ عـلى هُـداها السـاري

والحابسـينَ زئـيرَهم بصـدورِهم فـاذا انفجـرنَ بـهِ فـأي ضـواري

والقـانعينَ مِـن الحيـاة رخيَّـةً بلُماظَـةٍ، ومـن الكَـرى بغِـرارِ[2]

والمغرِيـاتُ مُـراوِداتٌ تُرتجـى وتَخيـبُ، مـن عُـونٍ ومـن أبكـارِ[3]

يَرثُـونَ للمتفيِّئـينَ ظِلالَهَـا عِلماً بما شُريَـتْ بـه مِـن عـارِ

لا تيأسـوا أنْ لم يَلُـحْ مـن ليلـةٍ فجـرٌ، ولم تـؤذِنْ بضـوءِ نهـارِ

فلـئِنَ صُـلِيتُمْ مِـن هَنـاتٍ جَمْرَهـا ومشَـيْتُم مـنهنَّ فـوق شِـفارِ[4]

فطِـوالُ مُحْرِجـةِ الأمـور وإنْ قَسَـتْ في شِرعـةِ التـأريخِ جِـدُّ قِصـارِ

لابـد أن يثـب الزمـان وينثنـي حُكـمُ الطُغـاةِ مُقَلَّـمَ الأظفـارِ

وتَجـدَّدَ الأيّـامُ عَهْـدَ وصـالِها مِـن بَعـدِ إعـراضٍ لهـا ونِفـارِ

فهُنـاكَ سـوفَ يكـونُ مـن زَهَـراتِكم أصـفى معارِفهـا، وأطيـبُ جـارِ

---

[1] الفقر منصوب على البداية من ((أغلى)) و ((أفدح)) وهما مفعولان لاسم الفاعل ((الباذلين)).
والغدق: محركة: الماء الكثير. الساري: السائر ليلاً.

[2] اللماظة: بقية الطعام في الفم. والغرار: القليل من النوم.

[3] العون: جمع عون وهي (بالفتح) المرأة المتزوجة. والأبكار: جمع بكر، والعون والأبكار كناية عن تنوع المغريات.

[4] الهنات: المصائب والشرور. والشفار: حد السيوف.

وهنـاكَ سـوفَ يـرى الغنيمـةَ معشرٌ   أنْ يُمْسِـكُوا مـن خَلْفِكُـمْ بغُبـارِ

فحَـذارِ مـن عُقبى القُنـوطِ حـذارِ   وبَـدارِ للعهـدِ الجديـد بَـدارِ[1]

بغداد، عام ١٩٤٦

---

[1] حذار: بمعنى احذر. وبدار (بكسر الباء) بمعنى أسرع. والقنوط: اليأس.

دجلة في الخريف

بَكَّرَ ((الخريفُ)) فراح يُوعِدُهُ أنْ سوفَ يُزْبِدُه ويُرْعِدُهُ

وبَدَتْ من الأرماث، عائمةً فيه، طلائعُ ما يجنّدُهُ[1]

وكأنَّ من زَبدِ الرِّمال على أمواجه، طِفْلاً يُهَدْهِدُهُ

واستثقَلَ النوتيُّ مِجْذَفَه بَرِماً بِمقبَضه يُجَدِّدُهُ[2]

وتحفَّزَتْ شُمُّ الجبال له بثُلوجها كِسَفاً تُهَدِّدُهُ[3]

ظلَّتْ تَعُدُّ خُطاه تَرقُبُه في الصيف مُزدهراً وتَحسُدُهُ

جَرداءُ، وهو يَضِجُّ مَلْعَبُهُ ظَلْماءُ، وهو يَشُبُّ مَوقِدُهُ!

خَرساءُ، والأنغامُ تُرقصهُ وكأنها بالموج تَرْفِدُهُ

تَتعثَّرُ الأجيالُ خالدةً فيها.. ويَحضُنُها مُخَلَّدُهُ

((داودُ)) بالمزمارِ يُوقِظُه ويُنيمُهُ بالعُود ((مَعبدُهُ))[4]

---

[1] الأرماث: جمع رمث (بفتح الميم) وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويركب في البحر، ويشاهد ذلك بكثرة في دجلة والفرات حتى الآن في مواسم الفيضان لسهولة انحداره مع التيار.

[2] أي أن النوتي يستثقل مجذافه لأنه مصنوع من الخشب الثقيل لمقاومة الماء الطاغي وأنه ينهمك بتجديد مقبضه خوفا عليه من الانكسار.

[3] في البيت إشارة إلى أن فيضان دجلة ينشأ عن ذوبان الثلوج الذي يبتدئ من فصل الصيف حتى فصل الخريف. الكسف: القطع.

[4] إشارة إلى مزامير النبي ((داود)) المعروفة وإلى ألحان ((معبد)) من شيوخ المغنين في العهد الأموي وواضعي أسس الغناء وقواعده.

والهِـــــيمُ تخزنـــــه وتنهبُـــــهُ والغِيـــدُ تَنزِلـــهُ وتَصـــعَدُهُ[1]

ألْقـــتْ إليـــهِ مِـــن مفاتِنِهـــا مـــا لـــيسَ إلاّ اللهُ يَشـــهَدُهُ

ورَمـــتْ لـــه يقظـــانَ مِـــن مُتَـــعٍ مـــا نحـــنُ في الأحـــلامِ نَنشُـــدُهُ

والـــنجمُ حارسُـــها وحارسُـــه والظـــلُّ موعـــدُها وموعـــدُهُ

الآنَ أدْرِكُ سِرَّ زَفْرتـــــــــهِ إذ لم يَعُـــــدْ سِرّاً تَجَلُّـــــدُهُ

فَلفَقـــدِه نَفَســـاً تَنَفَّسَـــهُ و لـــذِكره نَهْـــداً تنَهَّـــدُهُ

يَتَعَقَّـــبُ المســـكينُ موجَتَهـــا عَبَثـــاً بَموْجتـــهِ وتطْـــردُهُ

لم يَـــدْرِ حتـــى الآنَ شِـــيمَتَها حسِـــبَ الهـــوى نغَـــماً يُـــردِّدُهُ

أمـــسِ استـــطابتْ فيـــه مَقصِـــدَها واليـــومَ أهـــونُ منـــه مَقصِـــدُهُ

***

لـــو يســـتطيعُ لَـــرَدَّ خُضـــرتَهُ و بـــرغمِ سَـــفْحَيْهِ تَـــورُّدُهُ

وبرغْمـــهِ أنْ حُـــبَّ خابِطُـــهُ للـــــزارعينَ وذُمَّ مَـــــوردُهُ

مـــا سرَّهُ ((والبـــيضُ)) تُنْكِـــرهُ أنَّ المراعـــي الخُضْـــرَ تَحْمَـــدُهُ!

فالـــذّكْرياتُ الغُـــرُّ يَشـــهدُها رقراقُـــهُ الصـــافي وتَشْـــهدُهُ

***

مُتطـــامنٌ لم تُخْـــشَ صَـــولتُه لكـــنْ تَضـــيقُ بصـــائِلٍ يَـــدُهُ

---

[1] الهيم: العطاش. والغيد: النساء الحسان اللينات الأعطاف.

فمِـــنَ الشِّـــمال يـــدٌ وتُنْهِضُــــهُ ... ومِــــنَ الجَنــوب يــــدٌ وتُقْعِــــدُهُ

كالنّـــاس لِلحُفُـــراتِ مَرجعُـــه ... ومَـــنِ النِّطـــافِ النُّـــزْرِ مولِـــدُهُ

وخُضُـــوعُهُ كخُضـــوعهمْ أبـــداً ... للغيـــبِ أنَّـــى ســـارَ يقصـــدُهُ

والفَصـــلُ دونَ الفصـــلِ، يُنعشُـــهُ ... والأرضُ، دونَ الأرض، تُســـعِدُهُ

لَغِـــبٌ فـــلا الإمســـاءُ يُوسِـــعُهُ ... عَطفـــاً، ولا الإصـــباحُ يُنجِـــدُهُ(1)

الـــنجمُ أعمـــى لا يرافِقُـــهُ ... والطـــيرُ أخـــرَسُ لا يُغـــرِّدُهُ

مُتحَـــيِّرٌ لا يســـتَحِمُّ بـــهِ ... فَلَـــكٌ، ولا الأضـــواءُ تُرْشِـــدُهُ

وكـــأنَّ مُحتَشَـــدَ الضَّـــبابِ بـــهِ ... بـــابٌ بوجـــهِ الشُّـــهْبِ يُوصِـــدُهُ

والشَّـــمسُ فـــاترةٌ تُـــذَكِّرُهُ ... وضَـــحَ السَّـــنا أيّـــامَ تُوقِـــدُهُ

أيّـــامَ تـــنفُخُ في قرارتِـــهِ ... مـــن رُوحهـــا نَفَســـاً تُجَـــدِّدُهُ

والغـــيمُ يَحلِـــفُ لا يُبارحُهـــا ... والـــريحُ تَحْلِـــفُ لا تُبـــدِّدُهُ

والبـــدرُ.. حتـــى البـــدرُ يُوحشـــه ... في يـــومِ محنتـــهِ ويُفْـــرِدُهُ

هـــذا الـــذي مـــا كـــانَ مِـــثلَهما ... للصـــيفِ مـــن مَثَـــلٍ يُخَلِّـــدُهُ

كانـــا يَرُبّـــانِ الغـــرامَ معـــاً ... ذا يَصْـــطَفيهِ، وذا يُهَدْهِـــدُهُ

* * *

لم يبـــقَ مـــن هَـــرَجِ الربيـــع بـــهِ ... إلا الـــذي قـــد فـــات أجـــودُهُ

ومـــن ((العـــريشِ)) عـــلى شـــواطئه ... إلاّ خُشَـــيْباتٌ تحـــدِّدُهُ

---

(1) اللغب: المتعب.

ركـــبٌ تحمّـــل عنـــه ناشـــطهُ وأقـــام عـــاجزهُ ومُقْعَـــدُهُ

والســامرونَ انفــضَّ عُرْسُــهُمُ لا جِـــدُّهُ أغنـــى، ولا دَدُهُ[1]

خَجَـلَ الغُـرابُ عـلى مواقِـدهمْ وعـلى الرَّمـادِ بهـا يلبِّـدُهُ[2]

ومـنَ الحَـمام أظَلَّـهُ زَجِـلٌ كَلِـفٌ بلحـنِ الصَّـيفِ يُنْشِـدُهُ[3]

ضَـنْكُ المَسَـفَّةِ يَـدَّني عَطَشـاً و تَمَـوُّجُ الآذيِّ يُبعِـدُهُ[4]

مُتسـائلاً لِمَ حـالَ رَيّقُـهُ عـن حُـرِّ لـونٍ كـان يَعهَـدُهُ!؟

* * *

وعـلى الضِّـفافِ، البطُّ مُـنكمِشٌ لاهٍ بـذاوي النبـتِ يَعضِـدُهُ[5]

شَـعْثُ النَّسـيل، كـأنَّ عابثـةً ، مجنونـةً، راحـتْ تُبـدِّدُهُ[6]

مـا الصّـيفُ سـبَّط مـن جَـدائِلـهِ جـاءَ الخريـفُ لـه يُجَعِّـدُهُ!

---

[1] الدد (بفتح الدال): اللعب. والبيتان يشيران إلى ليالي المصطافين على ضفاف دجلة وإلى عرائشهم المقامة عليها.

[2] لبده: ألصقه بالأرض، ومنه تلبد بالمكان أي لزمه لا يفارقه.

[3] الزجل: المترنم ومنه الأزجال التي يتغنى بها.

[4] سف الطائر وأسف: مر على وجه الأرض وضنك المسفة شديد المقترب من الماء.

[5] عضد النبت: قضمه وكسره.

[6] النسيل: ما ينسله الطائر من ريشه وينتفه.

بـــادي الخُمـــولِ يـــؤوده عُنُـــقٌ ... في أمـــس، مـــن زَهْـــوٍ، يُمـــدِّدُهُ![1]

وكأنـــه – إذ خِيـــفَ مَســـبَحهُ – ... مُتَرهِّـــبٌ قـــد سُـــدَّ مَعْبَـــدُهُ!

أتُـــرى يعـــودُ غـــداً لِمَلْعَبِـــهِ ... أمْ لا يعـــودُ كأمســـه غـــدُه؟!

***

وتهضَّـــمَ النُّـــوتيُّ زورقَـــه ... بالقـــار، بعـــد الغِيـــد، يَحشـــدُهُ[2]

يقتـــاتُ مـــن كِسَـــرٍ يُثَبِّتُهـــا ... في اللـــوحِ، أو حَبـــلٍ يُمَسِّـــدُهُ[3]

***

لم أدرِ لـــو لم تُنبِنـــي سُرُجٌ ... في شـــاطئيهِ، أيـــنَ مَرقَـــدُهُ

ومَضَـــتْ.. فقلـــتُ: النّـــومُ أعـــوزَه ... وجُفونـــهُ، رُمْـــداً، تُسَـــهِّدُهُ!

وخَبَتْ .. فقلـــتُ: غفـــا، وإن صَدىً ... في السَّـــمْعِ مـــن زَفْـــرٍ يُصَـــعِّدُهُ!

وكـــأنَّ تابوتـــاً يُعِـــدُّ لـــهُ ... مَلاَّحُـــه فـــيما يُنَضِّـــدُهُ

وحَسِـــبتُ مِزمـــاراً يُشَـــيِّعُه ... للقـــبرِ، مِســـماراً يُشَـــدِّدُهُ

وتجـــاوُبَ ((الأجْـــراءِ)) قافيـــةً ... ســـمحاءَ باكيـــةً تُمَجِّـــدُهُ![4]

***

يـــا صـــامتاً عِيّـــاً، ومَنْطِقُـــهُ ... مُتَفَجِّـــرُ اليَنْبُـــوعِ سَرْمَـــدُهُ

---

[1] يؤوده: يثقله.

[2] تهضم: أذل

[3] مسد الحبل: فتله.

[4] الاجراء: جمع جرو.

تَهفـــو فرائـــدُ عِقْـــدِهِ جَزَعـــاً	ممـــا بهـــا، وتهـــيمُ شُرَّدُهُ[1]
وتُثـــيرُ فيـــه الـــذكرياتُ شـــجاً	يَعيـــا بـــه فيَخُـــورُ أَيِّـــدُهُ[2]
و مُـــوَكَّلاً بالـــدَّهرِ، يَزرعُـــهُ	في شـــاطئيه ثـــمَّ يحصُـــدُهُ
يـــا شـــطُّ، أنـــتَ أعـــزُّ مُنقَلبـــاً	في النـــاطقينَ بـــما تُخَلِّـــدُهُ
وكـــذا الطبيعـــةُ في عناصرهـــا	جِـــنٌّ حَبـــيسُ الـــرُّوح مجهـــدُهُ!
نَرتـــادُ جامـــدَها نُفَجِّـــرهُ	وعقـــيمَ غامضِـــها نُوَلِّـــدُهُ
فلعـــلَّ ذا، ولعلَّهـــا لُغـــةٌ	مـــن غـــيرِ مـــا جَـــرْسٍ نُعـــوِّدُهُ
ولـــربَّما ضَـــحِكتْ بســـائطُها	هُـــزْءًا بنـــا ممّـــا نُعَقِّـــدُهُ

بغداد ،عام ١٩٤٦

[1] يراد بفرائد العقد حبات الماء المتجمعة في النهر، وكذلك الشرد. وتهفو: بمعنى تتعثر.

[2] الأيد: القوي

الجيل الجديد

يـا أيهـا ((الجيـلُ الجديـدُ)) سـلامُ ألقـتْ إليـكَ بثِقْلِهـا الأعـوامُ

ورمـتْ بكَلْكلِهـا عليـك فـوادحٌ ممـا تجنّـى ((السـادرون)) جسـامُ

ألقـتْ إليـك وأنـتَ أشرفُ نـاهضٍ ثِقْلَـيْهما الآمـالُ والآلامُ

فرمـى لـكَ الماضي الأليـمُ بـوِزْرِهِ و رنـا لـكَ المسـتَقبلُ البسّـامُ

والحـاضرُ المُـرتجُّ بيـنهما شـجاً و تطلُّعـاً تهفـو بـه الأحـلامُ

ألقـى إليـك ((الخـائنون)) نَتـاجَ مـا سَـدَروا وشـطّوا وارتَعَـوْا وأسـاموا

والمخلصـون، رجـاؤهم أن تـنجلي كُـرَبٌ وأن يلِـد الصـباحَ ظـلامُ

***

يـا أيهـا ((الجيـلُ الجديـدُ)) وطالمـا لصَـقت بغـير ذواتِهـا الأعـلامُ

ولطالمـا اشـتطَّ الطغـاةُ وأرجفـوا للمصـلحينَ وأقعـدوا وأقـاموا

سَـمَّوكَ ((هـدّاماً)) لأنـكَ تجْتَـوي ما البغيُ سـنَّ، ومـا جنـى الإجـرامُ[1]

ولأنـك اسـتمتَ العدالـةَ خطـةً مَـن في يديـه الـنقضُ والإبـرامُ[2]

وغضِـبت أن تجـدَ الرعايـا مَغْـنَماً بيـدِ الرُّعـاةِ كـأنهم أنعـامُ

---

[1] اجتوى: كره.

[2] استمت: تكلفت.

وشـــجبتَ أنَّ الحكــم في قاموسِـــهِمْ   ســـوطٌ يشـــدُّ، وشـــهوةٌ وعُـــرامُ[1]

هـــوِّنْ عليـــكَ فكـــلُّ ذلـــكَ فِريـــةٌ   تَفْنـــى ويَبْقـــى الســـعي والإقـــدامُ

وكـــذاك كـــلُّ ((مخـــرِّبٍ)) لرذيلـــةٍ   بـــانٍ، وكـــلُّ ((مُعَمِّـــرٍ)) هـــدّامُ

بغداد، عام ١٩٤٦

---

[1] العرام: الشدة والشراسة.

إلى الوفد الرياضي الإيراني

(وفد حزب توده للعراق)

أهـلاً بكُـمْ رمـزَ الشـباب ومرحبـا ... المُطلعـين مـن ((الفُتـوَّة)) كوكبـا

الحـاملينَ مـن ((النضـال)) لـواءَه ... والنـاهِجينَ بـه الطريـقَ الألحبـا[1]

والنـاشرينَ مـن الأُخـوَّة مـذهباً ... هو خيرُ ما ارتَضتِ الشرائعَ مَذهبا

يـا مـن أعـينَ ((قـديمُنا)) بقـديمهم ... و ((حـديثُنا)) بحـديثهم فتأشَّـبا[2]

وتَسَلْسَـلَ التـاريخُ فـيما بينَنـا ... متقاسـمينَ ((أمـرَّهُ)) و ((الأعـذَبا))

إنَّـا وأنـتُمْ - والتوجُّـع واحـد - ... لَيَزيـدُنا المسـتعمرون تقرُّبـا

لَيزيـدُنا الألمُ الـدفينُ تماسـكاً ... لَيزيـدُنا صَـهرُ الخطـوبِ تَصَـلُّبا

بغداد، عام ١٩٤٦م

---

[1] الالحب: الأوضح.

[2] تأشب: هنا من تأشب الشجر أي تشابك والتفَّ.

أرج الشباب

قدمتها جريدة ((الرأي العام)) عند نشرها بما يأتي:

(في حفل حاشد لم تشهد الحلة له نظيراً وعلى مئات من طلاب المدارس المتسابقين جلوساً ووقوفاً على سماع ما وعدوا به من قصيدة أعدها الأستاذ الجواهري خصيصاً لهم، فألقى بتحيته العزيزة هذه وكان تيار عنيف من التصفيق والهتافات المستمرة يقاطع كل مقطع من مقاطعها)).

أَرَجُ الشبابِ وخمرهُ المسكوبُ ... لَيفوحُ من أردانِكُمْ ويَطيبُ

ومنَ الربيعِ نضارةٌ بوجوهكم ... تَنْدى ومن شهدِ الحياةِ ضريبُ

ومنَ الفُتُوّةِ سَلْسَلٌ مُتَحدِّرٌ ... مما يفيضُ يكادُ يُترَعُ كوبُ

وَلأنتُمُ إن غابَ نجمٌ يُقتدى ... أو حُمَّ خَطبٌ حالِكٌ غِرْبيبُ[1]

وتأزّمت كُرَبٌ، وضاقت خُطَّةٌ ... واستوحشتْ طرقٌ لنا ودروبُ

سُرُجٌ تُنير الخاطبينَ، وأنْجُمٌ ... نغدو على أضوائِها ونَؤُوبُ

تتجهَّمُ الدُّنيا، ويعبِسُ باسمٌ ... منها، ويعتورِ الحياةَ قُطُوبُ

حتى إذا ابتسمَ ((الشبابُ)) تذوَّبَتْ ... كالغيمِ في الصَّحوِ الجميلِ يذوبُ

***

يا عاكفينَ على ((الدُّروس)) كأنّهم ... غُلْبُ الصُّقورِ من الظَماء تلوبُ[2]

والعازفين عن اللذائذِ همُّهمْ ... ((جَرَسٌ)) يدُقُّ ومِنبرٌ وخطيبُ[3]

والمستقينَ من ((الضمير)) يمُدُّهُمْ ... نَبْعٌ ووادٍ بالضميرِ خصيبُ

تركوا مواعيدَ الحِسانِ وعندَهُم ... بين المقاعدِ مَوْعِدٌ مَضروبُ

أشهى من الوجهِ الجميلِ إليهمُ ... وجهُ ((الكتابِ)) وَوُدُّهُ المخطوبُ

إنَّ العراقَ بلا نصيرٍ منكم ... وبلا، مُجيرٍ، مُقْفِرٌ وجديبُ

---

[1] حُمَّ: اشتد. غربيب: حالك.

[2] الغلب: جمع أغلب ويريد به القوي. تلوب: تحوم حول الماء عطشاً.

[3] عزف عن الشيء: رغب عنه وعدل.

***

عاشتْ سواعدُكم فهنَّ ضوامنٌ ... أن يُسْتَرَدَّ من الحقوقِ سليبُ

وَزَكَتْ عواطِفُكُمْ فأيةُ ثروةٍ ... منها نكافئُ مُخلِصاً ونُثيبُ

وَلأَنْتُمُ أَنْتُمْ – وليسَ سواكمُ – ... أملُ البلادِ وذُخْرُها المطلوبُ

ولأنتُمُ إذْ لا ضمائرَ تُرْتَجى ... للرافدَيْن ضمائرٌ وقلوبُ

ولأنْتُمُ إن شوَّشتْ صفحاتِنا ... ممّا أُجِدَّ نقائصٌ وذُنوبُ

الطاهرونَ كأنهمُ ماءُ السّما ... لم يَلْتَصِقْ دَرَنٌ بِهِمْ وعيوبُ

إنّا وقد جُزْنا المدَى وتقاربتْ ... آجالُنا وأمضّنا التّجريبُ

وتخالَفتْ أطوارُنا، وتمازَجَتْ ... ونبا بنا التّقريعُ والتأْنيبُ

وتخاذَلَتْ خُطُواتُنا من فَرْطِ ما ... جدَّ السُّرى، والشدُّ، والتقريبُ[1]

لَنراكُمُ المثلَ العليَّ لأمّةٍ ... ترمي إلى أهدافها وتُصيبُ

هي أُمّةٌ لم تحتضن آمالَها ... وغداً إلى أحضانِكُمْ ستؤوبُ

وغداً يُكَفِّرُ والدٌ عمّا جنى ... ظُلماً على يدِ إبنه ويتوبُ

فتماسكوا فغدٌ قريبٌ فَجْرُهُ ... منكم وكلُّ مُؤمَّلٍ لَقريبُ

وتَطَلَّعوا يُنِرِ الطريقَ أمامَكم ... قَبَسٌ يشعُّ منارهُ، مَشْبوبُ

وتحالفوا أنْ لا يُفرِّقَ بينكم ... غاوٍ ولا يَنْدَسَّ فيكُمْ ذيبُ

---

(1) والشد والتقريب: ضربان من السير.

وتـــذكّروا المســـتعمرينَ فـــإنهمْ | سَوْطٌ على هـذي البلادِ وحُوبُ[1]
فتفهّمـــوا أنَّ العـــراقَ بخـــيره | وثرائِـــه، لطَغَـــامِهِمْ منهـــوبُ
وتميَّـــزوا فهنـــاك وجـــهٌ ســـافرٌ | مـــنهمْ، وآخـــرُ بالخنـــا محجـــوبُ
وســـويّة في خِزْيَـــةٍ مســـتعمرٌ | أو مَـــنْ يُقـــيمُ مقامَـــه ويُنيـــبُ[2]
إيـــاكُمُ أنْ تُخـــدعوا بنجـــاحكم | فـــيما هـــو المقـــروءُ والمكتـــوبُ
أو تَحْسَـــبُوا أن الطريـــقَ كعهـــدِكم | بين الصفوف ((معبّدٌ)) ورحيـبُ
إن الحيـــاة ســـيبلوَنَّ جهـــادَكم | منهـــا نجـــاحٌ مرهِـــقٌ ورســـوبُ[3]

***

ومُســـهَّدينَ جـــزاهُمُ عـــن لـــيلِهمْ | اللهُ و التعلـــــيمُ والتـــــدريبُ
أضـــناهُمُ تعـــبٌ.. وخـــيرُ مجاهـــدٍ | مُضـــنىً يُعَبَّـــىءُ أمَّـــةً ويُهيـــبُ
أأُخـــيَّ ((عبـــودٌ)) ولســـتَ بُمعـــوزٍ | مـــدحاً ولكـــنَّ الجُحـــودَ مَعيـــبُ[4]
إن كان مسَّك ((والحسينَ)) كلالةٌ[5] | أو كـــانَ نـــالكما عنـــاً ولُغُـــوبُ[6]

---

[1] الحوب: الاثم.

[2] سوية: يريد بها سواد.

[3] يبلو: يختبر.

[4] هو السيد ((عبود زلزلة) مدير معارف الحلة آنذاك.

[5] هو السيد ((محمد حسين الشبيبي)) مفتش معارف الحلة آنذاك.

[6] اللغوب: التعب.

فلأنـــتما والشـــاعرون ســــويةٌ كالشــمع يَهــدي غــيرَه ويــذوبُ
أُولاءِ غرسُــكما فهــل مِــنْ غــارسٍ يزكـــو كهــذا، غرسُــه ويَطيــبُ
وهــل الخلــودُ ألَــذُّ ممــا أنــتما فيـــه، وأمـــرُ الخالــدين عَجيــبُ
لا يحسـبون وجـودَهم ووجـودُهُم قبــلَ الوجــودِ، وفوقَــه محسـوبُ

بغداد، عام ١٩٤٦

إلى المناضلين

أنشدها الشاعر في المؤتمر الأول لحزب ((الاتحاد الوطني)) وكان أحد مؤسسيه وعضواً في ((لجنته المركزية)).

أطِلُّـــوا، كـــما اتَّقـــدَ الكوكـــبُ ... يُنـــوِّرُ مـــا خَـــبَطَ الغَيْهَـــبُ[1]

وســـيروا وإنْ بَعُـــدَت غايـــةٌ ... وشُـــقّوا الطريـــقَ ولا تَتْعَبُـــوا

ومُـــدّوا سَـــواعدَكم إنهـــا ... مَعـــينٌ مـــن الجُهـــد لا ينضُـــبُ

وهـــاتُوا قلـــوبَكُمُ أُفرِغـــتْ ... عـــلى نَجـــدةِ الحَـــقِّ، أو فـــاذْهَبوا

فـــما إنْ يَليـــقُ بمجـــدِ النضـــالِ ... ضـــعيفٌ عـــلى نَصـــرِهِ يُغصَـــبُ

وإنَّ ((غـــداً)) باســـماً يُجـــتَلى ... بشِـــقِّ النفـــوس ولا يُوهـــبُ

***

وإنّي وإن كنـــتُ صِـــنْوَ الرجـــا ... ءِ في حومـــةِ اليـــأسِ، لا أُغْلَـــبُ

أواعـــدُكم عـــن ((غـــدٍ)) صـــادِقاً ... ويُســـرِفُ في الوعـــدِ مَـــن يَكـــذبُ

أمـــامُكُمُ مُـــوعِرٌ، مُلغَـــمٌ ... بشـــتّى المخـــاوفِ، مُستَصْـــعَبُ

يَسُـــدُّ مداخلَـــهُ أرقـــمٌ ... وتحمـــي مســـالِكَهُ أذؤبُ[2]

وســـوف يبـــينُ إذا مـــا انجـــلى ... غـــدٌ، مـــن يَجِـــدُّ، ومـــن يَلعَـــبُ

فســـوف يـــدوِّرُ ((ســـاعاتِكم)) ... بـــما لا يَسُـــرُّكُمُ ((عقـــربُ))

وســـوف يخـــونُكُمُ ((خـــائفٌ)) ... وســـوف يســـاوِمُكُم ((أشـــعَبُ))

و ســـوف يُـــزاملُكُم خُطـــوةً ... ويَخـــذِلُكم خُطـــوةً مُتعَـــبُ

---

[1] الغيهب: الظلمة.

[2] الأرقم: الحية الأرقط.

وســوف يطــولُ عنــاءُ الطريــقِ ... علــيكُم فيَعــزبُ مــن يَعْــزبُ[1]

وســوف تَضيــقُ بكُــم دُورُكُــمُ ... وسُوحُ ((السجون)) بكـم تَرحُـبُ

فقولــوا لمــن ظــنّ أن الكفــاح ... غلّـــة مزرعـــة، تكـــذبُ

وقولــوا لمــن ظــنَّ أنَّ الجُمــوعَ ... مطايــا تُســخَّرُ: يــا ((ثعلــبُ))

تُريــدون أنْ تســتقيمَ الأمــورُ ... وأن يخلُـفَ ((الأخبـثَ)) الأطيـبُ

وأن تجمَعُــوا الشَــمْل مــن أُمَّــةٍ ... يفرِّقُهـا ((الجَـدُّ)) و((المـذهبُ))

وأن يأكُــلَ ((الثمــرَ)) الزارعــونَ ... وأن يأخُـذَ ((الأرضَ)) مـن يـدأبُ

تريــدون أن يعــرِفَ الكــادحونَ ... من ((العـيش)) مـا عـنهُمُ يُحجَـبُ

تريــدون أن تَطْعَنــوا في الصميــ ... ـم رثَّ ((الطبـــاع)) وأن تضــرِبوا

ومـــن دون ذلـــك أن تَصـــطَلوا ... ســـعيرَ الحيـــاة، وان تَســـغَبوا[2]

وأن تــرِدوا مـــا يَمُـــجُّ القَـــذى ... وأن تَطْعَمــوا منــه مــا يَجشُــبُ[3]

***

فـــلا تحسَـــبوا أنكـــم في الجهـــاد ... ((هُـــواةٌ)) يضـــمُّهُمُ ملعَـــبُ

ولا تحسَـــبوا أنَّ ((مُســـتثمِراً)) ... ظلومـــاً لمصـــرعِه يَطـــربُ

ولا تحسَـــبوا أنَّ ((مســـتعمِراً)) ... يُثـــارُ عليـــه ولا يغضَـــبُ

ولا تحسَـبوا ((الأرضَ)) يَهْنـا بهـا ... ذَووهـــا، وبالـــدم لا تُخضَـــبُ

و لا تحسَـــبوا أنهـــم يَظمـــأون ... وطـــوعَ أكفِّهـــمُ المَشْـــرَبُ

---

[1] يعزب: يغيب ويبعد.

[2] تسغبون: تجوعون.

[3] يجشب: يخشن.

فأنـــذرْ ((بحنظلـــةٍ)) خائنـــاً تعجَّلَـــه الثَّمـــرُ الطيـــبُ

وبشِّـرْ بحُلْـو ((الجَنـى)) كادحـاً على ((الجِـذر)) مـن شَـجرٍ يَضرِبُ

فـلا تهِنـوا، إنَّ هــذي الأكــفَّ تُمــلي عــلى الـدَهر مـا يكتـبُ

بغداد، عام ١٩٤٦

عمر فاخوري

ألقاها نيابة عن الشاعر، الأستاذ الأديب رئيف خوري، في الحفل التأبيني الكبير الذي أقيم في بيروت لمناسبة أربعينية الأديب التقدمي الكبير عمر فاخوري، وكان من أصدقاء الشاعر الأعزاء.

رِثــاؤُكَ مــا أشَــقَّ عــلى لســاني ... ورُزْؤك مــا أشــدَّ عــلى جَنــانِي
وكيــفَ يُطيــقُ عــن ألمٍ بيانــاً ... ثكــولٌ شَــلَّ منــهُ الأصــغَرانِ[1]
وفَقْــدُكَ مــا أمــضَّ وقــد تولَّــتْ ... جِيــادُ النصرِ خَــوضَ المعمعــانِ
وشرقٌ كنــتَ أمــسِ لَــهُ سِراجــاً ... كثيــفُ الجــوِّ منتشرُ الــدخانِ
تَهــاوى الطــامِعونَ عــلى ثــراهُ ... كما اختلــفَ الــذُّبابُ على خِــوانِ[2]
تَعــبَّسُ مــن مَــزاحِفِهِم ثغــورٌ ... وتنــتَفِضُ المشــارفُ والمــواني

***

ومــا أنبــا مَصــيرَكَ عــن مصــيري ... ومــا أدنــى مكانَــكَ مــن مكــاني
أصــختُ لِمَــنْ نعــاكَ عــلى ذُهــولٍ ... كــأنيَ قــد أصَــختُ لِمَــنْ نعــاني
وكنــتُ أُحِــسُّ أنَّ هنــاك رُزْءاً ... وأجهــلُ كُنْهَــهُ حتّــى دهــاني
صــفَقْتُ براحَتَــيَّ مــنِ التيــاع ... وهــل أدنــتْ بعيــداً راحتــانِ؟!
ورُحْــتُ، وأيُّ جُــرحٍ في فــؤادي ... مغالَطــةً، أعَــضُّ عــلى البَنــانِ
وعــانَقَني مــن الــذِّكْرى خيــالٌ ... كســيرُ الــنَفْسِ يَشــرَقُ بــالهوانِ
تســيلُ دمــاً جوانبُــهُ اشــتياقاً ... إلى اللَّمَحــاتِ والمُتَــعِ الحِســانِ
إلى تلــكَ الليــالي مُشــرِقاتٍ ... بهــا ((لُبنــانُ)) مُزدَهِــرُ المغــاني
إلى سَــمَرٍ كــأنَّ عليــه ممــا ... تَنِــثُّ مِــن الشــذا عَبَــقَ الجِنــانِ

---

[1] الأصغران: القلب واللسان.

[2] الخوان: الذي يؤكل عليه.

خيالٌ رُحتُ من يأسٍ وحِرْصٍ أُسَلِّي النفْسَ فيه عن العِيانِ

أثارَ لِيَ العواطِفَ من عنيفٍ ومُضْطَخِبٍ ومُرْتَفِقٍ وحاني

وفكَّ من الأعِنَّةِ ذكرياتٍ تَهُزُّ النفْسَ مُطلَقَةَ العِنانِ

لَمَمْتُ عُطورَها فشمِمْتُ منها شذا الغَضَبِ المطَهَّرِ والحَنانِ

كِلانا مُعوِزٌ نُطْقاً عليهِ طيوفُ الموتِ مُلقِيَةُ الجِرانِ[1]

لَعَنْتُ اللفظَ ما أقسى وأطْغى وما أعصى على صُوَرِ المعاني

تقاضاني بيومِكَ تَرْجُماناً وكنتُ ألوذُ منه بتَرجُمانِ

***

فيا ((عُمَرَ)) النضالِ إذا تشكّى شُجاعُ القَلْبِ من خَوَرِ الجبانِ

ويا ((عُمَرَ)) البيانِ إذا تغذّى عِجافُ النَشْءِ بالفِكَرِ السِمانِ

ويا ((عُمَرَ)) الوفاءِ إذا تخَلّى فُلانٌ في الشدائِد عنْ فُلانِ

ويا ((عُمَرَ)) الخلودِ إذا تغنّى بمجدِ الخالِدينَ فَمُ الزَمانِ

ضُمِنتَ مِن الردى لو كانَ طَولٌ وأينَ القادِرونَ على الضَّمانِ

وإنّا والحياةُ إلى تبابٍ وكلُّ تجمُّعٍ فإلى أوانِ[2]

لُمحترَبونَ أن نُمسي ونُضحي وأنتَ بمعزِلٍ خالي المكانِ[3]

---

[1] الجران: من البعير مقدم عنقه.

[2] التباب: الهلاك.

[3] لمحترَبون: لمفجوعون.

أسـيتُ لعـاكِفينَ عليـكَ حُبّـاً ... ومُختَصـينَ فضـلَكَ باحتضـانِ[1]
رفاقِـكَ يـومَ مُزدَهَـرِ الأمـاني ... ودِرْعِـكَ يـومَ مُشْـتَجَرِ الطِعـانِ
حبيتُـكَ باسِـماً والهـمُّ يَمشـي ... عـلى قَسَـماتِ وجهِـك بـاتزانِ
تُغالبُـهُ و تَغْلِبُـه إبـاءً ... كأنّـكَ والهمـومَ عـلى رِهـانِ
يُـزَمُّ فـمٌ فـما تُفْضـي شِـفاهٌ ... ويَخفـى السـرُّ لـولا المُقلتـانِ[2]
عـلى مُـوقَيهِما مَـرَحٌ ولُطْـفٌ ... و إنسـاناهما بـكَ مُتعبـانِ
يفـيءُ الصَـحْبُ منـك إلى وريـفٍ ... لطيـفِ الظـلِّ خفّـاقِ المجـاني[3]
تَفـيضُ طَلاقـةً، وتـذوبُ رِفقـاً ... ووحْـدَكَ أنـتَ تـدري مـا تُعـاني
ومـا أغـلى الرجولـةَ في شِـفاهٍ ... مغلّفـةٍ عـلى ألمِ ((مُصـان))[4]

***

و عـامِرةِ المعـاني مُنتَقـاةٍ ... بهـا الكلِـماتُ شـامخةُ المبـاني
فتقـتَ الـذّهنَ فيهـا عـن طَريـفٍ ... يُشِـعُّ اللفـظُ فيـهِ عـن جُمـانِ
يَمُـدُّكَ عَبْقَـرٌ فيهـا وتُجبـى ... لـكَ الخطَـراتُ مـن قـاصٍ وداني
أثـرْت سُـطورَها وذهبـتَ عنهـا ... فهُـنَّ إليـكَ مـن مَضَـضٍ رواني[5]

***

---

[1] أسيت: حزنت.
[2] يزم: بمعنى يطبق ويسد.
[3] المجاني: جمع مجنى ويقصد الشجر أو الأغصان.
[4] يريد بمصان: مصون – ((من شروح طبعة بغداد)).
[5] رواني: جمع رانية أي ناظرة.

أبـا ((الخطّـابِ)) رانَ عليـكَ ليـلٌ — عقـيمُ الفجـرِ لا يتلـوهُ ثـانِي

وأغْمِضَـتِ الجفـونُ عـلى شَـكاةٍ — تُدَغْـدِغُها مـن البُشـرى أمـانِي

أمـان أن يسـودَ النـاسَ حُكْـمٌ — يَبيـتُ الفـردُ منـهُ عـلى أمـانِ

فـلا تبعَـدْ وإن أخنـى فَنـاءٌ — و مـا مُبـقٍ مـآثِرَهُ بفـانِي[1]

ورهْـنُ الخُلـدِ أضْرِحَـةٌ عليهـا — قُطـوفُ الفِكـرِ يانِعـةٌ دوانِي

بكى ((بَرَدى)) عليكَ بفيض دمع — ومـجَّ ((النيـلُ)) فيضـاً مـن بيـانِ

وجِئـتُ أغُـضُّ طَـرْفي عـن حيـاءٍ — فهـذا مـا يُمـجُّ ((الرافـدانِ))!

إذا مـا الحُـزنُ طـاوَعَ في مُصـابٍ — فـإنَّ الشِـعرَ يُعْـذَرُ في الحِـرانِ

بغداد، عام ١٩٤٦

[1] لا تبعد(بفتح العين) :أي لا تهلك.

أرشد العمري

تركـــوا الــــبلادَ وأمْرَهنَّـــــه لخيـــالِ مَســـعورٍ بجِنَّـــــه
لمغفَّـــــلِ عـــــمّا بــــــه حُمْقــــاً فكيـــفَ لمـــا بهنَّـــه
تركـــوا الــــبلادَ وأمرَهُنَّـــــه للــــــدائراتِ تُديرُهنّـــــــه
وموكَّـــــــلٍ بالبــــــائعين وبالـــــدُروب، ورشِّــــــهنَّه
ومرافـــــقٍ نُـــدلَ الفنــــادقِ بـــينَ مَـــرْدوخ وحَنَّـــــه[1]
بـــالله قـــلْ لي يـــا ابـــنَ منتـــوفِ السِـــبال لأنـــتَ فِتنـــه[2]

بغداد، عام ١٩٤٦

(*) افتتح رئيس الوزراء ((أرشد العمري)) عهد وزارته الجديد بإغلاق الصحف الوطنية وبحملة إرهابية وبمذبحة في شمال العراق (كاور باغي).

(1) الندل: جمع نادل وهو العامل في المشرب. والأبيات إشارة إلى منصب ((العمري)) السابق وهو أمانة العاصمة.

(2) السبال: الشاربان.

ذات الحجاب

دَعـــاني جمالُـــكِ فـــيمن دَعـــا فلبَّيْتُـــــه مُســـرعاً طيِّعـــــا
حَشَـدْتُ لـــه مـــن عَبيـــدِ الهَـــوى عَطاشَـــى مُحَـــلّأةً جُوَّعـــا[1]
عواطِـــفَ لم تغـــذُ منهـــا الســـنون رجـــاءً، ولا أنعشـــت مَطْمَعـــا
ترامَـــت عـــلى عَـــذَباتِ الشِـــفاهِ حـــائرةً مَقْطَعـــاً مَقْطَعـــا
ولاحَـــت بَريقـــاً وُقيـــتِ الصِّـــبا وعـــادت رَمـــاداً فلـــن تَسْـــطعا
أسـيّدتي مـــا أرقَّ الحجـــابَ يُثـــيرُ الفُضـــولَ ومـــا أبـــدَعا
لقـــد حِـــرتُ أيّـــاً مـــن الفِتنَتَـــيْنِ أصُـــدُّ: ســـناكِ أم البُرْقُعـــا؟

بغداد، عام ١٩٤٦

---

[1] محلأة: ممنوعة عن الوردِ.

أندونيسيا المجاهدة(*)

يا ((أنـدنوسُ))! إن استهاتَ بنُوكِ — فـالحربُ أمُّـكِ والكفـاحُ أبـوكِ

ولـديكِ تـاريخٌ عـلى صَـفَحاتِه — أرَجٌ يَضُـوعَ مـن الـدم المسـفوكِ

وكـأنَّ مـن ألَـقِ الضُحى ورفيفِـه — نُـوْراً يُشِـعُّ عليـه مـن واديـكِ

يا ((بنتَ)) ثانيةِ الجنان بـها اشتَهتْ — نفْـسٌ، ومـا رَمَـتِ الطبيعـةُ فيـكِ

وبـها تسـيلُ ظهورُهـا وبطونُهـا — بـالتِبْرِ مـن متـذوِّبٍ وسَـبيكِ

بالحاشـدِ الملتَـفِّ منـك إذا دجَـى — والضاحكِ العُريانِ من ((ضاحيكِ))

فـاءت عـلى المستعمرينَ ظلالُهـا — وعـلى مليكـاتٍ لهـم ومُلـوكِ

يـا بنـتَ ذاك و((أمَّ)) كـلِّ مُغـرَّقٍ — في بُؤسـه ومُجـوَّعٍ صُـعلوكِ

يـا أمَّ كـلِّ مُشـرَّدٍ عـن أهلـه — وُهِـبَ الجنـانَ وعـاش كـالمملوكِ

بمـن ((الجهـادُ)) يَليـق إن لم ينتظِمْ — تاجـاً تَليـقُ بـه رؤوسُ ذَويـكِ

في كـل قَـبرٍ مـن قُبـورك طـائفٌ — يمشـي إليـك، وصـارخٌ يـدعوكِ

ليشُـدَّ حـاضرَك المضـمَّخَ بالـدِما — بـالموجَع الأسـيانِ مـن ماضـيكِ

ومـن الطبيعـةِ عـن بنيـكِ مُـدافعٌ — أن يأخـذوا منـك الـذي تُعطيـكِ

تـأبى المـروءةُ أن تَزُقّـي غـيرَهم — إذا يُحرَمـون مُجاجـةً مـن فيـكِ

***

يا ((أندنوسُ))! وفي الخلائقِ شركـةٌ — لا شيءَ غـيرَ الله دونَ شريـكِ

أَصْلَوْكِ ما الشرقُ اصطَلى بجحيمِه ... وبميْسَمٍ من ذُلِّهِ وَسَمُوكِ[1]

وسَقَوك من كأسٍ سُقينا مثلَها ... ولقد يكون أرقَّ من يسقيكِ

وكذاك أنت وقد تمخَّضَ نقمةً ... تَتَمَخَّضِينَ على القَنا المَشبوكِ

بغداد، عام ١٩٤٦

(*) تحية لنضال الشعب الأندونيسي ضد الاستعمار الهولندي، ومن أجل الاستقلال والحرية.

(1) الميسم: آلة الكي.

أخي الياس

(رثاء أبو شبكة)

أخـي إليـاسُ: مـا أقسـى اللّيـالي تُنـيخُ بكَلْكَـلٍ وتقـولُ: مـالي[1]
تَسَـمَّعُ إذ تَصـامَمُ للنَّجـاوى وتَهمِـسُ إذ تَخـارَسُ للـنِّمالِ
وتخـدَعُنا بمُقْمِـرةٍ لَعُـوبٍ و تَرمينـا بقـوسٍ مـن ((هِـلالِ))
و تُعطينـا اللَّـذاذةَ عـن يمـينٍ وتطعنُنـا دِراكـاً بالشِّـمالِ[2]
وتَفرُشُـنا أمـانيَ مـن حريـرٍ وفي طيّاتِهـا سُـمُّ الصِّـلالِ[3]
و تُـدنينا، وتُبعِـدُنا، وتلهـو بنـا لهـوَ العواصـفِ بالرِّمـالِ
و نَلْمِسُـها، وتَلْمِسُـنا عِيانـاً وتمـرُقُ مثـلَ طَيـفٍ مـن خيـالِ

***

أخـي إليـاسُ: لا تَخَـلِ المُبَقّـى يُـوقّى مـا احتـواكَ مـن الجِبـالِ[4]
كـأنَّ الشَّـمسَ لم تَطلُـعْ علينـا و لم نَـنعَم بوارفـةِ الظِّـلالِ
ولم نـتروَّ مـن كـأسٍ حـرامٍ ولم نتمَـلَّ مـن سِـحْرٍ حـلالِ
ولم نـتمَنَّ أنَّ الـدَّهرَ خُلْـدٌ وأنـا لا نصـيرُ إلى زوالِ
ولم نسـخَرْ بـما نُمـلي عليـه ولم يسـخرْ بناسِـخةِ الأمـالي!

---

[1] الكلكل: هو في الأصل مابين محزم الناقة أو الفرس إلى ما يمس الأرض منه إذا ربضت. ثم استعير لكل ما يلقى بثقله. وأناخ الدهر أو الخطب بكلكله أي نزل بساحة الرجل أو القوم.

[2] الطعن الدراك: هو المتتابع.

[3] الصلال: جمع صل وهو نوع من الحيات القتالة بسمها.

[4] المبقي: الذي كتب له البقاء.

***

أخـــي إليـــاسُ: لا وصريـــح وُدٍّ وعاطفـــةٍ أرقَّ مـــن الـــزُّلالِ

ومـــا شـــدَّ التَّصـــافي مـــن عُرانـــا وحلّاهـــا مـــن الفِكَـــرِ الغَـــوالي

يَمينـــاً لســـتُ للـــدُّنيا بقـــالي وإنْ كـــدُرَتْ، ولا عنهـــا بســـالي[1]

لأنـــكَ كنـــتَ تُوصـــيني بهـــذا وتُوصـــيني بـــه سِـــيَرُ الرِّجـــالِ

ويَوصـــينا بـــه أنـــا نُـــواري حبيبـــاً، ثـــمَّ نُعقِبُـــه بتـــالي

ونرجِـــعُ مِـــنْ جديـــدٍ عـــن فِـــراقٍ ألـــيمٍ، نســـتزيدُ مِـــن الوصـــالِ

ومـــا أنـــا مَـــنْ يُحـــاولُ أن يُـــداجي أحِبَّتَـــهُ بكِـــذبٍ أو مُحـــالِ

بـــلى إنّي لَتَعْتَصِـــرُ اعتِصـــاراً حشـــايَ، وأنـــت محـــتربٌ حِيـــالي[2]

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] قالي: كاره، مبغض.

[2] محترب: ميت.

اليأس المنشود

نشر، لأول مرة، قسم من القصيدة في جريدة ((الرأي العام)). بعنوان:

((اليأس المنشود أو فلسطين بين العرب والصهاينة)).

وقدمتها الجريدة:

((هذه قصيدة جديدة للسيد الجواهري عن فلسطين وقفنا عن نشرها كاملة، إرسالها إلى مجلة شهيرة خارج العراق.

وسنعيد نشرها كلها خلال عشرة الأيام القادمة عند نشر المجلة المذكورة إياها)).

والمقصود بالمجلة، مجلة ((الكاتب المصري)).

ولكن مجلة ((الكاتب المصري)) لم تنشر القصيدة، ولما طال الانتظار، خص بها مجلة ((عالم الغد)).

نشرت مجلة ((عالم الغد)) في العددين ٢٣ و ٢٤ الصادرين في ١٥/ ١٠/ ١٩٤٧ القصيدة ومعها كلمة بعنوان ((الجواهري)) تقول:

((تنفرد مجلة ((عالم الغد)) بنشر رائعة من روائع الأستاذ الجواهري - شاعر الجيل الحديث - يجدها القارئ منشورة في هذا الجزء بعد أن امتنع عن نشرها ((عميل)) الأدب العربي الدكتور طه حسين في مجلة ((الكاتب المصري)) المعروفة. في ميولها الصهيونية)).

وحين اطلع الشاعر على ما كتبته مجلة ((عالم الغد)) كتب رداً عليه بعنوان ((اعتداء فظيع على عميد الأدب العربي)). وظهر الرد في جريدة ((الرأي العام)).

قال:

((قوبلت الكلمة التي وردت في العدد الأخير من مجلة ((عالم الغد)) عن مفخرة الأمة العربية وعميد الأدب الدكتور طه حسين بكل اشمئزاز وامتعاض من كل الطبقات. ويهمنا من هذا الاعتداء الفظيع على هذه الشخصية الفذة أن الكلمة وردت في معرض التنويه عن قصيدة ((اليأس المنشود)) المنشورة في العدد المذكور وبعنوان الجواهري. الجواهري الذي يعلن بصرامة أنه يشجب كل مديح وتقريظ له يجيء مقروناً بشتم الدكتور طه حسين الذي يكن له من الإعجاب والتقدير ما لا يتسع له هذا المجال.

كما أن هذا المجال نفسه لا يتسع للتعبير عن مقدار أسفنا للإسفاف الذي اقترن بهذه الكلمة المملوءة حقداً وجحوداً وافتياتاً على الدكتور العظيم.

إن عاطفة كريمة دفعت بنا إلى أن نختص مجلة ((عالم الغد)) قبل خمسة شهور بهذه القصيدة. وسواء نشرتها مجلة ((الكاتب المصري)) أم لم تنشرها فلم يكن من اللائق أبداً اتهام الدكتور طه بهذه التهمة الفظيعة التي كثرت المتاجرة بها في هذه الأيام على حساب فلسطين، وهي الصهيونية.

إننا لا نعدو الحق إذا قلنا ما يلي:

لو قيل لنا من هو أقرب الناس - ولو عن غير قصد - إلى الصهيونية لأجبناه بأنه هو الذي يوهم الناس ويخدعهم بأن للصهيونية ((عميلاً)) بمكانة الدكتور طه حسين وتفكيره وعظمته!

وملاحظة نختم بها هذه الكلمة هي: أننا كنا نريد أن يكون هؤلاء القائمون على هذه المجلة أحسن وأليق مما أرادوه لأنفسهم على الأقل من حيث وفاؤهم لصاحب هذه الجريدة - أي الشاعر - وتقدير علاقاته وروابطه الأدبية مع الدكتور العظيم، ولا يقحموا شتم أعز الناس عليه باسمه واسم قصيدته.

وهنا نعتذر باسم الشباب العراقي الحر إلى الدكتور طه حسين)).

رُدُّوا إلى اليـأسِ مـا لم يَتَّسِـعْ طَمَعـا | شَرٌّ مـن الشرِّ خـوفٌ منـه أن يقعَـا
شَرٌّ مـن الأمَـلِ المكـذوبِ بارقُـه | أن تحمِـلَ الهـمَّ والتأميـلَ والهَلَعـا
قالوا ((غدٌ)) فَوَجدتُ اليومَ يفضـلُهُ | و ((الصبرُ)) قالوا: وكان الشَّهمُ من جَزِعا
ولم أجدْ كمَجالِ الصَّبرِ من وطنٍ | يَرتـادهُ الجُـبْنُ مُصـطافاً ومُرْتَبَعـا
وإنَّ مـن حَسـناتِ اليـأسِ أنَّ لـه | حَـدّاً، إذا كُـلُّ حَـدٌّ غـيرُه قَطَعـا
وأنـه مُصـحِرُ الأرجـاء لا كَنفـاً | لمـن يَلـصُّ ولا ظِـلاً لمـنْ رَتعـا[1]

***

وَجَـدْتُ أقتَـلَ مـا عانَـت مصـايرُنا | وما التَوى الشِيبُ منه والشَبابُ معا
أنّـا رَكبنـا إلى غاياتِنـا أمَـلاً | رَخـواً إذا مـا شـدَدْنا حَبْلَـهُ انقطعـا
نسومُه الخَسْف أن يَطوي مراحلَنا | وإن تَشَـكّى الحَفـا والأيـنَ والظلعـا[2]
هـذا هـو الأمَـلُ المزعـومُ فـاقتَرِعوا | واليأسُ أجـدَرُ لـو أنصَـفْتَ مُقتَرَعـا
اليـأسُ أطعَـمَ بالأشْـلاءِ مِقصَـلةً | عَدْلاً، وطـوَّحَ ((بالبسـتيل)) فاقتُلِعـا
و ((طارقٌ)) منه أعطَى النصرَ كوكبةً | نَزْراً، وعَدّى إلى ((الاسبانِ)) فانـدَفَعا

***

يـا نـادبينَ ((فِلَسـطيناً)) وعِنـدَهُمُ | عِلْـمٌ بـأنَّ القضـاءَ الحـتمَ قـد وَقَعـا
كـم ذا تُلحُّـون أن تَسـتوقِدوا قَبَسـاً | مـن الرَّمـادِ، ومِمَّـن مـاتَ مُرتَـجَعا
كَفَى بها فـاتَ ممّـا سُـمِّيَتْ ((أمـلاً)) | من ((الحلُولِ)) التي كيلتْ لكُم خُـدعا

---

[1] مصحر: مكشوف، واضح.

[2] الأين: التعب.

جيـلٌ تَصَـرَّمَ مـذ أبْـدى نَواجـذَه ((وعدٌ لبلفـورَ)) في تَهويـدِها قُطِعـا[1]
نَـما وشَـبَّ بأيـدي القَـوم مُحْتَضَـناً ومن ثُـدِيِّ النتـاج المَحـضِ مُرتَضـعا
والساهرونَ عليـه كـلُّ ((منتخَـبٍ)) يبنـي ويهـدِمُ، إن أعطـى وإن مَنعـا[2]
تهوي ((العروشُ)) على أقدامهم ضَرعا وتحتمـي ساسـةُ الـدنيا بهـم فَـزَعا[3]
وعنـدَنا ساسـةٌ سـؤنا لَهُـم تَبَعـاً ذُلّاً، وسـاءوا لنـا في الهـدي مُتَّبعـا[4]
من كـل مُـرتَخِصٍ إن عبَّسَـت كُـرَبٌ أو كَشَّرَ الخطـبُ عـن شـدقيهِ فاتَّسَـعا
ردَّ المُصـيبةَ بالمنـديلِ مفتخِـراً مثـلَ الصـبايا بـأنَّ الجفـن قـد دَمعـا
أو عابثٍ مـن ((فِلَسـطينٍ)) ومحنتِهـا ألفـى مَعينـاً، فـألقى الـدَّلْوَ وانتزَعـا
أو سـارقٍ لا لقَعـر السِّـجنِ مَرجِعـهُ لكـنْ إلى الجـاهِ وَثّابـاً ومُرْتفِعـا

***

شَدُّوا بذَيل ((غُرابٍ)) أمَّـةً ظُلِمَـت تطـيرُ إن طـارَ أو تَهـوي إذا وَقَعـا
وخَوَّفوها بـ ((دُبٍّ)) سـوف يأكلُهـا في حين ((تسعون عامـاً)) تـألفُ السَّبُعا
و ضـيَّقوا أفـقَ الـدنيا بأعينِهـا ممـا استجدُّوه مِـن بغـي ومـا ابتُـدِعا
و أودعـوا لغـلاظٍ مـن ((زَبانِيـةٍ)) حَمْقـى حِراسـةَ قِرطـاسٍ لهـم وَضِـعا
وذاك معنـاهُ أنْ بيعـوا كـرامَتكُم بيـعَ العبيـد بتشـريعٍ لكـم شُرِعـا

***

---

[1] النواجذ: جمع ناجذ وهو الضرس.

[2] المنتخب: يريد به النائب في مجلس النواب.

[3] الضرع: التوسل.

[4] سؤنا: فعل للذم أي نحن سيئون.

يـــا نـــادبينَ فلســـطيناً صـــدعتُكُمُ بالقول لا مُنكِراً فَضْلاً لكـم صَـدعا[1]
ولا جَحـــوداً بـــأن الليـــلَ يُعقِبُـــه فَجـــرٌ تفجّرُمنـــه الشـــمسُ مُطّلَعـــا
ولستُ أُنكِـرُ أنْ قـد قارَبَـتْ فُـرَصٌ وأوشكت مُثقلَاتُ الدَهرِ أن تَضَـعا[2]
لكن وجدْتُ القـوافي تَشتَـكي عَنَتاً والمِنبرَ الحُرَّ يشـكو فَـرطَ مـا افتُرِعـا[3]
إنْ تحمَــدوا أو تـــذُمُّوا إنَّ شـــافِعتي أنّي رأيــتُ، ومـــا راءٍ كمَـــن سَـمِعا
مررتُ بالقوم ((شُذّاذاً)) فما وقعت عينـي عـلى مُسـتمِنٍّ غـيرَه ضَرُعـا
ولا بمُلْقـــىً وأهليـــهِ بقارعـــةٍ ولا بحاملـةٍ في الكُـور مَـن رَضَـعا[4]
ولا بمن يحـرِس ((النـاطورُ)) أرجلَهُـم مهـروءةً سَـهَّلت للكلـب مُنتَزَعـا[5]
و عندَنا ((سِلعةٌ)) تُصفي البنـينَ لنـا تُغلي – ونُرخصُها – في الأزمةِ السِـلعا
وجـــدتُها عنـــدَهم زهـــواً مُنَـــوِّرةً البيـتَ والبحـرَ والأسـواقَ والبِيَعـا
بينــا تُـــراقصُ بالأنغـــام صـــاحبَها إذا بهـــا تُوسِـع (الألغـــامَ) مُزدَرَعـــا

***

ونحـــنُ مـــا نحـــنُ قِطعـــانٌ بَمذأبَـــةٍ تســاقَطت في يــدَي رُعيانِهـــا قِطَعـــا
في كل يوم ((زعـيمٌ)) لم نجـدْ خَـبَراً عنه، ولم نـدر كيـف اختـيرَ واختُرِعـا

---

[1] صدع: ظهر.

[2] تضع: تلد.

[3] افترع: أهين.

[4] يريد ((بحاملة في الكور)) الفلاحة تحمل ولدها على ظهرها ملفوفاً بِصُرّة.

[5] يشير البيت الى فلاحي الرز الذين تتهرأ أرجلهم من طول بقائهم في الماء والطين حتى ليخشى على الواحد منهم حين ينام أن تنهش الكلاب رجله مما يدعو زوجته أن تحرسه لينام.

أعطـاهُمو ربُّهــم في مــا أعــدَّ لهُــم　　مــن الــولائمِ صَــفُّوا فوقَهـا المُتَعـا

كأسَـينِ، كاسـاً لهـم بالشُّـهد مُترعـةً　　وللجماهــيرِ كأســاً سَــمُّها نَقَعــا

قتالـةً خـوفَ أن لا تُستَسـاغَ لهـم　　أوصــاهُمُ أن يُسَـقّوهم بهـا جُرَعـا

وأن يَصُـبّوا عليهـا مـن وُعـودِهِمُ　　كالشِعـر - مكـتمِلاً - سـهلاً ومُمتنِعـا

***

مــن ذا يــرُدُّ لنـا التـاريخَ ممتلِئـاً　　عِـــزّاً وإن لم نُــرِدْ ردّاً ومُرتجَعـــا

كانوا يذمُّون ((ربّـاً)) بالعصـا قُرِعـا　　و يغضَـبون لأنــفٍ مــنهمُ جُـدِعا

ويبعَثــونَ قِتــالاً أنَّ ((قُــبَّرَةً))　　ضيمَت وأنَّ ((بَسوساً)) ذيلُهـا قُطِعـا

وكانَ من فـتْح ((عمّوريـةٍ)) مَنَعَـت　　حُماتُهــا حُــوَّمَ العِقبــانِ أنْ تَقَعــا

نـداءُ صـارخةٍ بـالرومِ ((مُعتصِـماً))　　لم يــألُ أن أدركتَهـا (بُلْقُـهُ) سَرَعـا[1]

حميَّـــةٌ لـــو أخــذناها ملطَّفـــةً　　بـالعلمِ طابَـت لنـا ردءاً ومُـدَّرَعا[2]

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] البلق: جمع أبلق وهو الجواد فيه سواد وبياض.

[2] الردء: العون. المدرع: المتحصن.

يا بنت رسطاليس

عند افتتاح مبنى المدرسة الثانوية الجعفرية الأهلية وهي أول مدرسة ثانوية في مدينة الحي كان قد تبرع ببنائها وبكامل تأسيسها الشيخ ((بلاسم الياسين)) رحمه الله.

قُـمْ حـيِّ هـذي المنشـآتِ مَعاهـدا
النـاهضـاتِ مـع النُّجـومِ خوالـدا

الشـامخاتِ أنـوفُهن إلى السـما
والمُطلِعـاتِ لفرقَـدينِ فَراقـدا

والفاتحـاتِ عـلى الخلـودِ نوافـذاً
والمُجريـاتِ مـع الحيـاة روافـدا

قـم حـيّهنَّ ببعـثِ شـعب واثقـاً
وتَرضَّـهُنَّ بخَلـق جيـلٍ جاهـدا

جَلَّـتْ بُنـىً تَلِـدُ الرجـالَ وقُدِّسَـتْ
غُـرفٌ تَبوَّأهـا الخلـودُ مقاعـدا

قـم حـيِّ هـذي المُوحيـاتِ صـوامتاً
واسـتنطِقِ الحَجَـرَ البليـغَ الجامـدا

واخلَـعْ علـيهنَّ المواهـبَ تُجـتَلى
لا النثـرَ، لا الشـعرَ المُعـادَ، قلائـدا

***

يـا بنـتَ ((رِسـطاليسَ)) أمُّـكِ حـرَّةٌ
تلـدُ البنـينَ فَرائـداً وخرائـدا[1]

و أبـوكِ يحتضـنُ السـريرَ يَرُبُّهـا
ويقوتُهـا قلبـاً، وذهنـاً حاشـدا[2]

مَشَـتِ القـرونُ ومـا يـزالُ كعهـدِه
في أمسِ، ((مَشَّاءً)) يعـودُ كـما بـدا

يسـتنزلُ الخَطَـراتِ مـن عَليائهـا
عُصْـماً ويُـدني العـالمَ المتباعـدا

لم يقتـنصْ جاهـاً، ولا سـامَ النُهـى
ذُلاًّ، ولا اتخـذَ الحريـرَ وسـائدا

جـلَّ النُهـى ألفكـرُ أعظـمُ عصـمةً
مـن أنْ يُريـدَ وصـائفاً وولائـدا

***

يا بنتَ ((رِسـطاليسَ)) قُصِّي نسـتمعْ
عـن عاشِـقيكِ أقاربـاً وأباعـدا

---

[1] الخرائد: جمع خريدة وهي البنت البكر لم تمس.

[2] يربها: يربيها.

عـن واهبـينَ حيـاتَهم، مـا استُعبِدوا للشـاكرين، ولم يَـذمُّوا الجاحـدا

والصـاعدين إلى ((المشـانق)) مـثلما ارتقـتِ النُّسـورُ إلى السـماءِ صـواعدا

و مُحَــرَّقين يُغــازِلونَ وَقودَهــا شـوقاً إليـك، ويَحْمَـدون الواقـدا

والمُســمَلات عُيــونُهم، وكــأنهم بطيُوفِ شخصك يَكْحلونَ مراودا[1]

***

قصِّـي فـدَيتُكِ مـن لَعـوب غَضَّـةٍ تَصِـفُ القُـرونَ مُخـابراً ومَشـاهدا

إني وَجَـدتُ – وللشـبابِ حـدودُه – أشهى بناتِ الفكـرِ أقصـاها مَـدى

فتخلّعــي نجـدِ الفُهـومَ عَواريــاً وتَبَسَّـمي نجـدِ الفُنـونَ نَضـائدا

وتطلَّبــي نُـزْجَ النفـوسَ عزيــزةً هَـدياً، وننـتظمُ القُلـوبَ قصـائدا

يابنت ((رَسطاليسَ)) لُحتِ ((بواسطٍ)) فَنزَلت ((حيّاً)) بالصـبابة حاشـدا

خَصِـبَ الشُـعور وسـتَحمَدين مولَّهـاً مـن أهلـه، ومُغـازِلاً، ومُـراوِدا

***

إيهِ((بلاســمُ)) والمفــاخرُ جَمــةٌ أحـرزْتَ مـنهُنَّ الطريـفَ التالـدا

أحــرزتَ مجـداً لـيس ينفَـدُ ذكـرُه طـولَ المدى وبـذلتَ كنـزاً نافِـدا

ذكــرٌ يظَــلُّ بكــل خطــوٍ يرتَمــي للصـفِّ، أو جَـرَسٍ يُـدَقُّ مُعـاوِدا

خَــبِرٌ فقــد جُبــتَ الحيــاةَ رخيَّــةً خضـراءَ، لم تكـذِبْ لعينـك رائـدا

وحَلبتَ مـن غَفـلات دهـرِك شـطرَها وقَنَصتَ من مُتَـع النَعـيم الشـاردا

وانسَــبْتَ في غُــدُر اللذائــذ خائضــاً وَخَــبرتَهن مصــادِراً ومَــواردا

أعرَفْــتَ كــالأثر المخلَّــدِ لــذةً جـازَتْ مُخَلَّـدَها، فكـان الخالـدا

---

[1] المراود: جمع مرود وهو العود الذي كان يستعمل في القديم للاكتحال.

لله درُّكَ مــن كــريمِ أنعَشَــتَ كفّاهُ رُوحاً مــن نبــوغ هامــدا

نَفَّقـتَ مـن عَـذَبات صـبيان الحِمـى عِلْقـاً بمُنْعـرج الأزِقَّـةِ كاسـدا[1]

إني وَجــدتُ مواهبــاً مطمــورَة كـالزرع أينعَ لم يُصـادفْ حاصـدا

ولــرُبَّ أشـعثَ أغـبرِ ذي هامـةٍ تُلقـي عـلى كَتِفَيـهِ ثقـلاً آيـدا[2]

ألــوى بــه فقــرٌ، فنكَّــب خطــوَه جَهلٌ، فـزلَّ عـن الفضـيلةِ حائـدا

قــد راحَ يبعَــثُ بالتعاســةِ راحمــاً قد كـان لـولا ذاكَ يرجِعُ حاسـدا

قُتِــلَ العقــوقُ، فكــم قتَلنــا نابغــاً بـين البيُـوتِ، وكـم وأدنـا قائـدا

أولاء حمــدُك عاقِبــاً عــن عاقــبٍ أتُريدُ أحسـنَ مِـنْ أولئك حامـدا

سـيقولُ عنـك الـدهرُ: ثَمـةَ ماجـدٌ في الرافدين شأى الكريم الماجـدا[3]

***

هــل غـيرُ أن رُمـتَ الثنـاء كـما ادَّعـى نَفَـرٌ، وأن أنْبَهـتَ ذكـرَكَ عامـدا

مجــداً عــلى مجــد، فتلــكَ طَماحــةٌ يمشي عليها المجدُ نحـوكَ قاصـدا

كــذَبوا فــإن الأكــرمينَ طرائــدٌ للمَكْرُمـاتِ وإنْ حُسِـبْنَ طرائـدا

وإذا صــدقتُ فللخلــودِ مصــايدٌ أبــداً تَلَقَّــفُ مــن أتــاه صــائدا

يمشـي الكــريمُ مــع التكــرُّم توأمــاً صـنوٌ يسـددُ خطـوَ صـنوٍ عائـدا

[1] نفقت: روجت. والعذبات: جمع عذبة وهي ذؤابة الشيء يشير إلى مواهب الصبية. والعلق: الحجر الكريم الثمين.

[2] الآيد: المثقل.

[3] شأى: سبق.

حتـــى إذا بلـــغَ الجميـــلُ أشُـــدَّه سـارَ الكـريمُ إلى المكـارم فـاردا

مــا كـــان بـــاللُّغزِ الخلـــودُ وإنّـــما كـان النفـوسَ نـوازلاً وصـواعدا

هــل غـيرُ آلافٍ تـروحُ كـما اغتـدت بَيـدي سـواكَ طرائقـاً وبدائـدا[1]

تغـــدو إلى مطمـــورةٍ، إن لم تَـــرُحْ للَّهـــوِ دوراً، والقِـــمارِ موائـــدا

أحييـــتَهُنَّ فكـــانَ عـــدلاً ناطقـــاً هـذا الجَـهادُ عـلى سموِّكَ شـاهدا

وضـــممتَهُنَّ لبعضِـــهِنَّ مجهِّـــزاً جيشـاً تـرُدُّ بـه الوَبـاءَ الوافـدا

الجهـلَ: أكـرمُ ذائـدٍ عـن مـوطنٍ مـن راحَ فيـه عـن الجهالـةِ ذائـدا

***

أعطيـتَ حـقَّ العلـمِ أوفاهـا نـدى ومـدَدتَ للتعلـيم أزكاهـا يَـدا

فـاعطِ المعلِّـمَ يـا ((بلاسـمُ)) حقَّـهُ واعضُدْ فقد عَـدِمَ المُعلِّـمُ عاضـدا

لــو جــازَ للحُــرِّ السُّــجودُ تعبُّــداً لوُجِـدتُ عبـداً للمعلِّـم سـاجدا

للمُتعـــبِ المجهـــودِ في يَقظاتِـــهِ و المرتَعـي طيـفَ المتاعـبِ هاجـدا

والمُـــثخَنِ المجهـــولِ لم يَنشُـــد يـــداً تأسـو الجـراحَ، ولا تَطَلَّـب ناشـدا

والمســـتبيحِ عُصـــارةً مـــن ذهنِـــهِ يغدو الألوفَ بها، ويُحسبُ واحـدا

***

قـــل للمعلـــم راجيـــاً، لا راشـــدا، كـن للشـبيبةِ في المزالـقِ راشـدا

---

[1] بدائد: متفرقة.

يـا خـالقَ الأجيـالِ أبـدِعْ خَلْقَهـا ... وتَـوَقَّ بالإبـداع جـيلاً ناقـدا[1]

سـيقولُ عهـدٌ مُقبـلٌ عـن حـاضرٍ ... نُشـوى عليـه: لُعنتَ عهـداً بائـدا

ولسـوفَ يـبرأُ عاقـبٌ عـن أهلـهِ ... ولسـوفَ يَـتَّهِمُ البنـونَ الوالـدا

قـل للشـبيبةِ حـينَ يعصِـفُ عاصـف ... ألّا يَظلُّـوا كالنسـيم رواكـدا

وإذا اغتَلَـتْ فينـا مراجـلُ نقمـةٍ ... ألّا يكونـوا زمهريـراً بـاردا

هَيِّـىء لنـا نـشءاً كـما انصَـبَّ الحيـا ... لُطفاً، ونـشءاً كـالزلازل راعـدا[2]

فلقـد رأيـتُ اللهَ يخلُـق رحمـةً ... مَلَكـاً، ويخلُـقُ للتمـرُّدِ مـاردا

و ((محمَّـداً)) مـا إنْ أهـابَ بجيشـهِ ... يطـأُ الـبلادَ روابيـاً وفدافـدا[3]

ويكُـبُّ جبـاراً، ويُعـلي مُـدقعاً ... ويُنـيرُ خابطـةً، ويُـنهضُ راقـدا

لـو لم يعبِّـىء للقيـادة ثـائِراً ... حَنِقـاً عـلى نُظُـم بَلـينَ وحـاردا[4]

مـا إنْ يـروحُ مـع الضـعيفِ مُطاوِعـاً ... من لا يـروحُ عـلى القـويِّ مُعانـدا

وأذلُّ خلـقِ اللهِ في بَلَـدٍ طغـت ... فيـه الرزايـا مَـنْ يكـونُ محايـدا

***

نـشءٌ يُقـوِّمُ مـن زمـانٍ فاسـدٍ ... لا كالزمـانِ يكـونُ خَلْقـاً فاسـدا

عُلِّمْـتُمُ فُـرُضَ الحسـابِ فـأنتُمُ ... أدرى بهـنَّ فوائـداً وعوائـدا

---

[1] أي كن بإبداعك حريصا على ألا تكون عرضة لذم جيل قادم.

[2] الحيا: المطر.

[3] الفدفد: الفلاة.

[4] الحارد: الغضبان.

مـا إن تُعجِّـل خَلْـق جيـلٍ ناقصـاً ... إلّا تحمَّــلَ مـــن عَنــاءٍ زائــدا

أطلِــقْ يــدَ التحليـــلِ في تــاريخهم ... حُـرّاً، وفُـكَّ مـن العِقـالِ أوابـدا[1]

لا بُــدَّ مــن فَهــم الحيــاةِ مَعايبــاً ... و مفـــاخِراً ولذائـــذاً وشـــدائدا

جنبــاً إلى جنـــبٍ يُــتمِّمُ بعضُـــها ... بعضــاً كـما انـتظمَ الجُـمانُ فرائـدا

علِّمْـهُ حُـبَّ الثـائرينَ مـن الـورى ... طُـرَّاً، وحُـبَّ المُخلصـينَ عقائـدا

واجْـلُ الشُّـعوبَ كـرائماً لا تَنـتَقِصْ ... شـعباً، ولا تَقحَـمْ عليـه شـواهدا

واجلُـبْ لـه أمـسِ البعيـدَ مَراجِعـاً ... وألِـحْ لـه أمـسِ القريـبَ مسـاندا

أرِه لثورتــــه عِظـــامَ جمـــاجمٍ ... وابعَـثْ لـه زنـداً أُطِـنَّ وسـاعدا[2]

و إذا تقصّـــاكَ الــدليلَ مُســـائِلاً ... عن أيّ شيءٍ أعقَبَـتْ ومُناشِـدا؟[3]

فابعـثْ لـه الأشـباحَ يشـهدْ عنـدَها ... مــا يســتفزُّ مُطالِعــاً ومُشــاهِدا

يشـــهدْ خيــالاً عاريــاً ومُجوَّعـــاً ... مـن أهلهـم، ومُضـايقاً ومُطـارَدا

***

أصـلِحْ بنهجِــكَ مَنهجــاً مُسـتعبَداً ... صُنعَ الغريبِ، على الثقافـةِ حاقـدا

قـــالوا: قواعـــدُ يبتنيهـــا غاصـــبٌ ... وسْطَ العراق على الكرامـةِ قاعـدا

---

[1] الأوابد: جمع الآبدة وهي الشاردة يعني الحرة.

[2] ثورته: ثورة العشرين. أطن قطع.

[3] الضمير المستتر في اعقبت يعود الى الثورة.

تحتــلُّ منــه مَشــارفاً ومَنــاهِلاً وتَســدُّ منــه مَســالكاً ومنافــدا[1]

ســاقَتْ جُيــوشَ الموبِقــاتِ حواشــداً للرافدين، مـع الجيـوشِ حواشِـدا

مــا كــان أهــونَ خطبَــهُ مُســتعمِراً لو لم يُقِـمْ وسْـطَ العقـولِ قواعـدا

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] منافذا: منافدا.

عدنا وقودا

ولّى شـــــبابٌ فهـــــل يعــــودُ	ولاحَ شَـــيْبٌ فـــما يُريـــــدُ؟
يُريـــــد أنْ يُـــــنقِصَ الليـــــالي	مِنّـــيَ ظُلـــماً بـــما يَزيـــدُ
يـــاأبيضَ الـــريشِ طـــرْنَ منـــه	غِـــدفانُ رِيـــشِ الجَنـــاحِ سُـــودُ[1]
يـــا هُولـــةً تَفـــزَعُ المرايـــا	مِنـــه ويستصـــرخُ الوليـــدُ![2]
يـــا حـــامِلاً شـــارةَ الرَّزايـــا	يـــا ســـاعيَ المـــوتِ، يـــا بَريـــدُ
يـــا نـــاغِرَ الجُـــرحِ لا يُـــداوى	إلّا بـــأنْ يُقطَـــعَ الوريـــدُ
بـــرغمِ أنـــفِ الصِّـــبا وأنفـــي	يَخضِـــبُ فَـــودي منـــكَ الصـــديدُ[3]
وأنَّ رأسي يمشـــي عليـــهِ	تيهـــاً عَـــدُوٌّ لـــهُ لَـــدودُ!
كـــمْ ليلـــةٍ خـــوفَ أنْ تُـــواتي	أُتـــرِعَ كـــأسٌ ورنَّ عُـــودُ
وكـــمْ وكـــمْ، والشـــبابُ يَـــدري	رُوِّعَ ظبـــيٌ فَـــنُصَّ جيـــدُ[4]

***

أعائـــدٌ للشَّـــبابِ عيـــدُ؟	أمْ راجـــعٌ عهـــدُهُ السَّـــعيدُ؟

---

[1] الغدفان: جمع غداف وهو الأسود الجناح ويطلق أيضاً على الغراب الكبير الطويل الريش والمقصود بـ((أبيض الريش)) الشيب، و((غدفان)) الشباب والشعور السود فيه.

[2] الهولة: مايفزع به الصبي من الأشكال والهيئات.

[3] الفود: جانب رأس الرجل مما يلي الأذنين منه.

[4] نص: رفع.

أيـــامَ شرخُ الصِّـــبا وريـــقٌ و ظِلّـــهُ سجسـجٌ مَديــدُ[1]

ونحـــنُ، مِثْـــلَ الجُـــمانِ زهـــواً، ينظِمُنـــا عِقـــدُهُ الفريـــدُ

أمْ لا تـــلاقٍ، فـــلا خطـــوطٌ تُـــدني بعيـــداً، ولا حُـــدودُ؟!

***

مَـــنْ مُبلِـــغُ المُشـــتفينَ أنّـــا صِرنـــا لِمـــا يَطمـــحُ الحســـودُ؟[2]

أنـــا استعَضْـــنَا ثوبـــاً بثـــوبٍ وطالمـــا اســـتُبْدلَتْ بُـــرودُ

فـــراحَ ذاكَ العتيـــقُ غَضّـــاً ولاحَ - رثّـــاً - هـــذا الجديـــدُ

ألـــوى بنـــا عـــاطفٌ حبيـــبٌ ومَلّنـــا الواصِـــلُ الـــودودُ[3]

قـــد كـــانَ يُشـــجي أهـــلَ التَّصـــابي أنـــا عـــلى هـــامِهِمْ قُعـــودُ

لم نـــدرِ مـــا نَسْـــتزيدُ منـــهُ لـــو قيـــلَ: هـــلْ عنـــدَهُمْ مَزيـــدُ؟

نهارُنـــا مُـــترَفٌ بَليـــدُ وليلُنـــا جـــامِحٌ عنيـــدُ

فـــاليومَ إنْ تُعتَصَـــرْ شِـــفاهٌ أو تُهْتصَـــرْ - لَذْنَـــةً - قُـــدودُ

أو يَطَّـــرِدْ قـــانِصٌ قَنيصـــاً أو تُعْجِـــبِ الأغيـــدِينَ غِيـــدُ

---

[1] السجسج: البارد اللطيف.

[2] المشتفين: أي الحاسدين.

[3] ألوى بنا: أمالنا وطرحنا.

نقنـــعُ مِـــنِ لـــــذَّةٍ ولهـــوٍ   أنـــا عـــلى عُرْسِـــهمْ شُـــهودِ

عُـــدنا وَقـــوداً..! وكُـــلُّ حـــيٍّ،   للــــذَّةٍ تُشـــتهي، وَقـــود!

بغداد، عام ١٩٤٧

المقصورة

رائعة الشاعر وأحبّ القصائد إلى نفسه، فُقِدَ جزء كبير منها – يزيد على مائة بيت – إذ أطارت الرياح قصاصات الورق المدونة عليها المسوّدة وألقتها في مياه دجلة في أثناء انهماك الشاعر بتنقيحها خلال صيف عام ١٩٤٧ في داره المطلة على النهر، كما فُقدت وريقات أخرى تضم حوالي خمسين بيتاً في أثناء انتقال جريدته ((الجهاد)) إلى موقع آخر. وبذلك تكون ((مقصورة الجواهري)) مشتملة في الأصل على ما يقارب أربعمائة بيت من الشعر.

وبالرغم مما عُرِفَ عن ذاكرته إلاّ أنه لم يستطع أن يسترجع بيتاً واحداً من الأبيات المفقودة.

بـــرغمِ الإبـــاءِ ورغـــمِ العُـــلى ورغـــمِ أُنـــوفِ كِـــرامِ المـــلَا

ورغـــمِ القلـــوبِ التـــي تستفيـــضُ عطفاً تحوطُكَ حَـوْطَ الحِمى

وإذ أَنـــتَ ترعـــاكَ عـــينُ الزمـــانِ ويَهْفُـو لجَرْسِـكَ سَـمْعُ الـدُّنى[1]

وتلتـــفُّ حولَـــكَ شـــتّى النُّفـــوسِ تَجِـيشُ بشـتّى ضروب الأسـى

وتُعـــرِبُ عنهـــا بـــما لا تبـــين كأنّـــك مـــن كـــلِّ نفـــسٍ حشـــا

فأنـــتَ مـــع الصـــبحِ شَـــدْوُ الرعـــاةِ وحلـــمُ العـــذارى إذا الليـــلُ جـــا

وأنـــت إذا الخطـــبُ ألقـــى الجِـــرانَ وحـــطَّ بكلكلـــهِ فـــارتمى[2]

ألحّـــتَ بشِـــعرِكَ للبائســـين - بـــداجي الخُطـــوب - بَريـــقَ المُنـــى

تـــروحُ عـــلى مثـــلِ شَـــوكِ القَتـــادِ وتغـــدو عـــلى مثـــلِ جَمْـــرِ الغضـــا[3]

وتطـــوي الضُّـــلوعَ عـــلى نافـــذٍ مـــن الصَّـــبرِ يُـــدمي كحـــزِّ المُـــدى[4]

دريئـــةَ كـــلِّ جـــذيم اليـــدينِ رمـــى عـــن يَـــدَيْ غـــيرهِ إذ رَمـــى[5]

---

[1] الجرس: الصوت الخفيض، والنغم.

[2] جران البعير: رقبته. وكلكله: صدره. وألقى جرانه وحط بكلكله: برك وأناخ.

[3] القتاد: شجر صحراوي شائك: يضرب المثل بقوة شوكه.

[4] المدى: جمع مدية وهي السكين.

[5] من معاني الدريئة: ((حلقة، يتعلمون عليها الطعن)) فهي كالهدف.

رمى عن يدَيْ حاقدٍ نافسٍ عليك احتشادَ العُلى والنَدى[1]

وحِلساً لِدارِكَ والمُقْرِفون يجولونَ كلَّ مجالٍ بدا[2]

على حينَ راحَ هجينُ الطباع تَنطَّفُ أطرافُه بالخَنا[3]

أدَرَّ عليه ثُديُّ الخُمولِ وهزَّتْهُ في المهدِ كفُّ الغَبا

يجرُّ ذيولَ الخنا والغِنى و تهفو عليه ظلالُ المُنى

وحولَكَ مثلُ فِراخ الحَمام – لولا الشعورُ – وزُغْبِ القَطا

تدورُ عيونُهُمُ و الذَّكاءُ يَلمَعُ فيها كحدِّ الظُّبا

إلى كلِّ شَوْهاءَ مرذولةٍ وأشوَهَ مستأثِرٍ بالغِنى

وتَرْجِعُ والعتبُ في مُوقِها تَساءلُ: أيُّكما المُبتلى؟

بـ ((علقمةَ الفحلِ)) أُزجي اليمينَ أنِّي ألَذُّ بمُرِّ الجنى[4]

و بـ ((الشَّنْفرى))أنَّ عينيَّ لا تَلَذَّانِ في النومِ طعمَ الكرى

و بـ ((المتنبيءِ)) أنَّ البَلاءَ – إذا جدَّ – يَعلم ((أني الفتى))[5]

***

[1] ينفس عليك عيشك: يحسدك عليه.

[2] حلس: الخرقة على ظهر الفرس تحت السرج وتستعمل بمعنى ملاصق ملازم مجازاً، فحلس لدارك: ملازم له. والمقرفون: من يدعون إلى ((القرف)) أي الى الاشمئزاز.

[3] تنطف: تقطر وتنضح. والخنا: الفحش.

[4] علقمة الفحل والشنفرى: شاعران جاهليان عرف عنهما خشونة العيش وصلابة العود.

[5] إشارة إلى بيت المتنبي في مقصورته:

ألا مِـــن كـــريمٍ يَسُـرُّ الكـــرامَ   بجيفـــةِ جلْـــفٍ زَنـــيمٍ عَتـــا[1]

فيـــا طالمـــا كـــانَ حـــدُّ البَغِـــيِّ   يُخفِّـــفُ مِـــن فحـــشِ أَهـــلِ البِغـــا

ويـــا طالمـــا ثُنِـــيَ الســـادِرونَ   بـــما اقتِيـــدَ مـــن ســـادرٍ مـــا ارعـــوى[2]

عـــلى أنَّـــه مِـــن شِـــفاءِ الصُـــدورِ لـــو أنَّ حُـــرّاً كـــريماً شـــفى

تأصَّـــلَ هـــذي العـــروقَ الخبـــاثَ   فقـــد ضـــاقَ بالجِـذْمِ منهـــا الثـــرى[3]

فـــما هـــي أوَّلُ مجذومـــةٍ   مخافـــةَ عَـــدوى بهـــا تُنتفـــى[4]

ولا هـــي أوَّلُ ((أُغلوطـــةٍ))   محـــا شـــاطبٌ رســـمَها فـــامَّحى

ومـــا بـــالنفوسِ اللـــواتي ملكـــنَ   بـــأطماحهنَّ عَنـــانَ الســـما

عَنـــاءٌ إلى مَـــن يُقيـــتُ البُطـــونَ   ولكـــنْ إلى مـــن يُمـــيطُ الأذى

إلى مـــن يكُـــفُّ صـــغارَ النفـــوسِ،   صـــغارَ الحلـــومِ، صـــغارَ الهـــوى

يَكُفُّهـــمُ أنْ يكـــونَ الكـــريمُ   بـــه عـــن هـــوانِهمُ، يُشـــتفى

***

أنبِّيـــكَ عـــن أطيـــبِ الأخبثـــينَ   فقُـــلْ أنـــتَ بالأخبـــثِ المُـــزدرى

= لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أني الفتى

[1] الجلف: الرجل الحقير الجافي الطباع. الزنيم: الملحق بالقوم وليس منهم.

[2] السادر: اللاهي العابث، الذي يعيش بلا هدف.

[3] جذم الشجر: جذرها.

[4] نفوس مجذومة، فيها مرض الجذام.

زِقـــاقٌ مـــن الـــرّيح منفوخـــةٌ وإنْ ثَقَّـلَ الزهـو منهـا الخطـى[1]

وأشـــباحُ نـــاسٍ، وإنْ أوهمـــوا بـــأنهمُ ((قـــادةٌ)) في الـــورى

ألمْ تـــرَ أنّيَ حـــربُ الطغـــاةِ ســـلمٌ لكـــلِّ ضـــعيفِ الـــذَّما[2]

وأني تركـــتُ دهـــينَ السِّـــبالِ كثـيرَ الصيالِ، شـديدَ القـوى[3]

مـــن الخـــوفِ كـــالعَيْرِ قبـــلَ الكـــواءِ يَحبـــقُ ممـــا اصـــطلى واكتـــوى[4]

بـــماذا يخـــوِّفني الأرْذَلُـــونَ ومـــمَّ تخـــافُ صِـــلالُ الفـــلا؟!

أيسْـــلبُ عنهـــا نعـــيمُ الهجـــيرِ، ونفـــحُ الرمـــالِ، وبـــذخُ العـــرا!!؟

بـــلى! إنَّ عنـــديَ خـــوفَ الشُّـــجاعِ وطـــيشَ الحلـــيمِ، ومـــوتَ الـــرَّدى

إذا شـــئتُ أنضـــجتُ نَضـــجَ الشِّـــواء جلـــوداً تعصَّـــتْ فـــما تُشـــتوى

وأبقيـــتُ مـــن مِيسَـــمي في الجبـــاهِ وشْـــماً كَوَشْـــمِ بنـــاتِ الهـــوى[5]

فـــوارقُ لا يَمَّحـــي عـــارهُنَّ ولا يَلتَبسْـــنَ بوصـــفِ ((ســـوى))!

---

[1] زقاق: جمع زق وهو الجراب.

[2] الذماء: بقية الروح.

[3] السبال: اللحى، والواحدة سبلة.

[4] العير: الحمار، الكواء: اسم من كوى يكوى كالشواء من شوى يشوي. يحبق: يضرط.

[5] الميسم: اسم آلة يوسم بها.

بحيـــثُ يُقـــالُ إذا مـــا مشـــى الصّـــليُّ بهـــا: إنَّ وغـــداً بـــدا[1]

وحيـــثُ يُعـــيَّرُ أبنـــاؤهُ بـــأنَّ هُـــمْ والـــداً مثـــلَ ذا

***

أقـــولُ لنفســـي إذا ضـــمَّها و أترابَهـــا محفِـــلٌ يُزدهـــى:

تســـامَيْ فإنـــكِ خـــيرُ النفـــوسَ إذا قـــيسَ كـــلٌّ عـــلى مـــا انطـــوى

وأحســـنُ مـــا فيـــكِ أنَّ ((الضـــميرَ)) يَصـــيحُ مـــن القلـــبِ أنِّي هُنـــا

وأنـــتِ إذا زيَـــفُ المعجبـــينَ تـــلألأ للعـــينِ ثُـــمَّ انجـــلى

ولم تســـتطعْ همـــمُ المـــدَّعين صـــبراً عـــلى جمـــرةِ المـــدَّعى

خلَصْتِ كما خَلصَ ابـنُ ((القُيـون)) تَرعـــرَعَ في النـــار ثـــمَّ اســـتوى[2]

تســـامَيْ فـــإنَّ جناحيـــكِ لا يَقَـــرّانِ إلا عـــلى مُرتقـــى

كـــذلكَ كـــلُّ ذواتِ الطِّـــماحِ والهـــمِّ، مخلوقـــةٌ للـــذُّرى

شـــهِدتُ بأنـــكِ مـــذخورةٌ لأبعـــدَ مـــا في المـــدى مـــن مـــدى

وأنـــكِ ســـوفَ تـــدوِّي العصـــورُ بـــما تتركـــينَ بهـــا مـــن صـــدى

بآيـــةِ أنَّ يـــدَ المُغريـــاتِ تهابُـــكِ إلّا كَلمـــسِ النَّـــدى

وأنّـــكِ إنْ يَلتمـــعْ مطمـــعٌ يُخـــافُ عـــلى الـــرُّوحِ منـــه العمـــى

---

[1] الصلي :الموسوم بالميسم.

[2] القيون: واحدها القين، وهو الحداد، وصانع السيوف وابن القيون هو السيف لأنه من نتاجهم.

يمـــوتُ ((النبـــوغُ)) بأحضـــانه ويُنعـــى بــه ((الأمـــل)) المرتجـــى
وتمشـي الجمـــوعُ عـــلى ضـــوئهِ لتبكـــي عـــلى عبقـــريٍّ قضـــى
وكـــــادتْ تَلُفُّـــــكِ في طيِّهـــــا حَواشـــيه.. رَدّكِ عـــزمٌ مضـــى[1]

***

لِشرِّ النِهايـاتِ هـذا ((المطـافُ)) وكـــلُّ مَطـــافٍ إلى مُنتهـــى
متـــى ترعَـــوي أُمَّـــةٌ بـــالعِراقِ تُســـاقُ إلى حتفِهـــا بالعصـــا
تُــذَرّى عــلى الضّــيْمِ ذَرْوَ الهشــيمِ ويَعرُقُهــا الــذُّلُّ عَــرْقَ اللِّحــا[2]
وتنــزو بهــا شــهوةُ المشــتهينَ كــما دُحرِجــت كُــرةٌ تُرتمــى
يَجِــدُّ بَغــيضٌ بهــا عهــدَهُ إذا قيــلَ عهــدُ بَغــيضٍ مضــى
وتســمَنُ منهــا عِجــافٌ مَشَــتْ إلى الأجنبــيِّ تَجُــرُّ الخُصــى
تُراودُهـــا عِزَّهـــا كـــالقُرومِ هِجـــانٌ عليهـــا غريـــبٌ نَـــزا[3]
عجبــتُ وقــد أســلمتْ نفسَــها لعَــرْكِ الخُطــوبِ و عَصْــرِ الشَّــقا

---

[1] ردك: جواب شرط (إن) في قوله وانك إن يلتمع مطمع، والعجز ورد في كل الطبعات: ((حواشيه.. ردّك عزمٌ قضى))، لكنه ورد في البيروتية هكذا: ((حواشيه.. ردتك كفّ القضا)). ومع ذلك نرجّح أن الصواب هو ما كتبناه أعلاه (أنظر: مقدمة المدقق).

[2] عرق العظم: أزال ما عليه من لحم. واللحاء: قشر جذع الشجرة.

[3] القروم: السادة، واحدها قرم. الهجان: جمع هجين وهو الذي ولد من أبوين مختلفين في الجنس.

وقَــرَّ عــلى الــذُّلِّ خَيشــومُها كما خطـمَ الصـعبَ جَـذبُ الـبُرى[1]

وأغْفَــتْ فلــم أَدْرِ عــن حَــيرةٍ بهــا: كيــف إيقاظُهــا أو متــى؟

ولم أدرِ مِــن طيــبِ إغفائهــا عــلى الــذُّلِّ، أيَّ خيــالٍ تَــرى

أهِمّــاً تغشّــاهُ بَعْــدَ العنــا كــرىً، أمْ صــبياً بريئــاً غفــا؟[2]

متــى تســتفيقُ وفحــمُ الــدُّجى عليهــا مشــتْ فيــه نــارُ الضُّــحى؟

وقــد نَفَــضَ الكهــفُ عــن أهلــه غُبــارَ الســنينَ ووَعْــثَ الــبِلى؟

تعــيشُ عــلى الأرضِ أُمٌّ الكفــاحِ وتــربُطُ أحلامَهــا بالسَّــما

وتَصْــبَغُ بــالوَرْد آمالَهــا كــما طــرَّزَ الحــائكونَ الــرِّدا

وأصــنامِ بَغْــيٍ يصُــبّونها و يَــدْعُونها مَــثلاً يُقتــدى

يُثــيرونَ مــن حولِهــا ضَــجَّةً بهــا عــن مَخــازيهمُ يُلتهــى

كــما حَجَبَــتْ بالغُبــارِ العيــون خِفــافٌ مُهــرّأةٌ تُحتــذى[3]

فهــذا سَيمضــي، وهــذا مضــى وهــذا ســيأتي، وهــذا أتــى!!

وهــذا ((زعــيمٌ))، لأنَّ ((الســفيرَ)) يرنــو إليــه بعــينِ الرّضــا

وفي ذاكَ عــن سُــخطِ أهــلِ الــبلادِ عــلى حُكمــهِ أو رضــاهم غِنــى

---

[1] قر على الذل: خضع للذل. والخيشوم: أعلى الأنف. البُرى: جمع برة، وهي الخزامة وحلقة تجعل في انف البعير الصعب القياد لينقاد. وخطم: ههنا بمعنى أذل وأخضع.

[2] الهم: الشيخ الكبير.

[3] خفاف: جمع خف. ومهرأة: ممزقة بالية.

وهـــذا بعِمَّتـــهِ، ســـاحِرٌ، مـن ((الجـنِّ)) يَرفعُهـا للعـلى

تَطُـقُّ المسـابحُ مـن حولِهـا لـتُعلِنَ أنَّ مَلاكـاً أتـى

تجـيءُ المطـامعُ منقـادةً إليـه إذا شـاءَ أو لم يَشـا

وليتـك تحسِـبُ أزيـاءَهم فتجمـعَ منهـا زهـورَ الرُّبـى

فتلـكَ اللفـائفُ كـالأُقحوانِ بهـا العِلـمُ يـنفحُ طيـبَ الشـذا!

وتلـكَ الشراشـيفُ كالياسميـ ـنِ تـاهَ ((العِقـالُ)) بهـا وازدهـى!

تـدلَّتْ عناقيـدُ مثـلُ الكـرومِ علـى كتفَـيْ ((يـابسٍ)) كالصُّـوى[1]

يَـوَدُّ مـن ((التيـهِ))! لـو أنـه يَشُـدُّ بهـا ((جَرسَـاً))! إنْ مشـى

لِـيعلَمَ سـامعُه أنـه ((ينـوبُ))! عـن البلـدِ المُبـتلى

إذا رَفـعَ اليـدَ للحـاكمينَ بدَتْ ((نَعَمٌ)) وهـي في زيٍّ ((لا))!

وبيـنهما محـدَثٌ ناشـئٌ إذا خـطَّ تَعرفُـه أو حكـى

تعـوِّذُه أُمُّـه إنْ مشـى إلى ((البرلمـانِ)) بـأُمِّ القُـرى[2]

***

ومُستسـلِمين يَـرَونَ الكفـاحَ قـوراءَ مـدحوَّةً تُمتطـى[3]

فتُغـرَزُ في رَخـوةٍ سَـمْحَةٍ وتنفِـرُ عـن ذي مِسَـنٍّ قَسـا

---

[1] الصوى: العلامات توضع في الطريق لتدل السائرين. ويريد بالعناقيد ما تدلى من خيوط ((العقال))!.

[2] أم القرى: مكة.

[3] قوراء: مستديرة.

يَـــرَوْنَ السياســـةَ أنْ لا يُمَــــسَّ هـــذا، وأنْ يُتَّقـــى شرُّ ذا

وهـــذا وذا في صـــميمِ الـــبلادِ سُـــلٌّ، وفي العـــينِ مِنهـــا قـــذى

مســاكينُ يقتحمــونَ الكفــاحَ وقــد شرَعــتْ بابــهُ مِــن كُــوى[1]

ومــا هــو إلاّ احــتمالُ الخُطــوبِ وإلاّ الأذى والعَــرا والطَّــوى

فهــمْ يعرفــونَ مزايــا الخُلــودِ ولا يُنكــرونَ مزايــا الفَنــا

وهــمْ يعشَــقونَ هُتــافَ الجمــوعِ ويَخْشَــونَ مــا بَعــدَه مــن عَنــا

فليــتَ لنــا بهــمُ ناقــةً تَطيــقُ الحفــا والــوجى والــوحى[2]

و تجــترُّ بــالجوعِ مــا عِنــدَها وتَطــوي عــلى الخِمْــسِ حَــرَّ الظــما[3]

***

و مُحتقِــبٍ شرَّ مــا يُجتــوى مشــى ناصــباً رأسَــهُ كــاللِّوا[4]

مشــى ومشــتْ خلفَــهُ عُصــبةٌ تقــيسُ خُطــاهُ إذا مــا مشــى

يُحــبُّ ((الســلامةَ)) مشــفوعةً بــدَعوى ((الجبــانِ)) بحُــبِّ الــوَغى

---

[1] الكوى: جمع كوة وهي النافذة الصغيرة. وعجز البيت في طبعة الرابطة ببغداد وطبعة وزارة الإعلام العراقية وكذلك طبعة دمشق هو: وقد راعهم بابُه من كوى.

لكنه ورد بالشكل الذي ورد عليه أعلاه في طبعة دار العودة.

[2] الوجى: ما يصيب القدم من ألم الحفاء و((الوحى)): الركض.

[3] الخمس: أن تصير الناقة على العطش أربعة أيام وترد بالخامس.

[4] إحتقب: وضع في الحقيبة، ما يحتوي/ ما يكره ويمل.

ويجمعُ بينَ ظِلالِ القصورِ وعَصْرِ الخمورِ، ورَشْفِ اللَّمى[1]

وعيشِ ((المَهازيلِ)) في ناعمٍ منَ العيشِ مِن مثلهِ يُستحى

وبينَ ((الزعامةِ))! لا تُصطَفى بغيرِ السُّجونِ، ولا تُشترى

ولم أدرِ كيفَ يكونُ الزعيمُ إذا لم يكنْ لاصقاً بالثرى[2]

***

ومنتحلينَ سِماتِ الأديبِ يظنّونها جُبَباً تُرتدى

كما جاوبتْ ((بُومةٌ))! بُومةً تَقارَضُ ما بينها بالثَّنا

ويرعَوْن في هذَرٍ يابسٍ منَ القولِ، رعيَ الجمالِ الكلا[3]

يرَوْنَ ((وُرَيقاتِهم)) بُلغةً منَ العيشِ لا غايةً تُبتغى

فَهُمْ والضميرُ الذي يصنعونَ لمنْ يعتلي، صهوةٌ تعتلى

***

ولاهِينَ عن جِدِّهم بالفراغِ زوايا المقاهي لهم مُنتدى

تصايَحُ باللغوِ ما بينها صِياحَ اللقالق تنفي الحصى

و شدُّوا خُيوطاً بأعناقِهمْ تَصارَحُ ألوانُها بالدِّما

ألا يخجلونَ إذا قايسوا حياتَهمُ بحياةِ الأُلى

---

[1] اللمى: سمرة الشفاه.

[2] لاصقا بالثرى: فقير.

[3] الكلأ: الحشيش.

سقوا أرضَهم بنجيع الدِّماءِ فكانَ الشعارَ الدَّمُ المُستقى

و أولاءِ شُغْلُهم بالبطونِ فهلّا استعانوا بشدِّ المِعى

***

وعارٍ تحلّى بثوب الأديب وممّا يُزكّي أديباً خَلا

ومن تبعات النُّفوس الكبار بسِنِّ اليَراعِ الرخيصِ احتمى

ووغدٍ تخيَّرَ امثالَه فوغداً أهرَّ، ووغداً شلا[1]

إذا ما تصفَّحتَ أصنامَه و هُزأة ألقابِها والكُنى

أراكَ – وإن أنكرَ العالمانِ – بمزمارِ داودَ، بوماً شدا

وأنَّ غُراباً شأى ((مَعبداً)) وأنَّ حِماراً ((غريضاً)) حَكى[2]

بدا لكَ طاهٍ أجيرُ البطونِ، كلَّ الذي تشتهيهِ طها

يسُدُّ بذاكَ فراغَ الضميرِ و يُوقِدُ روحاً خبيثاً خَبا

يبصُّ لِذي مَنصِبٍ يُرتَجى ويَخدمُ ذا صَولةٍ يُختشى[3]

يَرى أنَّه حين يُطري ((الفسيل)) ((جُذَيْلاً)) هجا، و((عُذَيْقاً)) رمى[4]

وشرٌّ أهرَّ بها أكلُباً أعارَهمُ نابَهمْ إذْ سَطا

---

[1] أهر الكلب وشلاه: أغراه على التحرش والاعتداء.

[2] معبد وغريض: مغنيان في العصر الأموي. وشأى: سبق.

[3] بص الكلب بذنبه وبصبص: هزه تذللاً لصاحبه وتملقاً.

[4] المثل المشهور: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، فالجذيل تصغير وهو أصل الشجرة الباقي يعد ذهاب فروعها، والفسيل: التالة وهي صغيرة النخل.

حَبـا مـا حَبـا طُغمـةٌ أُتخِمـتْ ... بفَضـلاتِهِ، وزوى مـا زوى

وأطلـقَ للصيـدِ أظفـارهنَّ ... وأنيـابَهنَّ بهـا واختفـى

***

يقولـونَ إنَّ يـداً في الغُيـوبِ ... تُـديرُ عـلى الأرضِ حُكـم السَّما

ولمّـا يَـزَلْ مَثَـلٌ سـائرٌ ... عـلى النـاس يَجـري: بأيـدي سَـبا

وتحريـقُ ((لـوطٍ)) بـذنبِ أتـى ... وأخـذُ ((ثمـودٍ)) بسِـقبٍ رغـا[1]

فـما بـالُ كـفِّ القضـا لا تـدورُ ... عـلى بلـدٍ ضَـلَّ حتـى اختـزى؟!

وأضحى ((ثمـودٌ)) و ((لـوطٌ)) بـه ... ومَـن لهـما في الشـرورِ انتمـى

ومَـن عـاثَ في أُمـمِ المشـرقَينِ ... وجـارَ عـلى أهلهـا واحتمـى

حَيِّـيْنَ بـينَ ولاة الأُمـورِ ... في بلـدٍ ضـاعَ فيـه الحيـا

يُسـائلُ بعـضٌ بـه بَعضـهم ... أنحـنُ أُخـذْنا وهـذا نجـا؟!

أُخِـذْتُ لأنّي ركبـتُ الطريـقَ ... ((شـذّاً)) إلى غايـةٍ تُبتغـى

وأنـتَ أُخـذْتَ عـلى ناقـةٍ ... بفَلْسـينِ أمثالُهـا تُشـترى

وكُنّـا أُناسـاً كـماء السَّـماءِ ... تخـبَّطَ طـوراً وطـوراً صَـفا

نجـيءُ الحيـاةَ عـلى رِسـلِها ... نهاياتُهـا عنـدنا كالبِـدى

ونـأتي الجريـرةَ لا نَغـتلي ... ونبغـي الهَنـاةَ كـما تُبتغـى[2]

---

[1] السقب: ولد الناقة. والرغاء: صوت البعير.

[2] نغتلي نغالي، نبالغ. والهناة. الرذيلة.

ولا نكبَتُ العاطفاتِ الجياعَ فيُشرِقنا كبتُها بالشجا[1]

إلى الآنَ يَضربُ مَنْ هَهُنا بنا مَثَلاً في مصيرِ الدُّنى

ولو صَحَّ من مَثَلٍ للدَّمارِ، ما كانَ غيرَهمُ، والتَّوى[2]

وجَدنا هُنا كلَّ ذي عَورةٍ على كلِّ ذي حُرمةٍ قد سطا

وكلَّ كريمِ الثَّنا أصيدٍ تَقَلَّص في كِنِّهِ وانزوى[3]

وجَدنا الرِّجالَ هنا ((بالرِّجالِ)) لاهينَ، في وَضَحٍ من سَنا!!

على حينَ تختصُّ نِسوانُهم ((نساءً))، ومنتصِفٌ مَن جزى!!

وجَدنا الزعيمَ - كما يَنْعَتُونَ - على قَدَمَيْ غاصبيهِ ارتمى

وجدنا الخبائثَ والطَّيباتِ بأضدادِهنَّ - هُنا - تُصطفى

وجدنا الرِّجالَ وأسماءَهم يُخفَّفُ من قُبحها بالكُنى

***

بَنِيَّ إذا الدَّهرُ ألقى القناعَ وصرَّحَ من حَسوِهِ ما ارتغى

ودالَتْ لهمْ دولةٌ كالَّتي لدى الناسِ في وجهها والقفا

سواءٌ فلا خَلْفُها من أمامِ يبدو، ولا وجهُها من ورا

ولا يستبيحُ بها سابقاً إلى المجدِ ركّاضةً مَن حَبا

---

[1] شرق بالماء: غص به. والشجا: عظم يقف في الحلق.

[2] التوى: الهلاك.

[3] الأصيد: السيد الكريم.

ولا يقـــذفُ الشـــهمَ ذو لَوثـــةٍ ذمـيمٌ، ولا يَـدّري مَــن وعــى[1]

وكـــانَ المُفَضَّـــلُ لا المُـــزدرى لـــهُ يُعتـــزى وبـــهِ يُؤتســـى

وكـــان بهـــا المُثُـــل الصـــالحاتُ، لا الطالحـــاتُ، هـــي المُقتـــدى

فـــلا تبخَلـــوا أنْ تـــزوروا أبـــاً جريرتُـــــه أنَّ ذُلّا أبـــــى

ولا تبخَلــــوا أنْ تمُـــدوا يـــداً لتحضِـــنَ منـــه خيـــالاً سَرى

وطيفـــــاً أتـــــاكمْ يُهنّـــيكمُ بـــأنْ قـــد وُقِيـــتمْ زمانـــاً مضـى

ولا تُنكِـــروا أنَّ ((عُشّـــاً)) بـــه تلـــوحُ لكـــمْ قَسَـماتُ الهنـــا

كطُهْـــرِ ((الطفولـــةِ)) أجـــواؤه و أفيـــاؤه كرفيـــفِ الضـــحى

ضَرَبنـــا لنجمـــعَ أعـــوادَه لكـــم في صـميمِ زمـــانٍ جَســـا[2]

ســـتدْرونَ أيَّ مطـــاوي الـــبلاءِ نزلنـــا إليهـــا، وأيَّ الهُـــوى[3]

وأيَّ الخصـــومِ مَـــدَدْنا لـــه بـــأيِّ الأكـــفِّ بـــأيِّ القَنـــا

ضربنـــاهُ بـــالفكرِ حتـــى التـــوى وبالقلـــبِ حتـــى هفـــا بـــالرَّدى

وكـــانَ القـــريضُ الـــذي تقـــرأونَ أقتـــلَ مِـــن ذا وهـــذا شَـــبا[4]

ضربنـــاه أنْ لم يُصِـــبْ مَقـــتلاً بســـهمِ أراشَ ونصـــلٍ بـــرى

---

[1] اللوثة (بالفتح): الحماقة، وبالضم: الضعف والمس من الجنون.

[2] جسا: يبس وقسا.

[3] الهوى: جمع هوة.

[4] شبا السيف: حده.

وشرُّ ((السـهامِ)) رُواءُ النعيمِ وشرُّ ((النصالِ)) بريقُ الغِنى[1]

***

سلامٌ على هَضَباتِ العراقِ وشطّيهِ والجُرْفِ والمُنحنى

على النَّخْلِ ذي السَّعَفاتِ الطوالِ على سيّدِ الشَّجَرِ المُقتنى

على الرُّطَبِ الغَضِّ إذ يُجتلى كَوَشْيِ العروسِ وإذ يُجتنى

بإيسارِهِ يومَ أعذاقُهُ تَرِفٌّ، وبالعسرِ عندَ القنى[2]

وبالسَّعَفِ والكَرَبِ المُستجِدِّ ثوباً ((تهرّا)) وثوباً نضا

ودجلةَ إذ فارَ آذيُّها كما حُمَّ ذُو حَرَدٍ فاغتلى[3]

ودجلةَ تمشي على هَوْنِها وتمشي رُخاءً عليها الصَّبا

ودجلةَ زهوِ الصَّبايا المِلاحِ تَخوَّضُ منها بماءٍ صَرى[4]

تُريكَ العراقيَّ في الحالتينِ يُسرِفُ في شُحّهِ والنَّدى!

***

[1] إذا أحيط الإنسان بالنعيم أو لوحوا له بالغنى ولم يكن صلباً في النضال تخاذل وفتر، فالنعيم والغنى شر السهام وشر النصال.

[2] أي سلام عليه في حال إيساره بأعذاقه الرافّة وفي حال إعساره اذ قنواته متعثكلة يابسة.

[3] آذي البحر أو النهر: ماؤه الكثير ((المواضع العميقة)). ذو حرد: صاحب ثأر، يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضباً.

[4] ماء صرى: وشل بقية ماء.

سـلامٌ عـلى قَمَـرٍ فوقَهـا ... عليهـا هَفـا وإليهـا رَنـا

تُدغـدِغُ أضـواؤهُ صَـدْرَها ... وتمْسـحُ طيّاتِهـا والثِنـى[1]

كـأنَّ يـداً طـرَّزَتْ فوقَهـا ... مـن الحُسـن مَوشِـيةً تجُـتلى

رواءُ النمـيرِ لهـا لُحمـةٌ ... وذَوبُ الشـعاعِ عليهـا سَـدى

ونجـمٌ تَغـوَّرَ مـن حُبِّهـا ... ونجـمٌ عليهـا ادَّنـى فـادَّلى

***

على الجِسـرِ مـا انفـكَّ مـن جانبيـهِ ... يُتـيحُ الهَـوى مِـن عيـونِ المهـا[2]

فيـا ليـتَهُنَّ الـذي يعتـدي ... و يـا ليتـكَ الرّجـلُ المُعتـدى

و يـا ليـتَ بلـواكَ قُـبُّ الصـدورِ ... ولُعـسُ الشـفاهِ، وبـيضُ الطُّـلى[3]

و يـا ليـتَ أنـكَ لا تشـتكي ... ظَـماءكَ إلّا لهـذا اللَّمـى

وليـتَ بهـنَّ ولا غـيرِهنَّ ... تَنَقُّـلُ في غضـبٍ أو رِضـا

بهـنَّ ولا بغـلاظِ الرقـابِ ... قِبـاحِ الوجـوهِ، خِبـاثِ الكُـلى

***

[1] الثنى بالكسر: جمع ثنية وهي الطية.

[2] يشير بهذا البيت إلى بيت علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري.

[3] قب الصدور: مرتفعات الصدور، والواحدة قباء، وأقب للمذكر. لعس الشفاه: حمرة الشفاه المائلة إلى السمرة. والطلى: الرقاب، والواحدة طلية.

سـلامٌ عـلى جـاعلاتِ النَّقيـقِ، ... عـلى الشّـاطئينِ، بَريـدَ الهـوى

لُعنـتنَّ مِـن صِـبْيةٍ لا تشـيخُ ... ومـن شِـيْخَةٍ دَهْرَهـا تُصـطبى

تقـافَزُ كـالجنِّ بـينَ الصـخورِ ... وتنـدسُّ تحـتَ مَهيـلِ النَّقـا[1]

حَلَفـتُ بِمـنْ راءَكـنَّ الحيـاةَ سـمحاءَ أبـدعَ مـا تُرتـأى[2]

و ألبسـكُنَّ جَمـالَ الغـديرِ مَـن صـافَ منكنَّ أو مَـن شَـتا

لأنـتنَّ مـن واهبـاتِ البيـانِ ... جَمـالاً ومـن مُحيِيـاتِ اللُّغـى

عـلى أنَّهـا لُغـةٌ ثـرَّةٌ ... عـواطفكُنَّ بهـا تُمـترى[3]

لقـد عـابكنَّ - بـما لا يُعـابُ - فَـدْمٌ بخَلْـقٍ جميـلٍ زَرى[4]

بسـمح يُنـادمُ رَكـبَ الخلـود ... ويُحسـن للخـاطبينَ القِـرى[5]

يَـدُلُّ عـلى المـاءِ مَـن ضَـلَّه ... و يَرفـعُ وحشـةَ ليـلٍ طَخـا

كـأنَّ بعينيـكِ يـاقوتتينِ صـاغهما ((جـوهريٌّ)) جَـلا

ولـو لم يُخـبِّرْ بريـقُ النبـوغ ... بعينيـكِ عـن مثـلِ سـفعِ الـذّكا[6]

---

[1] مهيل النقا: كومة الرمل.

[2] راءكن: أراكن.

[3] لغة ثرة: واسعة يسهل التعبيربها عن كل ما يخالج النفس والقلب.

[4] الفدم: العيي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم. زرى: انتقص، ذم.

[5] القرى: ما يقدم للضيف.

[6] السفع: الكدرة. والذكا: توهج النار، وسفع الذكا: ما يشوب وقدة النار.

لــنَمَّ الجُحـوظُ عـلى ((شـاعرٍ)) بعيـدِ الخيـالِ، عنيـفِ الـرؤى[1]

***

سـجا الليـلُ إلّا حَمامـاً أجـدَّ هَـديلاً وترجيـعَ كلـبٍ عَـوى[2]

و جُندبـةً طارحَـتْ جُنـدُباً وبومـاً زقـا وسـحيلاً ثغـا[3]

وديكـاً يـؤذِّنُ في جَمعهـم بـأنْ قـد مضى الليـلُ إلّا إنـى[4]

ودوَّى قِطـارٌ فـرَدَّ الحيـاةَ عفـواً إلى عـالمٍ يُبتنـى

ومـا بـرِحَ القمـرُ المسـتديرُ يَسـبحُ في فلَـكٍ مِـن سـنا

تلـوذُ النُّجـومُ بأذيالِـه هَفَـتْ إذ هفـا، ودَنَـتْ إذ دنـا

إلى أنْ تَضَـوَّرَ غـولُ الصَّـباحِ ودَبَّ الهُـزالُ بـه فانضـوى

***

سـلامٌ عـلى عـاطراتِ الحقـولِ تنـاثرُ مِـن حـولهن القُـرى

ويـا لَلَطافـةِ هـذي الـدُّنى يُتَمِّمهـا لُطـفُ تلـكَ القُصـى

وحبـلِ ضـياءٍ تـدلّى بـه عـلى أفـقٍ أُفـقٌ والتقـى

كـأنَّ يـدَيْ خـالقٍ مُبـدعٍ تخيَّـلَ عُريتَهـا وارتـأى

---

[1] الجحوظ: بروز العينين. والرؤى: جمع رؤيا.

[2] سجا الليل: خيم وهدأ.

[3] الجندب: الصرصر. وسحيل: الثعلب.

[4] إنى: بقية قليلة.

يَمُـرّانِ فـوقَ الرُّبـى والسـفوحِ ... ويخترقـانِ سُـدوفَ الـدُّجى[1]
وينتزعـانِ الشُّـفوفَ التـي ... تـدثَّرَ كَـوْنٌ بهـا وارتـدى
روَيـداً روَيـداً كـما سُرِّحـتْ ... غلائـلُ غانيـةٍ تُنتضـي
وألقـتْ عليهـا الغيـومُ اللطـافُ ... نَسْـجاً كعهـدِ الغـواني وهـى
تحـرّقَ كـاسٍ إلى عُريـهِ ... و أُغـرم عـارٍ بـه فاكتسـى
كـأنَّ بهـا عالَمـاً واحـداً ... تَلاقـى، وإنْ بَعُـد المنتـأى

***

سـلامٌ عـلى بلـدٍ صُـنتُه ... وإيـايَ مِـن جفـوةٍ أو قِـلى[2]
كلانـا يكابـدُ مُـرَّ الفـراق ... عـلى كبـدَينا، ولـذعَ النَّـوى
وكـلٌّ يُغِـذُّ إلى طِيَّـة ... لنـا عنـد غايتهـا مُلتقـى[3]
غـداً إذ يَطِـنُّ فضـاءُ العـراقِ ... طنـينَ الثـرى مـن هِزبـرٍ خَـلا[4]
وإذ يسـتقلُّ بِضَـبْعَي فتـىً ... يَرى الغُنْمَ في العـيش كسـبَ الثنـا[5]

---

[1] سدوف الدجى: ظلماته، والواحدة سدفة.

[2] القلى: الكره والبغض.

[3] أغذ السير: أسرع. إلى طية: إلى نية يقصد إليها.

[4] يطن: يصفر أي يخلو.

[5] الضبع: العضد، ويستقل بضبعي أي يتعلق بها.

ويقـــدُرُ إن ضـــمَّ منـــه اليـــدينِ أي ثمـــينٍ نفـــيسٍ حَـــوى[1]
غـــداً إذ فريـــقٌ يحـــوزُ الثنـــا يَعَـــضُّ فريـــقٌ بصـــمِّ الصَّـــفا

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] يقدر الشيء: يعرف قدره وفي القرآن: (وماقدروا الله حق قدره)

عند الوداع

اقتطع الشاعر هذه القطعة من رائعته (المقصورة) وكتبها بخط يده بعنوان ((عند الوداع..!)) كأنه أراد أن تكون وداعه الأخير.. وكانت كذلك بعد نصف قرن.. حيث خُطَّ هذا الوداع على شاهدة ضريحه.

عند الوداع ... !

سلام على هضبات العراق ... وشطيه والجرف والمنحنى
على النخل ذي السعفات الطوال ... على سيد الشجر المقتنى
إلى بسره يوم أعذاقه ... ترف على العسر عند الغنى
على دجلة فاض آذيها ... كما حم ذو حرد فاغتلى
ودجلة تمشي على هونها ... وتمشي رخياً عليها الصبا
ودجلة زهو الصبايا الملاح ... تخوض منها بماء صري
تريك العراقي في الحالتين ... يسرف في شحه والندى
سلام على قمر فوقها ... عليها هفا، وإليها رنا
تلوذ النجوم بأذياله ... هفت إذ هفا، ودنت إذ دنا
كأن يداً طرزت فوقها ... من الحسن موشية تجتلى
رداء النسيم لها لحمة ... وذوب الشعاع عليها سدى

× × ×

على الجسر ما انفك من جانبيه ... يتاح الهوى من عيون المها"
سلام على جاعلات النقيق ... على الشاطئين بريد الهوى
لعنة من جنية لا تشيخ ... ومن شيخة دهرها تصطبي
نقانق بها الجرف بين الصخور ... وتندس تحت سهيل السها

محمد الجواهري

مقطعات من لندن

حين عاد الشاعر من لندن عام ١٩٤٧م وكان من الوفد الصحفي الذي دعي إلى هناك. أجرى معه مندوب جريدة ((الحضارة)) مقابلة صحفية، نُشرت في العدد ٥٢ في ٥ تشرين الأول ١٩٤٧:

سأله:

- هل نظمت شعراً وأنت في إنكلترا؟

- أجاب:

((- نعم.. نظمت عدة قصائد، ولكنها لم تكمل.. إنها مختزنة عندي لا أنشرها حتى تتم.. وأنني لأعتقد أن الذكريات ستعمل على إثارتها أكثر مما كنت آمل أن يثيرها الواقع وأنا في لندن)).

بقيت المقطعات كما نُظمت في لندن لم يزد الشاعر عليها شيئاً.

هنا يرقدان

(من وحي منطقة البحيرات (بحيرة الأخوين))

هنـــا يرقـــدان و خضْــرُ الجبــالِ تبُــل اليـنــابيعُ أردانَهــا
بحيــثُ البحــيرةُ تُنسـيهُما عنــاءَ الحيــاةِ وأدرانَهــا
وحيــثُ الرُّعــاةُ تُغنِّيهما إذا شَعْشَــعَ الفجــرُ ألحانهــا
وحيــثُ يَهــيجُ نسـيمُ الصــباح غــرامَ العَــذارى وأشــجانها
هنــا يرقُــدان بحيــثُ الســماءُ تَصْبــغُ بــالوردِ ألوانهــا
يَبُــثُّهما الزَهــرُ أشــواقَهُ و تُعطــي الخمائِــلُ عنوانهــا

المقام في لندن

مَلِلــتُ مُقــاميَ في لنــدنا مُقــام العــذارى بــدورِ الزنــا
مُقــامَ ((المسـيح)) بــدارِ اليَهــودِ مُقــام العَــذاب، مقــام الضــنى

صاحبي!

صاحبي لـو تكـونُ مـن أعـدائي لتمنَّيـــتَ أن تمـــوتَ بـــدائي
لتمنيـــتَ أن يكـــونَ لـــك الطُّـــو لانِ: طُـــولُ الأذى وطُـــولُ البقـــاء

جين

أسرفـــتِ في تَـــرف الجـــمالِ وســـكِرتِ مـــن خمـــر الـــدَّلالِ
و ثَنَيْـــتِ طرفَـــكِ فـــانثنى يرمـــي الظِّـــلالَ عـــلى الظـــلال
أعيـــا جمالُـــك منطقـــي وســـما خَيالُـــك عـــن خيـــالي
يـــا ((جـــينُ)) لطـــفُ الخمـــر أنَّـــكِ كنـــتِ ماثلـــةً حِيـــالي
مـــا شـــاء فليكتـــبْ عـــليَّ الـــدهرُ، إنّي لا أُبـــالي
إذ كـــان خَصْـــرُكِ في اليمـــينِ وكـــان كـــأسي في الشِّـــمال

بغداد، عام ١٩٤٧

آمنت بالحسين

ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في كربلاء لذكرى استشهاد الإمام الحسين. خطَّ خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على باب ضريح ((سيد الشهداء)) وهو الباب الرئيس الذي يؤدي إلى الرواق الحسيني.

فِـداءٌ لِمثـواكَ مِـن مَضْـجَعِ تَنَـوَّرَ بـالأبلَجِ الأروَعِ[1]

بـأعبقَ مـن نَفحـاتِ الجِنـانِ رَوحـاً، ومـن مِسـكِها أضـوعِ[2]

ورَعياً ليومِكَ يومِ ((الطُفوف)) وسَـقياً لأرضِـكَ مِـن مَصْـرَعِ[3]

وحُزناً عليك بحَبْسِ النُفوسِ عـلى نهجِـكَ النَّـيِّرِ المَهْيَـعِ[4]

وصَـوناً لمجـدِكَ مِـنْ أنْ يُـذالَ بـما أنـتَ تأبـاهُ مِـن مُبـدَعِ[5]

فيـا أيهـا الـوِترُ في الخالـدينَ فَـذّاً، إلى الآنَ لم يُشْـفَعِ

ويـا عِظَـةَ الطـامحينَ العِظـامِ لِلاهـينَ عـن غَـدِهمْ قُنَّـعِ

تعاليـتَ مِـن مُفْـزِعٍ للحتُـوفِ وبُـورك قـبرُكَ مِـن مَفْـزَعِ

تلـوذُ الـدُّهورُ فمِـنْ سُـجَّدٍ عـلى جانبيـه ومِـنْ رُكَّـعِ

شَـممتُ ثَـراكَ فهـبَّ النسـيمُ نسـيمُ الكرامـةِ مِـن بَلقَـعِ

---

[1] الأبلج: الوضاء الوجه. و ((الأروع)): المعجب بشجاعته أو حسنه.

[2] الروح هنا نسيم الريح. و ((ضاع)) من ضاع المسك يضوع إذا عبقت رائحته.

[3] الطفوف: هي الأراضي المشرفة من جوانب الشواطئ، وهي تطلق بصورة خاصة على ما أشرف من أراضي ((الغاضرية)) – وهي مدينة كربلاء الآن – على نهر الفرات وفيها كان مصرع الشهيد الحسين وآله وأبنائه.

[4] المهيع: البين الواضح.

[5] يذال: يهان. المبدع بفتح الدال من ((البدعة)).

وعفَّـــرتُ خـــدّي بحيـــثُ اســـتراحَ خـــدٌّ تفـــرّى ولم يَضـرَعِ

و حيـــثُ ســـنابكُ خيـــلِ الطُّغـــاةِ جالـــتْ عليـــهِ ولم يَخشـــعِ

وخِلْتُ وقـد طـارتِ الـذكرياتُ بِرُوحـــي إلى عـــالمٍ أرفَـــعِ

وطُفْـتُ بقـبرِكَ طـوفَ الخَيـالِ بصـــومعةِ المُلهِـــمِ المُبْـــدعِ

كـــأنَّ يـــداً مـــن وراء الضـريحِ حمـــراءَ ((مَبْتـــورةَ الإصْـــبَعِ))[1]

تمُـــدُّ إلى عـــالمٍ بـــالخُنوعِ والضـــيمِ ذي شَرقٍ مُـــتْرَعِ[2]

تَخَـــبَّطَ في غابـــةٍ أطبَقَـــت عـــلى مُـــذئِبٍ منـــه أو مُسْـــبِعِ[3]

لِتُبـدِلَ منـه جـديبَ الضـمير بـــآخَرَ مُعشَوشِـــبٍ مُمـــرِعِ

وتـــدفعَ هـــذي النفـــوسَ الصِـــغارَ خوفـــاً إلى حَـــرَمٍ أمنَـــعِ

***

تعاليـتَ مـن صـاعِقٍ يلتظـي فـــإن تَـــدْجُ داجيـــةٌ يَلمـــعِ

تـأرّمُ حِقـداً عـلى الصـاعقاتِ لم تُـــنْءِ ضَـــيراً ولم تَنْفَـــعِ[4]

ولم تَبْـذُرِ الحَـبَّ إثـرَ الهشـيمِ - وقـــد حرَّقَتـــهُ - ولمْ تـــزرعِ

---

[1] مبتورة الإصبع: هي يد الحسين رضي الله عنه وقد بترت إصبعه بعد مقتله.

[2] ذو شرق: ذو شجا وغصة.

[3] مذئب ومسبع: كثير الذئاب والسباع.

[4] التأرم: حك الأسنان بعضها ببعض من الغيظ، أي أنك تتحرق إذ ترى الصاعقات لا تدفع ضراً ولا تجلب نفعاً.

ولم تُخْلِ أبراجَها في السماء ... ولم تأتِ أرضاً ولم تُدْقِعِ

ولم تَقْطَعِ الشَّرَّ مِن جِذْمِهِ ... وغِلَّ الضمائرِ لمْ تَنْزِعِ

ولم تَصْدِمِ الناسَ فيما هُمُ ... عليهِ من الخُلُقِ الأوضَعِ

تعاليتَ من ((فَلَك)) قُطْرُهُ ... يدورُ على المِحوَرِ الأوسعِ

فيا ابنَ ((البتولِ)) وحَسْبي بها ... ضمانٌ على كلِّ ما أدَّعي

ويا ابنَ التي لم يَضَعْ مِثلُها ... كمِثلِكَ حَمْلاً ولم تُرْضِعِ

ويا ابنَ البطينِ بلا بِطنةٍ ... ويا ابنَ الفتى الحاسرِ الأنْزَعِ[1]

ويا غُصْنَ ((هاشِمَ)) لم ينفَتِحْ ... بأزهرَ منكَ ولم يُفْرِعِ[2]

ويا واصِلاً مِن نشيدِ ((الخُلود)) ... خِتامَ القصيدةِ بالمطلعِ

يَسيرُ الورى بركابِ الزمانِ مِن مُستقيمٍ ومن أظلعِ[3]

وأنتَ تُسيِّرُ رَكْبَ الخلودِ ما تستَجِدّ لهُ يَتْبَعِ

***

تَمثَّلتُ ((يومَكَ)) في خاطري ... وردَّدت ((صوتَكَ)) في مَسمعي

ومَحَّصتُ أمرَكَ لم ((أرتَهِبْ)) ... بنقلِ ((الرُّواة)) ولم أخدَعِ

---

[1] البطنة: النهم. الأنزع: من انحسر الشعر عن جانبي جبهته. وكان يقال للإمام علي رضي الله عنه ((الأنزع البطين)).

[2] لم تنون هاشم للضرورة فجرت بالفتحة.

[3] ظلع بالظاء: عرج وغمز في مشيه، وضلع بالضاد: مال وجنف.

وقلـــتُ: لعـــلَّ دويَّ السِـــنين بأصـــــداءِ حادثِـــــكَ المُفْجِـــعِ

ومـــا رتَّـــلَ المخْلصـــونَ الـــدُّعا ةُ مِـــن ((مُرسـلِينَ)) ومـــن ((سُـجَّعِ))

ومِـــنْ ((نـــاثراتٍ)) عليـــكَ المســـاء والصُـبْحَ بالشَّـــعْرِ والأدمُـــعِ

لعـــلَّ السياســـةَ فـــيما جَنَـــتْ عـــلى لاصِـــقٍ بـــكَ أو مُـــدَّعي

وتشـريدَها كـــلَّ مَـــنْ يـــدَّلي بحبـــلٍ لأهلِيـــكَ أو مَقطـــعِ

لعـــل لِـــذاكَ و((كـــونِ)) الشَّـــجيِّ وَلُوعـــاً بكـــلِّ شَـــجٍ مُولِـــعِ

يَـــداً في اصـــطباغِ حـــديثِ ((الحُســـين)) بلـــونٍ أُريـــدَ لـــهُ ممتِـــعِ

وكانـــتْ ولّمـــا تَـــزَلْ بَـــرْزَةً يـــدُ الواثـــقِ المُلجَـــأ الألمعـــي

صَـناعاً متـى مـا تُـرِدْ خُطَّـةً وكيـــفَ، ومهـــما تَـــرِدْ تَصـــنعِ

ولّمـا أزَحْـتُ طِـلاءَ ((القُـرونِ)) وسِـــتْرَ الخِـــداع عـــنِ المَخْـــدعِ

أُريـــدُ ((الحقيقـــةَ)) في ذاتِهـــا بغـــــيرِ الطبيعـــــةِ لم تُطْبَـــعِ

وجـــدتُكَ في صُـــورةٍ لم أُرَعْ بـــــأعظمَ منهـــــا ولا أرْوعِ

ومـــاذا! أأروعُ مِـــنْ أن يكـــونَ لحمُـــكَ وَقْفـــاً عـــلى المبضَـــعِ

وأنْ تَتَّقـــي – دُون مـــا ترتئـــي – ضـــميرَكَ بالأسَـــلِ الشُـــرَّعِ

وأنْ تُطْعِـم المـوتَ خـيرَ البنـينَ مِـــنَ ((الأكهلـــينَ)) إلى الرُّضَّـــعِ

وخـيرَ بنـي ((الأمِّ)) مِـن هاشـمٍ وخـــيرَ بنـــي ((الأب)) مِـــن تُبَّـــعِ

وخـــيرَ الصِّـــحاب بخـــيرِ الصـــدورِ – كـــانوا وِقـــاءكَ – والأذْرعِ

***

وقدَّسْتُ ((ذكراكَ)) لم أنتحِلْ ثِيابَ التُّقاةِ ولم أدَّعِ

تَقَحمْتَ صدري وريبُ ((الشُّكوكِ)) يَضِجُّ بجدرانهِ ((الأرْبعِ))

ورانَ سَحابٌ صَفيقُ الحجاب عليَّ من القَلَقِ المُفزِعِ[1]

وهبَّتْ رياحٌ من الطَّيّبات و ((الطيبينَ)) ولم يُقْشَعِ

إذا ما تزحزحَ عن مَوضعٍ تأبّى وعادَ إلى مَوضعٍ[2]

وجازَ بيَ الشكُّ في ما معَ ((الجدودِ)) إلى الشكِّ فيما معي

إلى أن أقمتُ عليه الدليلَ من ((مَبدأ)) بدمٍ مُشْبَعِ

فأسَلمَ طَوعاً إليكَ القِيادَ و أعطاكَ إذعانةَ المُهْطِعِ[3]

فَنَوَّرْتَ ما اظْلَمَّ مِن فِكرتي وقوَّمْتَ ما اعوجَّ مِن أضلُعي

وآمنتُ إيمانَ مَن لا يَرى سِوى (العقلِ) في الشكِّ مِن مَرْجِعِ

بأنَّ (الإباءِ))، ووحيَ السماء، وفيضَ النبوَّةِ، مِن مَنْبعِ

تجمَّعُ في (جوهرٍ) خالصٍ تَنَزَّهَ عن (عَرَضٍ) المَطْمَعِ

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] ران: غطى وأطبق.

[2] تأبى: أبى، امتنع.

[3] المهطع: الناظر بخنوع.

ناغيت لبنانا

(تحية ضيف العراق بشارة الخوري)

ألقيت في الحفل الرسمي الذي أقامته أمانة العاصمة في ((بهو الأمانة)) لبشارة الخوري، وكان رئيساً للجمهورية اللبنانية.

ناغيـتُ ((لُبنانـاً)) بِشِـعريَ جِـيلا　　وضَـــفرته لجبينِـــه إكلـــيلا

ورَدَدْتُ بـــالنغَمِ الجميـــلِ لأرزه　　ظِـــلّاً أفــاءَ بـــه عـــليَّ ظَلــيلا

أوَ مـا تـرى شـعري كـأنَّ خِلالَـه　　نسـيَ النسـيمُ جناحَـــهُ المبلـــولا

وحِسـانَ لُبنـانٍ منحـتُ قصـائدي　　فســـحبنهنَّ كَـــذَلِّهنَّ ذُيـــولا

أهـــديتُهُنَّ عُيـــونَهنَّ نَوافِـــذاً　　كعيـــونِهِنَّ إذا رَمَـــيْنَ قَتـــيلا

فَـرَدَدْنهنَّ مــن الأسـى وجِراحِـه　　كِسـراً.. فَرُحْـتُ أَلُمُّهـنَّ فُلـولا

ورَجَعْـتُ أدراجِـي أجـرُّ غنيمـةً　　من ((بنتِ بـيروتٍ)) جـوىً وغلـيلا

لُعِـنَ القصـيدُ فـأيُّ مُثْـرٍ شـامخٍ　　سرعانَ مـا استجدى الحسـانَ ذلـيلا

ردَّتْ مطامِحُـــه البِعـــادَ دوانيـــاً　　وكثـيرَ مــا خَـدعَ الخَيــالَ قلـيلا

***

ناغيتُ ((لُبناناً)) وهل أبقى الهوى　　بُقيـــا عـــلى قيثـــارتي لتقـــولا

طارحتُـــه الـــنغماتِ في أعيـــادِه　　بـــأرقَّ مــن سـجعِ الحـمامِ هَـديلا

ومَسـحْتُ دمـعَ الحُـزنِ في أتراحِـه　　وجعلـتُ مَحْـضَ عـواطفي مِنـديلا

وكـذاكَ كنـتُ ومـا أزالُ كـما بنـى　　أهـــلي أُجـــازي بالجميـــلِ جمـــيلا

***

يا شـيخَ ((لُبنـانَ)) الأشمِّ فوارعـاً　　وشـــمائلاً ومناعـــةً وقبـــيلا

مثَّلتَـــهُ في كلِّهـــنَّ فلـــم يُـــرِدْ　　بســواكَ عنـكَ، ولــن يريـدَ بـديلا

إنَّ العــراقَ وقــد نزلــتَ رُبوعَــهُ   لَيَعُـــدُّ ســـاكِنَه لـــديكَ نـــزيلا
بُشرى ((بِشارةُ)) أنْ تجوسَ خِلالها   وتُزيـــرَ طرفَـــك أهلَهـــا ونُجـــيلا
قـف في ضِـفافِ الرافـدينِ وناجِهـا   وتفـــيَّ صَفصـــافاً بهـــا ونخـــيلا
واسـمَعْ غِنـاءَ الحاصـدينَ حُقولَهـا   للحاصـداتِ مـن القلـوبِ حُقـولا
سترى القـريضَ أقـلَّ مِـن أنْ يَجتلي   لغـــةَ النفـــوسِ عواطفـــاً ومُيـــولا
وتلمَّـــسِ الآهـــاتِ في نَـــبَراتِهِمْ   يُشـعِلْنَ مـن حَـدَقِ العيـونِ فتـيلا
واسـتنطِقِ ((الـرَّمَلاتِ)) في جَنَباتهـا   ولطالمـا اسـتوحى النبـوغُ رمـولا
واستوحِ ((كُوفاناً)) و((بصرةَ)) إذ هُمـا   يتصـــدَّرانِ العـــالَمَ المـــأهولا
يســتورِدانِ حَضـــارةً ومواهبـــاً   و يُصـــدِّرانِ فطـــاحلاً وفحـــولا
و تَقَــرَّ ((بغــداداً)) فــإنَّ دُروبَهــا   ســتُريكَ مـن سِـفْرِ الزمـانِ فُصـولا
ســتُريكَ كيـف إذا اسـتتمّتْ دولـةٌ   أعمـــى الغـــرورُ رجالَهـــا لتـــدولا

***

إيــهِ ((بِشــارةُ)) لم تكـنْ لتَحُـدَّ مـن   مهـوى النفـوسِ ولم تكـنْ لتحـولا
إني رَصَـــدتُكَ مـــن بعيـــد لم أُرِدْ   إذنـــاً عليـــكَ ولا بعثـــتُ رســـولا
ودخلـتُ نفسَـك لم أزاحِـمْ حاجبـاً   عنهـا، ولم أَلِـجِ ((الـرواقَ)) فضـولا
وخُلِقْــتُ لا أُوذي الملــوكَ ولا أُرى   ظِـلَّاً عـلى بـابِ ((الأمـيرِ)) ثقـيلا

صَونٌ لمجدِ الشعرِ أوهمَ خاطئاً ... أنّي خُلِقتُ على قِلىً مجبولا[1]

ولربّما ظنَّ الرواجمُ أنّهم ... سيرَوْنَ من هذا ((المنخَّل)) غُولا

وعرفتُ فضلَكَ قبل كونِك عاهلاً ... تُرخي عليكَ حِجَابكَ المسدولا

تَلِجُ العقولَ عَباقراً، ونوابغاً ... وتُمحِّصُ المعقولَ والمنقولا

ووجدتُك المُعطي السياسة حقَّها ... ترعى النُّصوصَ وتُحسِنُ التأويلا

والمستجيرَ بظلِّها من ظلِّها ... تتخيرُ التحويرَ والتحويلا

ولمستُ يومَك حين ضجَّ ضجيجُها ... ومشتْ تدُكُّ روابياً وسهولا

تستخدمُ المتفجِّراتِ لدافعٍ ... عن حقِّهِ، وتُسخِّرُ ((الأسطولا))

وعُقابُ ((لبنانٍ)) تَضُمُّ جَناحَها ... تحمي الفِراخَ، وتحرُسُ الزُّغلولا

وبنوكَ أُسْدُ الغابِ في لِبداتِهِمْ ... عُبْلُ السواعد يمنعونَ الغيلا[2]

حتى إذا انجلتِ العَجاجةُ وارتمى ... شِلْواً ربيبُ ((فجارةٍ)) منخولا[3]

وتخلتِ الأقدارُ عن مُتجبِّرٍ ... ملأَ البلادَ وأهلَها تنكيلا

وبرزتَ مثلَ السيفِ لا مُستسلِماً ... جُبْناً، ولا نِكْساً ولا مخذولا[4]

وتزاحمتْ بالهاتفينَ شِعابُها ... يُزجُونكَ التكبيرَ والتهليلا

---

[1] القلى: البغض.

[2] ساعد عبل: ممتلئ.

[3] الشلو (بالكسر): العضو.

[4] النكس: الجبان.

كنـتَ الجـديرَ بكـلِّ ذاكَ وفوقَـه إذ كنـتَ سـيفَ جهادِهـا المسـلولا

***

يا شيخَ ((لُبنـانٍ)) وحَسْبُكَ خِبرةً رَفَعَتْـكَ شـيخاً في الملـوكِ جلـيلا

جرَّبـتَ حنظلـةَ الـدخيلِ وطعمَهـا و صــميمَها، وطِلاءَهــا المعســولا

ولمستَ مـن لَهَـبِ السِياطِ ووَقْعِها فـوقَ الظهـورِ عـلى الطُّغـاةِ دلـيلا

ورأيتَ كيفَ ((العِلْـجُ)) يُسـمِنُ أهلَـه يُقــري بنيــهِ شــعبَكَ المهــزولا[1]

وعرفـتَ قـدرَ العـاملينَ مـبجَّلاً شــكراً، وحــظَّ العــاملينَ جـزيلا

رَنـتِ العيـونُ اليـكَ تُكـبرُ موقفـاً مـن ((شـيخٍ)) لبنـانَ النبيـلِ نبـيلا

وتُريـدُ منـك وقـد تقلَّـصَ ظلُّهـم ألّا تَميــزَ عــلى الــدخيلِ دخـيلا

فلقــد خَبَرنــا نحــنُ قبلَـك مِثلَـهُ وأشرَّ في لغــةِ الطُغــاةِ مثـيلا

فـإذا بـــ((حنظلةٍ)) تَحِـنُّ لأختِهـا وإذا بـ((شدقمَ)) يستظلُّ ((جـديلا))[2]

و إذا بــأولاءِ تفــرِّقُ بيــنَهم شــتى الـدُّروبِ، ويلتقـونَ سَـبيلا

فـاوِض فقـد غَـدَت العـوالِمُ عالَمـاً مــا زالَ حَبْـلُ صِـلاتِه موصـولا

وسـيجرِفُ التـاريخُ في تيّـارِه شــعباً يظَــلُّ مُجانِبــاً معــزولا

وتُــراثُ ((لُبنـانٍ)) قـديمٌ نشـرُهُ في المشـرِقينِ مَواهبــاً وعقــولا

لكـنْ تَـوَقَّ مـن الوعـودِ سلاسـلاً برَّاقــةً، ومــن العهــودِ كُبــولا

---

[1] العلج: يريد به الأجنبي.

[2] شدقم: فحل من الإبل للنعمان بن المنذر. والجديل: فحل له أيضاً.

***

فاوِضْ وخلِّ وراءَ سمعِك مُغرياً وأمامَ عينِكَ شامتاً وعَذولا

ولأنتَ أعلمُ إنْ تُزَحْزِحْ عندَهم شبراً، فسوفَ يُزحزحونكَ ميلا

وإذا ارتخَتْ عُقَدٌ تيسّرَ حلُّها جدُّوا لكم عُقَداً تُريدُ حُلولا

***

((عبدَ الإله)) وليس عاباً أنْ أرى عِظَمَ المقَامِ مُطوِّلاً فأُطيلا

كرُمتْ ضيفَك يستثيرُ جلالهُ نُطْقاً، ويدفعُ قائلاً ليقولا

ياابنَ الذينَ تنزَّلتْ ببيوتِهم سُوَرُ الكتابِ، فرتِّلَتْ ترتيلا

الحاملينَ منَ الأمانةِ ثقلَها لا مُصعِرينَ ولا أصاغِرَ مِيلا[1]

والناصبينَ بيوتَهم وقبورَهم للسائلينَ عنَ الكرامِ دليلا

والطامسينَ منَ الجهالةِ غَيْهَباً والمُطلِعينَ منَ النُّهى قِنديلا[2]

مَلكوا البلادَ عروشَها وقصورَها واستعذبوا وعْثَ التُّرابِ مَقيلا[3]

ياابنَ النبيِّ وللملوكِ رسالةٌ مَنْ حَقَّها بالعدلِ كانَ رسولا

يرجو العراقُ بظلِّ رايةِ فيصلٍ أنْ يرتقي بكما الذُّرى ويطولا

لا شكَّ أنَّ وديعةً مرموقةً عزَّ الكفيلُ لها فكنتَ كفيلا

---

[1] المصعر: المائل بخده كبراً. والأصاغر الميل: الأذلاء.

[2] الغيهب: الظلام.

[3] وعث التراب: المكان السهل تغيب فيه الأقدام ويشق السير فيه.

وكيــانُ مُلــكٍ في حداثــةِ عهــدِه يتطلَّـــبُ التلطيـــفَ والتـــدليلا

وسياســةٌ حضــنتْ دُعــاةَ هزيمــةٍ وتبنَّـــتِ التفريـــقَ والتضـــليلا

تُغـري المثقَّـفَ أنْ يكـون مُهادِنـاً وابــنَ الجهالــةِ أنْ يظَــلَّ جَهــولا

ألقـت عـلى كِتفيـكَ مـن زَحماتِهـا عِــبءاً تنــوءُ بــهِ الرِّجــالُ ثقــيلا

شدَّتْ عروقَـك مـن كـرائمِ هاشـم بــيضٌ نمــينَ خديجــةً وبتــولا

وحَنَـتْ عليـكَ مـن الجـدودِ ذؤابـةٌ رَعَتِ ((الحسينَ)) وجعفراً ((وعقيلا))

***

قُـدْتَ السـفينةَ حـينَ شَـقَّ مقادُهـا وتطلَّبـــتْ رُبَّانَهـــا المســـؤولا

أعْطتْـكَ دَفَّتهـا فلـم تَرجِـعْ بهـا خوفَ الرِّيـاحِ، ولا انـدفعتَ عَجـولا

ومَنَحْتَهـا والعاصـفاتُ تؤودُهـا مَتنــاً أزلَّ وســاعداً مفتــولا[1]

أُعطيـتَ مـا لم يُعـطَ قبلَـكَ مثلَـه شــعباً عــلى عِرفــانِكُمْ مجبــولا

إنَّ العــراقَ يُجِــلُّ بَيْعــةَ هاشــمٍ مــن عهــدِ جــدِّكَ بــالقرونِ الأولى

هـذي مصـارِعُ مُنجبيـكَ ودورُهُـم يمــلأنَ عَرْضــاً للعــراقِ وطُــولا

مـا كـانَ حجُّهُـمُ وطـوفُ جمـوعِهِمْ لقبــورِ أهلِــكَ ضَــلَّةً وفُضــولا

حـبُّ الأُلى سـكنوا الـديارَ يشـفُّهم فيعــاوِدونَ طلولَهــا تقبــيلا

***

---

[1] المتن الأزل: أي الشديد القوي.

يـا شـيخَ ((لُبنـانٍ)) شـكيَّةَ صـارخٍ تتخلَّــلُ الترحيــبَ والتــأهيلا[1]

كنّـا نُريـدُكَ لا القلـوب ((مُغيمـةٌ)) فينــا، ولا خِصــبُ النفــوسِ مَحِــيلا

لنريــكَ أفــراحَ العــراقِ شِــمالَه وجَنوبَــــه، وشــــبيبةً وكُهــــولا

جئـتَ العـراقَ ومِـن فِلَسْـطينٍ بـه وَجَــعٌ مُطبِّــــهُ يعــودُ علــيلا

والمســجدُ المحــزونُ يُلقــي فوقَــه ليلاً – عـلى الشرقِ الحـزينِ – طـويلا

ذهبـتْ فِلَسـطينٌ كـأن لم تَعـترِفْ مِــن كافليهـــا ضــامناً وكفــيلا

وعَفـتْ كـأنْ لم يمـشِ في أرجائهـا ((عيسى))، و((أحمدُ)) لم يَطِرْ محمولا

و ((المسجدُ الأقصى)) كأنْ لم يرتفـع فيــــهِ أذانٌ بُكــــرة واصــــيلا

وثرى ((صلاحِ الدينِ)) دِيسَ وأنعلتْ منــه جيــوشُ الــواغِلينَ خُيــولا

و ((الحــنظليُّ)) بحِلْفِــهِ ووُعــودِهِ مــا زالَ كــاذبُ وعِــده ممطــولا[2]

لم يــرعَ شرعَ الكــافرينَ، ولا وفى حقَّــيهما القــرآن والإنجــيلا

أعطـى ((إلَنْبـي)) أهلهـا فاسـتامهم ((بلفورُ)) فاستوصى بهم عِزريلا[3]

واليـومَ يفخـرُ ((بالحيـادِ)) كفـاخرٍ بالقتــلِ إذ لم ((يَســلَخِ)) المقتــولا

بغداد، عام ١٩٤٧

---

[1] التأهيل: الترحيب بـ ((أهلا)).

[2] الحنظلي: يريد به المستعمر البريطاني. ومطل حقَّه: أجَّل وفاءه.

[3] إلنبي: القائد البريطاني المعروف وفاتح القدس في الحرب العالمية الأولى. بلفور: هو الوزير البريطاني صاحب الوعد المعروف بتهويد فلسطين.

الشهيد قيس

والشهيد قيس هو ((قيس الآلوسي)) أحد الشهداء الأوائل في وثبة كانون، الذي استشهد في معركة الجسر يوم ١٩٤٨/١/٢٧.



يـــا قـــيسُ! يـــا لُطـــفَ الربيـــعِ ووقـــدَ رَونقِـــه الشَّـــبُوبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا همـــسَ الحبيـــب يـــذوبُ في سَـــمْعِ الحبيـــبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا هـــزَجَ الرُعـــاةِ يَشـــيعُ في الحقـــل الخَصـــيبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا شَـــجْوَ ((الهـــزارِ)) يُهيـــبُ بالغصـــن الرطيـــبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا حُلُـــمَ ((العـــذارى)) يـــزْدَحِمْنَ عـــلى ((القَليـــبِ))[1]

يـــا قـــيسُ! يـــا ذَوبَ ((الغضـــارة)) قُطِّـــرت بـــأرَقِّ كُـــوبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا لَحْـــنَ الحيـــاة ونغمـــةَ الأمَـــلِ الرَّتيـــبِ

يـــا قـــيسُ! يـــا لَمْـــحَ السَّـــنا يـــا قـــيسُ! يـــا نَفْـــحَ الطُّيُـــوبِ

يـــا قـــيسُ! هـــل تَـــدري بـــما؟ خلَّفـــتَ بعـــدَك مـــن نُـــدوبِ

و بـــما غَمَـــرْتَ البيـــتَ مـــن فَـــيضِ الصَّـــبابة والوَجيـــبِ

وبـــما جَلبْـــتَ لـــــ ((ثاكـــل)) حـــرّى، ومُحْتَســـبٍ حَريـــبِ[2]

الوالـــــدان – عليـــــك يـــــا قـــــيسُ المـــــدلَّلُ – في لُغُـــــوبِ[3]

يـــــتعلَّلانِ بلَمـــــح وجهِـــــكَ في الشُّـــروق وفي الغُـــــروبِ

و يغالِطـــــانِ النَّـــــومَ عنـــــك بطَيفِـــــك المَـــــرِحِ الطَّـــــروبِ

---

[1] القليب: البئر.

[2] الحريب: المسلوب. والمحتسب: الصابر على البلوى.

[3] اللغوب: الإعياء

و يراجعـــــانِ تَلاوُمـــــاً نفْسَـــــيهما، صُـــنعَ المُريـــــبِ
يتبـــــادلانِ أســـــاهُما شَـــكوى الغريـــب إلى الغريـــبِ
يـــا قـــيسُ! أمُّـــكَ لا تـــزالُ تعـــيشُ بالأمَـــلِ الكَـــذوبِ
تهفـــو لقَـــرْعِ البـــاب في الجِيئـــات منـــكَ وفي الـــذُّهوبِ
وتظَـــلُّ تســـألُ مُخْـــدَعاً لـــك عـــن هجوعـــك والهُبـــوبِ

***

يـــا قـــيسُ! يـــا رمـــزَ الفتـــوةِ عُطِّـــرَت بـــدَمٍ خَضـــيبِ
كَرَّمـــتَ بـــالكَفَنِ المخضَّـــب منـــك و الخـــدِّ التَّريـــبِ
وطنـــاً بمثلـــك مـــن بنيـــه يَســـتجيرُ مـــن الخُطـــوبِ
ويـــرُد أنصـــبةً إلـــيهم مـــا حَبَـــوه مـــن نَصـــيبِ
بالمجـــدِ تَخلعُـــه الحُقـــوبُ علـــيهِمُ تلـــوَ الحقـــوبِ[1]
و الغـــارِ تَضـــفِرُهُ لهـــمْ رَيّـــانَ مـــن طَفَـــح القلـــوبِ
يـــا قـــيسُ! يـــا قـــيسُ الملـــوِّح في شـــبابِك بـــالحُروبِ
الشـــعب يثـــأرُ مـــن ((رُماتِـــكَ)) في بعيـــدِ أو قريـــبِ

بغداد، عام ١٩٤٨

[1] الحقوب: جمع حقبة، وهي المدة من الزمن.

قف بأجداث الضحايا

نظمت إثر البيان الرسمي الذي صدر عن البلاط الملكي الذي أنهى معاهدة بورتسموث بعد سقوط العشرات من الشهداء في انتفاضة كانون الثاني ضدها.

حضَـنَ ((التـاجُ)) بنيـه فتعـالَى ... و تعـالى ((حـارسُ التـاج)) جَـلالا

و تعالـت أُمَّـةٌ لم تنحـرفْ ... عن مدى الحقِّ، ولا زاغَـت ضَـلالا

أُمـةٌ تكـرَهُ مـن مُسـتعمِرٍ ... فَرْضَـهُ النصرَا وتـأبى الانخِـذالا

أوطـأت أقـدامَها ((عارمَـة)) ... حسَـكَ الجـور، وشـاءَته انتِعـالا[1]

وتخطَّـت جمـرةَ الغـيظِ إلى ... ((وقـدةِ)) المـوتِ فزادتها اشـتِعالا

ومشَـت ((للهُلْـكِ)) تـدري أنَّـه ... يسـأَلُ الـرُّوحَ عـن الـدنيا زَوالا

عرفـتْ أنَّ الـذين استفرَشـوا ... حُلَـلَ الـديباجِ غَنْجـاً ودَلالا

نَعُمـتْ أظفـارُهُمْ مـن ((رقـةٍ)) ... فهي لا تَقوَى عـن اللحم انفِصـالا

ثـمَّ شـاؤوا المجـدَ فـيما يُقتَنـى ... حِلْيـةً تُضـفي عـلى البَيـتِ جَمـالا

كتَـبَ الـدهرُ عـلى أبـوابِهِمْ ... هَهُنـا يرقـدُ مـن عـافوا النِضـالا

هَهُنـا يرقُـدُ مـن ظَلُّـوا عـلى ... هـامِشِ ((التـاريخِ)) كَـلاً وعِيـالا

والـذين اسـتنزَفوا طاقـاتِهم ... في المشـقَّات هُـمُ كـانوا الرجـالا

***

حَضَـنَ التـاجُ بنيـهِ حِضْـنةَ الليـث لا يبغـي عـن ((الشِّـبل)) انفِصـالا

وتحـدّى مـن تحـدّى مُعلِنـاً ... أنَّـه يَقبـلُ في الحـق النِـزالا

---

[1] الحسك: ضرب من الشوك.

وانـبَرَتْ كـفٌّ هـي الـبُرْءُ مشـى فشـفى مـن ((مُـزمن)) داءً عُضـالا

تمسـحُ الدمعـةَ سـالتْ حَـرّةً فـوق جُـرحٍ فـاحَ بـالعِطر وسـالا

ورَمَـى ((نَسْـرُ قُـرَيشٍ)) فـوقَهم مـن جَناحَيـه الحبيبَـيْن ظِـلالا

يَسْـتجِمُّ المجـدُ في أفيائهـا مُتعَبـاً لاقـى مـن الجَهـد كَـلالا

***

يـا حُمـاةَ الطُّهـرِ في مُعـترَكٍ زَحَـمَ الطُّهْـرَ بـه الـرجسُ فـمالا

كرفيـفِ الزَّهـر في رَيْعانِـه لم تُدنِّسْـه يـدُ الجـاني ابتِـذالا

نَسَـلوا مـن كـل حَـدْب، نسـوةً ورجـالا، وجَنوبـاً وشِـمالا

يـا شـباباً صَـبَغوا الأرضَ دمـاً كان في ((وجنة)) سِفر المجدِ خـالا

مَـنَحَ البـاغي هوانـاً وصـغىً وحَبـا الأمّـةَ زهـوا واختِيـالا[1]

أكثِـروا مـن دَمكـمْ تَستَـكثِروا مـن فـم التـاريخِ مجـداً وابتهـالا

فهـو ظَمـآنٌ إلى أمثالِـهِ لا دمـاءٌ خَثَـرت فهـي كُسـالى

واكتُبوهـا صـفحةً إن ذُكِـرت كنـتُمُ الأمثـال فيهـا والمِثـالا

ليلـةٌ ألقَـتْ إلـيكم ثِقْلَهـا! وليـالٍ سَـوف تـأتيكم ((حُبـالى))!

واختِموا عهـدَ ((زعامـات)) عَفَـتْ كاذبـاتٍ لفَّقـوهُنَّ انتِحـالا

جامعـاتٍ – كـلَّ مـا لا يلتقـي مـن نَقيضَـيْن – شَـناراً واحتِفـالا

---

[1] الصغى: مصدر صغى يصغي: مال.

مــن حُطـــامٍ لمَّ مـــن كـــلٍّ خَنـــاً ۞ وادعـــاءٍ صـــارخٍ قـــيلاً وقـــالا
و مُـــدِلّين بـــأن قـــد قَرَنـــوا! ۞ بالخَنا جاهاً وبـ ((الحظـوَةِ)) مـالا

***

قــفْ بأجـداث الضّـحايا، لا تُسِـلْ ۞ فوقهـا، دَمعـاً، ولا تَبـكِ ارتجـالا
لا تُـذِلْ عهـدَ ((الرجـولات)) التـي ۞ تكـرهُ الضَّـعْفَ، وتـأبى الانحـلالا
وتَلقَّـــفْ مـــن ثَراهـــا شَـــمّةً ۞ تمـــلأُ المنخِـــرَ عِـــزّاً وجـــلالا
وَضَـع ((الإكليـلَ)) زَهْـراً يانعـاً ۞ فـوقَ زهـرٍ مـن ضـمير يَـتلالا
ثـم خَفِّـضْ مـن جَناحيـك بهـا ۞ ثـمَّ أبلِغْهـا إذا شِـئتَ ((مقـالا))!
أيهـــا الشـــاوونَ في جَـــولاتكم ۞ طِبْـتُمُ مَثـوىً، وعُطّـرتُمْ مجـالا
كلُّنـــــا نحسُـــــدُكم أن نِلْـــــتُمُ ۞ شَرَفَ الفُرصةِ – من قبلُ – اهتبـالا
كلُّنـــا نمشـــي عـــلى آثـــارِكمُ ۞ بالضَّـــحيّاتِ خِفافـــاً وثِقـــالا
كلُّنـــا ممتَثِـــلٌ مـــن وَحـــيكم ۞ مـــا يُريـــد الـــوَطنُ الحُـــرُّ امتِثـــالا
فـــإذا شِـــئتُم مَشَـــيْناها ونـــىً ۞ وإذا شِـــئتُم مشـــيناها عِجـــالا[1]
و إذا شِـــئتُم صِـــبغْناها دمـــاً ۞ صـــبغَةً تُـــؤْذِنُ بالحـــال ((انتِقـــالا))

***

يا ((حفيظَ)) العهدِ)) للوادي ويا ۞ أمَـــلَ الـــوادي فُتُـــوّاً واقتِبـــالا
وصـــليبَ العُـــودِ يَـــأبَى غمـــزةً ۞ ورفيـــعَ الـــرأسِ يـــأبَى أنْ يُطـــالا[2]
هُـــرِعَ الشـــعب إلى مُنقـــذِه ۞ مُلقِيـاً في السـاحة الكـبرى الرِّجـالا

---

[1] ونى: في الاصل اتئادا.

[2] يطال: يسبق.

كَـــذَبَ المُلقـــون في رُوعِكُـــمُ   أنـــه يطلُـــبُ أمـــراً لـــن يُنـــالا
قـــل لأولاءِ الـــذين اســـتأثَروا   بالملـــذّاتِ وبـــالحكم احتِيـــالا
و الـــذين اختَلَقُـــوا أنهُـــمُ   وحـدَهُمْ مـدُّوا إلى العـرشِ حبـالا!
كـم وكـم ثـاوٍ بجُحْـرٍ مُظلـمٍ   وحريـبٍ يأكُـلُ المـاءَ الـزلالا[1]
كـان أصـفى نيـةً في حُبِّـكم   مـن مُـدلِّينَ نِفاقـاً وافتِعـالا
و الـــذين افتَخَـــروا أنَّهُـــمُ   يَلبَسُون ((الشعب)) ما شاؤوا نِعالا
والـذين اسـتَنْفَروا مَـن حـولهم   زُمـراً عبَّأهـا الشـرُّ رِعـالا[2]
ليسُـدَّ ((السـوطُ)) مجْـرى فكـرةٍ   وتُعيـقَ ((النـارُ)) قَـولاً أنْ يُقـالا
قـلْ لهـم: لَسْـتُم رفـاقي فـانفِروا   إنَّ هـذا الشـعبَ لا يَبغـي مُحـالا!
إنّـــه يَشْـــجُبُ مـــن حُكّامـــه   خُطـةَ العَسـف ويـأبى الاغـتِلالا[3]
ويريـــدُ العَـــدْلَ في أحكامـــه   والمســـاواةَ وإن عـــزَّتْ مَنـــالا
لا ((يُقـالُ)) الشـعبُ، لكـنْ طغمـةٌ   تسـترقُّ الشَـعبَ أولى أن تُقـالا[4]

بغداد، عام ١٩٤٨

[1] الحريب: المعدم الفقير.

[2] الرعل: جمع رعيل وهو الجيش.

[3] الاغتلال: من اغتل، واستغل.

[4] يقال: يعزل، من الإقالة.

أخي جعفر

ألقاها الشاعر مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٨ في الحفل الكبير الذي أقيم في جامع الحيدرخانة ببغداد، لمناسبة مرور سبعة أيام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري وإخوانه من الشهداء في معركة الجسر الباسلة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨، ثورة على معاهدة ((بورتسموث)). وكان يوم تشييع جنازته يوماً لم تشهد بغداد مثله في تاريخها الحديث.

نشرها الشاعر في جريدته الرأي العام يو ١٥ شباط ١٩٤٨ ومهد لها في عدد الجريدة الصادر في ١١ شباط ١٩٤٨ بكلمة عنوانها.

((أحب أن أخبرك يا جعفر))

هي:

- أحب أن أخبرك يا ((جعفر)) إن القلوب كلها عليك حرى. والعيون عليك كلها دامعة.
- وإن بيوتنا بعدك يغمرها الظلام، وتعاودها الأشباح. وأطفالنا وهي تلعب تعتزل ناحية ثم تبكي.
- وأحب أن أخبرك يا ((جعفر)) أن ((الشعب)) هو الذي سيأخذ بثأرك. فقد بدا أن المسؤولين لا يجرؤون على ذلك. توثق يا ((أخي)) إن دمك ودماء رفاقك ((تفور)) وستظل حتى يثلجها دم الخونة المراق!!
- وأحب أن أخبرك يا ((جعفر)) أن الوغد ((تفرج)) من شرفة ((ديوانه)) وأنت تخر صريعاً. وأن آخرين ممن لطخوا اسم الأدب والشعر بالعار من أذنابه ومن أبناء بلدك تفرجوا على القلوب كلها وهي تسيل عليك شعراً ونثراً دون أن يجدوا فيها ما يحركهم. ولكنهم وجدوا في مجالس المداعبات، واستقبال الموظفين وتوديعهم، وأهازيج المديح المتبصبص محركاً وباعثاً و ((رابطة)) تربطهم بـ ((العلم)) و ((الأدب))!! وتجرهم إلى...
- أحب أن أخبرك يا ((جعفر)) بأشياء، وأشياء، هي ((التاريخ)) كله! وهي ((البشرية)) كلها!! وهي ((الحياة)) بنقائضها! سأصبها قريباً في مسمعك بكل خشوع وأدب ووقار تليق بك أيها الجدث الطاهر. ولكنها، بكل صراحة ممزقة!، تليق بأخيك. سأصبها يا أخي ((جعفر)) على مسمعك، بكتاب مصبوغ بدمك. ملتهب بما في قلبي من شرور يقدحه هذا ((الدم)) على مر الدهور، وكر الأزمان..
- أحب أن أخبرك يا أخي ((جعفر)) أن جماعة من أهلك يخشى بل ((يرجى))! أن يلحقوا بك حزناً عليك، وشوقاً إليك.
- أحب أن أخبرك يا أخي ((جعفر))، يا أعز الناس كلهم، بأنني سأخبرك..

أخوك ((مهدي))

أتعَلَـــمُ أمْ أنــتَ لا تَعْلَــمُ   بــأنَّ جــراحَ الضــحايا فـــمُ
فـــمٌ لـــيسَ كالمُـــدَّعي قولَـــةً   ولـــيس كــآخَرَ يَســـترحمُ
يصـيحُ عــلى المُـدْقعينَ الجيـاع   أريقــوا دمــاءَكُمُ تُطعَمــوا[1]
و يهْتِــفُ بــالنَّفَرِ المُهطِعــين   أهِينــوا لِئــامكمُ تُكْرَمــوا[2]

* * *

أتعلَـمُ أنَّ رِقــابَ الطُّغــاة   أثقَلَهــا الغُــنْمُ والمــأثَمُ
وأنَّ بطــونَ العُتــاةِ التــي   مِـن السُّحتِ تَهضِمُ ما تهضـمُ[3]
وأنَّ البغـــيَّ الـــذي يَـــدَّعي   مـن المجـد مـالم تَحُزْ ((مـريمُ))
سَـتَنهَدُّ إن فــارَ هــذا الــدمُ   وصـوَّتَ هـذا الفـمُ الأعجـمُ[4]
فيـا لـكَ مِـن مَـرهمٍ مـا اهتـدى   إليــه الأُســاةُ ومــا رهَّمــوا[5]
ويــا لــكَ مــن بَلسمٍ يُشتَفى   بــه حــينَ لا يُرتجـى بَلسـمُ
ويــا لــكَ مــن مَبسـمٍ عـابسٍ   ثغـورُ الأمــاني بــه تَبسِـمُ

* * *

أتعلـمُ أنَّ جــراحَ الشــهيد   تَظَــلُّ عــن الثــأر تســتفهِمُ

[1] المدقع: الفقير المعدم.

[2] المهطع: الذليل.

[3] السحت: المال الحرام.

[4] ستنهد: الفاعل يعود على الأشياء في الأبيات الثلاثة السابقة.

[5] رهّموا: استعمال اشتقه الشاعر من الرهم.. والأساة: جمع أسي وهو الطبيب.

أتعلمُ أنَّ جراحَ الشهيد مِن الجُوع تهضِمُ ما تَلهمُ
تَمصُّ دماً ثُم تبغي دماً و تبقى تُلحُّ وتستطعِمُ
فقُلْ للمُقيمِ على ذُلّهِ هجيناً يُسخَّرُ أو يُلجَمُ
تَقَحْمْ – لُعِنْتَ – أزيرَ الرَّصاص وَجرِّبْ من الحظِّ ما يُقسَمُ[1]
وخُضْها كما خاضَها الأسبقون وثَنِّ بما افتتحَ الأقدمُ
فإمّا إلى حيثُ تبدو الحياة لِعينيْكَ مَكْرُمةً تُغْنَمُ
وإمّا إلى جَدَثٍ لم يكُنْ ليفضُلَه بيتُكَ المُظلِمُ

***

تَقَحَّمْ، لُعِنْتَ، فما تَرتجي من العيش عن وِرده تُحرَمُ؟
أأوجعُ من أنّكَ المُزدَرى وأقتلُ من أنّك المُعدِمُ؟
تَقَحَّمْ فمَن ذا يخوضُ المَنون إذا عافَها الأنكدُ الأشأمُ؟
تقحَّمْ فمَن ذا يلومُ البطين إذا كان مِثلُكَ لا يَقْحَمُ؟[2]
يقولون مَن هم أولاء الرَّعاعُ فأفهِمْهُمُ بدَمٍ مَنْ هُمُ
و أفهِمْهُمُ بدمٍ أنّهمْ عَبيدُكَ إنْ تدْعُهُمْ يَخدُموا
وأنَّك أشرفُ من خيرِهمْ وكعبُكَ مِن خدِّهِ أكرمُ

***

---

[1] من الحظ: في رواية أولى: من الأمر.

[2] البطين: كبير البطن وهو هنا من شدة الشبع.

أخـي ((جعفـراً)) يـا رُواءُ الربيـع ... إلى عَفِـــنٍ بــــاردٍ يُســـلَمُ[1]
ويـا زهـرةً مـن ريـاض الخُلـود ... تَغوَّلهـــا عاصــفٌ مُـــرزِمُ[2]
ويـا قَبَسـاً مــن لهيــبِ الحيــاة ... خبـا حـين شـبَّ لــه مَضْـرَمُ[3]
ويـــا طلعـــةَ البِشـر إذ يـــنجلي ... ويـــا ضِـــحكةَ الفجـــر إذ يَبسِـــمُ
لَثَمْــتُ جراحَــكَ في ((فتحــةٍ)) ... هــي المُصـحَفُ الطُّهـرُ إذ يُلـثَمُ[4]
وقبَّلــتُ صــدرَك حيــثُ الصَّـميم ... مِـن القلــب، مُنْخَرِقــاً، يُخْـرَمُ
و حيـــثُ تَلـــوذُ طيـــورُ المنـــى ... بـــه، فهـــي - مُفزعَـــةً - حُـــوَّمُ
وحيـثُ اسـتقرَّت صِـفاتُ الرجـال ... و ضَـــمَّ معادِنَهــــا مَــــنجَمُ[5]
ورَبَّــتُّ خــدّاً بــبهاءِ الشــباب ... يـــرفُّ كـــما نـــوّر الـــبُرعُمُ[6]
ومسَّــحتُ مِــن خُصــلٍ تَــدَّلي ... عليـــه كـــما يفعـــلُ المُغــرمُ
وعلَّلــتُ نفسـي بــذوبِ الصـديد ... كـــما علَّلــت وارداً ((زمـــزمُ))

---

[1] العفن البارد: يراد به هنا القبر. ورواء الربيع: بهاؤه ولطفه.

[2] المرزم: المرنان الصخاب.

[3] مضرم: فاعل لشب وهو مصدر ميمي بمعنى الضرام كأنه يقول: شب ضرامه.

[4] الفتحة: هنا إشارة إلى فوهة الجرح المفتوحة.

[5] حيث استقرت صفات الرجال يراد به القلب الذي منه تنبعث عناصر القوة.

[6] ربت بتشديد الباء: أي ضرب بلطف.

ولقَّطتُ مِن زَبدِ طافحٍ بثغرك شهداً هو العَلْقَمُ[1]

وعوَّضتَ عن قُبلتي قُبلةً عَصَرْتَ بها كلَّ ما يؤلِمِ

عَصَرْتَ بها الذكرياتِ التي تَقَضَّتْ كما يَحْلُمُ النُوَّمُ

أخي ((جعفراً)) إنّ رجعَ السنين بَعْدَكَ عندي صَدىً مُبْهَمُ

ثلاثونَ رُحْنا عليها معاً نعذَّبُ حِيناً ونستنعِمُ[2]

نُكافحُ دهراً و يستَسْلِمُ ونُغلبُ طَوراً ونَسْتَسْلِمُ

***

أخي ((جعفراً)) لا أقولُ الخَيال وذو الثأرِ يَقْظانُ لا يَحلُمُ

ولكنْ بما أُلِهمَ الصابرون وقد يقرأُ الغيبَ مُستَلهِمُ

أرى أُفُقاً بنجيع الدماءِ تَنوّرَ، و اختفتِ الأنجُمُ

وحبلاً من الأرض يُرقى به كما قذفَ الصاعدَ السُلَّمُ

إذا مدَّ كفّاً له ناكثٌ تصدَّى ليقطَعها مُبرِمُ

تكوَّر من جُثَثٍ حولَهُ ضِخامٍ وأمجادُها أضخمُ

وكفّاً تُمدُّ وراءَ الحجاب فترسُمُ في الأفقِ ما ترسُمُ

وجيلاً يَروحُ وجيلاً يجيءُ و ناراً إزاءَهما تُضرَمُ

***

أنبِّيكَ أنَّ الحِمى مُلْهَبٌ و واديه من ألمٍ مُفعَمُ

---

[1] البيت وما بعده إشارة إلى واقعة حال كان فيها الشاعر ينحني على أخيه وهو في الرمق الأخير ليقبله وكان من الشهيد أن قبله هو أيضاً.

[2] ثلاثون: إشارة إلى الثلاثين عاماً التي هي عمر الفقيد.

ويــا وَيــحَ خانقــةٍ مِــن غــدٍ إذا نفَّــسَ الغــدُ مــا يَكظــمُ
وأنَّ الـــدماءَ التـــي طلَّهــا مُــدِلٌّ بشُــرطتهُ مُعــرمُ[1]
تَنَضَّــخُ مــن صدرِك المُستطاب نزيفــاً إلى الله يَســتظلِمُ
ســتبقى طــويلاً تُجُــرُّ الــدماء ولَــنْ يُــبرِدَ الــدمَ إلّا الــدمُ
وأنَّ الصــدورَ التــي فلَّهــا وأبــدعَ! في فلِّهــا مُجْــرمُ
ونَثَّــرَ أضــلاعَها نَثْــرةً شَــتاتاً كــما صُرِّفَ الــدرهمُ
سَتَحْضُــنُها مــن صُــدور الشــباب قُســاةٌ عــلى الحــقِّ لا تــرحمُ

***

أخــي ((جعفــراً)) إنَّ عِلــمَ اليقــين أنبِّيــكَ إنْ كنــتَ تســتعلِمُ
صُرِعْــتَ فحامــتْ عليــكَ القلــوب وخــفَّ لــك المــلأُ الأعظَــمُ
وسُــدَّ الــرُّواقُ، فــلا مَخــرجٌ وضــاقَ الطريــقُ، فــلا مَخــرمُ[2]
وأبلــغَ عنــك الجَنــوبُ الشِّــمال وعــزّى بــك المُعــرِقَ المُشــئِمُ[3]
وشَــقَّ عــلى ((الهــاتفِ)) الهــاتفون وضــجَّ مــن الأســطُرِ المِــرقَمُ[4]
تعلَّمــتَ كيــف تَمــوتُ الرجــال وكيــف يُقــامُ لهــمْ مــأتَمُ
وكيــفَ تُجــرُّ إليــك الجمــوعُ كــما انجــرَّ للحَــرمِ المُحــرِمُ

---

[1] طل الدم: أراقه. و ((المعرم)): المتجبر الذي يأخذ الناس بالظنة، وبما لم يجنوا، من فعل ((أعرم)).

[2] المخرم: طريق في الجبل يريد به أي طريق.

[3] المعرق والمشئم: أي العراقي والشامي.

[4] المرقم: القلم.

***

ضـحِكتُ وقـد هَمْهَـمَ السـائلون   وشـقَّ عـلى السمعِ مـا همهمـوا[1]

يقولـون مُـتَّ وعنـد الأُسـاةِ غـيرَ الـذي زَعَمـوا مَـزعَمُ

وأنـتَ مُعـافى كـما نرتجـي   وأنـت عزيـزٌ كـما تعلَـمُ

ضـحِكتُ وقلـتُ هنيئـاً لهـم   ومـا لفَّقـوا عنـك أو رجَّمـوا

فهـم يبتغُـونَ دمـاً يشـتفي   بـه الأرمـدُ العـينِ والأجـذمُ[2]

دمـاً يُكـذِبُ المخلصـونَ الأبـاةُ   بـه المـارقينَ ومـا قسَّـموا

وهـم يبتغـونَ دمـاً تلتقـي   عليـهِ القُلـوبُ وتسـتَلئمُ[3]

إلى أنْ صَـدَقْتَ لهـمْ ظَـنَّهم   فيـا لـكَ مـن غـارمٍ يَغـنَمُ

فهـمْ بـك أولى فلـمّا نَـزَل   كجَـذْرٍ عـلى عَـددٍ يُقسـمُ

وهـم بـك أولى، وإن رُوِّعَـت   ((عجـوزٌ)) عـلى فِلـذةٍ تلطِـمُ

وتكفُـرُ أنَّ السـما لم تعُـدْ   تُغيـثُ حَريبـاً، ولا تَـرْحَمُ[4]

---

[1] الهمهمة: الكلام الخفي.

[2] الأجذم: المجذوم المصاب بالجذام.

[3] تستلئم: تتجمع.

[4] الحريب: المحزون.

وأخـــتٌ تشُـــقُّ عليـــك الجيـــوب ... فيُغْـــرَزُ في صـــدرها مِعصَـــمُ[1]

تناشـــدُ عنـــك بريـــقَ النُّجـــوم ... لعلَّـــك مِـــن بينهـــا تـــنجُمُ[2]

وتَـــزْعُمُ أنَّـــك تـــأتي الصَّـــباحَ ... وقـــد كـــذَّبَ القـــبرُ مـــا تَـــزْعُمُ

ليَشْـــمَخْ بفقـــدِكَ أنـــفُ الـــبلاد ... وأنفـــي؛ وأنفُهـــمُ مُـــرغَمُ

***

أخـــي ((جعفـــراً)) بعُهـــود الإخـــاءِ خالصَـــةً بيننـــا أُقسِـــمُ

وبالـــدمع بَعـــدَكَ لا ينثنـــي ... وبـــالحُزنِ بَعـــدَكَ لا يُهـــزَمُ

وبالبيـــتِ تَغمـــرُهُ وحشَـــةٌ ... كقـــبرك يَســـأل هـــل تقـــدُمُ

وبالصحب والأهـلِ ((يسـتغربون)) ... لأنـــك منحـــرفٌ عـــنهمُ

يمينـــاً لتَنهَشُـــني الـــذكرياتُ ... عليـــك كـــما يَـــنهش الأرقـــمُ[3]

إذا عـــادني شـــبحٌ مُفـــرِحٌ ... تصـــدّى لـــه شـــبحٌ مـــؤلِمُ

وأنّي عُـــودٌ بكـــفِّ الريـــاح يســـأل منهـــا متـــى يُقصَـــمُ

أخـي ((جعفـراً)) وشـجونُ الأسـى ... ستَصـــرِمُ حـــبلي ولا تُصـــرَمُ[4]

أزحْ عـــن حَشـــاك غُثـــاءَ الضـــمير ... ولا تكتُمَنّـــي، فـــلا أكـــتُمُ[5]

فـــإنْ كـــانَ عنـــدَك مِـــن مَعتَـــبٍ ... فعنـــدي أضـــعافُه مَنْـــدَمُ

---

[1] الجيب: صدر الثوب.

[2] تنجم: تطلع.

[3] الأرقم: الأفعى.

[4] صرم: قطع.

[5] الغثاء ما يخالط الضمير من كدرة. وأزح: أي صرح.

وإن كنــت في مــا امتُحِنّــا بــه ... ومــا مسَّــنا قَــدَرٌ محكَــمُ
تُخَــرِّجُ عُــذراً يُســلّي أخــاً ... فأنــت المُــدِلُّ بــه المُــنعِمُ
عصــارةُ عُمــرٍ بشــتّى الصــنُوف ... مــليءٍ، كــما شُــحِنَ المُعْجَــمُ
بــه مــا أطيــقُ دفاعــاً بــه ... ومــا هــو لي مُخْــرِسٌ مُلجِــمُ
أســالتْ ثــراك دمــوعُ الشــباب ... ونــوَّر منــك الضــريحَ الــدمُ

بغداد، عام ١٩٤٨



يوم الشهيد

نظمت بمناسبة الذكرى الأربعينية لاستشهاد الشهيد ((جعفر الجواهري)) الذي جرح في معركة الجسر الشهيرة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨، واستشهد متأثراً بجراحه يوم ٤ شباط.

ألقى الشاعر قسماً منها، وهي لما تكمل في الحفل الذي أقيم في النجف لهذه الذكرى حول قبر الشهيد.

ألقاها، كاملة، في أول مؤتمر عام للطلاب العراقيين، نظمه اتحاد الطلبة العراقي العام في ١٤ نيسان ١٩٤٨، وأقيم في ((ساحة السباع)) ببغداد.

يـــومَ الشَّـــهيد: تحيـــةٌ وســـلامُ ... بـــكَ والنضـــالِ تـــؤرِّخُ الأعـــوامُ

بــك والضـحايا الغُـرِّ يَزهـو شـامخاً ... علـمُ الحسـاب، وتفخـرُ الأرقـامُ

بك والذي ضمَّ الثرى من طِيبهم ... تتعطَّـــرُ الأَرضـــونَ والأيـــامُ

بـك يُبعَـث ((الجيـلُ)) المحتَّمُ بعثُـه ... وبـــك ((القيامـةُ)) للطغـاةِ تُقـامُ

وبـك العُتـاةُ سيُحشرون، وجوهُهُم ... سُـودٌ، وحَشْـوُ أُنـوفهم إرغـامُ[1]

صَــفَّاً إلى صــفٍّ طَغامـــاً لم تــذُقْ ... مـا يجرَعـونَ مـن الهَـوان طَغـامُ[2]

ويُحـاصرونَ فـلا ((وراءٌ)) يحتـوي ... ذَنبـاً، ولا شُرَطـاً يحـوز ((إمـامُ))

وسيُســألون مَــن الــذين تســخَّروا ... هـــذي الجمـــوعَ كأنهـــا أنعـــامُ[3]

ومَــنِ اســتُبيح عــلى يَــديهم حقُّهــا ... هــدَراً، وديســت حرمــةٌ وذِمــامُ

ومَــنِ الــذين عَــدَوا عليـه فشـوَّهوا ... وجــهَ الحيــاة فكــدَّروا وأغــاموا

خَلَـصَ النعـيمُ لهـم فهـم مـن رقَّـةٍ ... و غضــارةٍ بــيضُ الوجــوه وِســامُ

وصـفا لهـم فَلَـكُ الصِبا فـتلألأوا ... فيـــه كـــما تَـــتَلألأ الأجـــرامُ

يتـدلَّلون عـلى الزمـان كـما اشتَهت ... شـــهواتُها قُـــبُّ البطـــون وِحـــامُ[4]

ومَـــداسُ أرجلهـــم ونَهْـــبُ نِعـــالهم ... شَـعبٌ مهـيضُ الجـانِحين مُضـامُ

---

[1] من الرغام: وهو التراب.

[2] الطغام: السفلة من الناس.

[3] تسخروا: أي سخروا بالضعيف.

[4] القب: جمع أقب وهو البطن الضخم. وحام: من الوحم وهو ما يعرض للمرأة الحامل من شهوة.

يُمسي ويُصبح يستظلُّ بِخِدْنِهِ — بَقَرِ الزَريبِ، ويرتَعي ويَنامُ
سيُحاسَبون، فإن عَرَتْهم سَكْتَةٌ — من خيفةٍ فستنطِقُ الآثامُ
سيُنَكسُ المُتذبذبونَ رقابَهم — حتّى كأنَّ رؤوسَهم أقدامُ

***

يومَ الشهيد! وما الخيالُ بسادرٍ — بئسَ الخيالُ تقودُهُ الأوهامُ[1]
الشعرُ – يا يومَ الشهيد – تجارِبٌ — وبلاؤُها، لا لؤلؤٌ ونِظامُ
كَذِباً يُخيّلُ أنَّ بارقةَ المُنى — تنجابُ منها وحشةٌ وظَلامُ
أو أنَّ بالنَّزر اليسيرِ من الدما — سيُبَلُّ من عطش الطُغاة أُوامُ[2]
أو أنَّ متعوباً ستَسْعى نحوَه — عمّا قريبٍ راحةٌ وجِمامُ[3]
حُسبانُ ذلك للشهيدِ خِيانةٌ — ولِما تَفَجّرَ من دمٍ إجرامُ
ولتلك مَدعاة سيُنصَرُ عندَها — عارُ النُكوص ويُخذَلُ الإقدامُ
ولَذاك إيهامٌ يضلِّلُ أُمةً — وسلاحُ كلِّ مضلِّلٍ إيهامُ
عَظُمت محاولةٌ وجَلَّ مرامُ — أفباليَسير من العَناء تُرامُ

***

يومَ الشهيد! طريقُ كلِّ مناضلٍ — وَعْرٌ، ولا نُصُبٌ ولا أعلامُ
في كلِّ مُنعَطَفٍ تَلوحُ بليةٌ — وبكُلِّ مُفتَرَقٍ يَدِبُّ حِمامُ
وحياضُ مَوتٍ تلتقي جَنَباتُها — وعلى الحياضِ من الوُفود زِحامُ

---

[1] السادر: المتحير.

[2] الأوام: شدة العطش.

[3] المتعوب: أراد به المتعب.

و قِبـاحُ أشـباحٍ لُمرتَعِـدي الحَشـا ... بَـرَمٌ بهـا، ولمحـرِبين هُيـامُ[1]

بـك بعـد مُحتَـدِمِ النضـالِ سـينجَلي ... ممّـا ابتـدأتَ مـن النِضـالِ ختـامُ

سـيُجازُ شَـهرٌ بالعَنـاء وآخَـرٌ ... ويُخـاضُ عـامٌ بالـدماء وعـامُ

سـتطيرُ في أفُـقِ الكفـاح سَـواعدٌ ... وتَطـيحُ في سُـوحِ الكرامـة هـامُ

ستَثور مـن رَهَـج اللُّهـاثِ عجاجـةٌ ... ويَهُـبُّ مـن وَهَـجِ الشَّـكاة قَتـامُ[2]

سـيُعالَجُ البـاغي بنَضْـحٍ مـن دَمٍ ... حتـى تُسَـكِّنَ شَـهوةٌ وعُـرامُ[3]

لا بُـدَّ مـن نـارٍ يـروح وَقودُهـا ... منّـا ومنـه غـارِبٌ وسَـنامُ[4]

وتُنـير منهـا الخـابطينَ دُروبَهـم ... مـن بعـدِ ذلـك جَـذوةٌ وضِرامُ

إذ ذاك يُصـبحُ بعـد طُـول مَتاهـةٍ ... بيـد الشُّـعوب مقـادةٌ وزِمـامُ

***

تبّـاً لدولـةِ عـاجزينَ تَوَهَّمـوا ... أنَّ ((الحكومـةَ)) بالسِّـياط تـدامُ

والوَيْـلُ للماضـينَ في أحلامِهـم ... إن فـرَّ عـن ((حُلـمٍ)) يَـروع مَنامُ

وإذا تفجَّـرت الصـدورُ بغيظهـا ... حَنَقـاً كـما تتفجّـر الألغـامُ

---

[1] المحرب: المحروب والحريب أي الذي نزل به الحرب وهو الهلاك والحرب أن يؤخذ مال الرجل كله.

[2] الرهج: الغبار، والقتام: الغبار أيضاً.

[3] العرامُ: القسوة والشدة.

[4] الغارب: ما بين السنام إلى العنق أو الكاهل.

وإذا بهـم عَصْـفاً أكـيلاً يرتمـي ... وإذا بـهـا ركنـوا إليـه رُكـامُ

وإذا بـهـا جَمْـعَ الغُـواةُ خُشـارةٌ ... ((وإذا عُصـارةُ كـلِّ ذاك أثـامُ))[1]

***

يومَ الشـهيدِ! لَسـوف تُعقِبُ في غـدٍ ... يومـاً تَحـارُ بكُنهـه الأفهـامُ

ولسـوف نَجهـل مـا يقِـلُّ بصُـلبِه ... قَـدَرٌ، ومـا تـتَـمَخَّضُ الأيّـامُ

ولسـوفَ يُصبحُ مـا نحـارُ بكُنْهـه ... إن حـانَ حِـينٌ، واسـتتم تمـامُ

أمـراً كـما قـالَ البديهـةَ قائـلٌ: ... ((النـورُ نـورٌ، والظـلامُ ظـلامُ))

***

إني لَيخنُقُنـي الأسَـى ويهُـزُّني ... مـا لاحَ طفـلٌ يجتَبـي وغُـلامُ

علـماً بـأنَّ دِمـاءَهم ليسـت لهـم ... وبأنهـا للجـائعينَ طَعـامُ

للنـاسِ بعـدَ اليـوم مِـيلادُ الفَتـى ... ومَماتُـه، ورَضـاعةٌ وفِطـامُ

يـومَ الشـهيد! بكـلِّ جارحـةٍ مشـى ... داءٌ تَعـاوَرَهُ الزَّمـان عُقـامُ

تَعِـبَ الأسـاةُ بـه، وجـافى أهلَـه ... يأسـاً نِطـاسيٌ بـه عَـلاّمُ[2]

وتَعَسَّـرَ الإبـلالُ حتـى تَنتَفـي ... منـه الجـذورُ، وتُقطَـعَ الأجـذامُ[3]

يومَ الشهيد! بـك النُّفـوس تفتَّحـت ... وَعيـاً، كـما تَتَفَـتَّحُ الأكـمامُ

كـادَ الضـعيفُ يشُـكُّ في إيمانـه ... والصـبرُ كـاد يَشُـلُّهُ استسـلامُ

---

[1] الخشارة: الرديء من كل شيء والعجز تضمين من بيت لأبي النواس.

[2] الأساة: جمع آسٍ وهو الطبيب. والنطاسي: الحاذق الماهر.

[3] الأجذام: جمع جذم (بكسر الجيم)، وهو الأصل.

طـاح الــبلاءُ بخـائرٍ في مَعــرَكٍ أشِــبٍ تطـيشُ بهَولـه الأحــلامُ[1]
وانجـاب عــن مـتردِّدين طِلاؤُهـم وانــزَاحَ عــن مُتربِّصـينَ لِثـامُ
وأُغِصَّ قومٌ بالسكوت، وأفصَحَتْ عــن غـير مـا عُرِفَـت بـه أقـوامُ
وتمسَّـــك المتشبِّثــون بجـــاحمٍ جَمَراتُـــه تُشــوى بهـــا الأقـــدامُ
وتـــراكم الصـبرُ الجميـلُ بسـاحةٍ مـــن حولهـــا تـــتراكمُ الآلامُ

* * *

شـعبٌ يُجـاعُ وتُسـتَدَرُّ ضروعُـه! ولقـــد تُمـــارُ لتُحلَــبَ الأغنـــامُ[2]
وأُمِـــدَّ للمُســـتهترَين عِنـــانُهم في المُخزِيـات فـأرْتَعوا وأسـاموا[3]
و تَعَطَّـلَ الدسـتورُ عــن أحكامــه مــن فَـرطِ مــا ألــوَى بــه الحُكّــامُ
فـــالوعيُ بَغـــيٌ، والتحـــرُّرُ سُـــبَّةٌ والهَمْــسُ جُــرْمٌ، والكــلامُ حَــرامُ
و مُـــدافِعٌ عـــما يَـــدينُ مُخـــرِّبٌ و مطالِـــبٌ بحقوقِـــه هـــدّامُ

* * *

ومشَـى بأصـلاب الجمـوعِ يهُزُّهـا الجَهـــلُ والإدقـــاعُ والأســـقامُ
وهَـــوَت كرامـــاتٌ تولَّـــت أمرهـــا خِطـــطٌ، تـــولّى أمرَهـــا إحكـــامُ

---

[1] الأشب: المختلط.

[2] تمار: تقات وتغذى. والمعنى أنه حتى الأغنام والمواشي تقات وتغذى جيداً قبيل أن تحلب.

[3] ارتعى وأسام: بمعنى رعى.

فكرامــــةٌ يُهــزى بهــا، وكرامــةٌ يُرثــى لهــا، وكرامـــةٌ تُســتامُ[1]

وانصــاعَ يغــزُو أهلَــه وديــارَه جــيشٌ مــن المتعطِّلــين لُهــامُ

وتَصــافَقَت حُجَــزٌ عــلى مُتحــرِّرٍ ومفكِّــرٍ فتحطَّمــت أقـــلامُ

ولكـــلِّ مُحْتَطِــبِ الخنــا مَداحــةٌ ولكـــل مُمتــدَحِ النثــا شَــتّامُ[2]

***

ومُعاتَــبٍ والسَّــوط يُلهِــبُ ظَهــرَهُ ومعــــذَّبٍ بجراحــــه ويُــــلامُ

ممـــا أشـــاعَ البَغـــيُ مـــن إرهابــه وبها استُطيبَ الخَوفُ والإحجامُ

ومطـــارَدون تعجَّلـــوا أيّـــامَهم ومشـرَّدون مـــن المذلَّـــةِ هـــاموا

ومشــكِّكون وقــد تعاصَــت مِحنــةٌ صَلُّوا على شَرَفِ الخلاص وصاموا

***

ولقــد تَرقْــرَقَ في العُيــون تســاؤلٌ وعــلى الشــفاه تحــيَّرَ اســتِفهامُ

أعَفــا القَطــينُ فــما بــه مُتَــنَفَّسٌ وخَــلا العَــرينُ فــما بــه ضِرغــامُ؟

أفوعــدُ مُرتقِــبِ ((القيامــةِ)) خُلَّــبٌ وبريق مُنتظِرِ ((النُشــورِ)) جَهــامُ؟[3]

أو يكثُــرُ الأبطــالُ حــين سِــلاحُهم بــين الجمــوعِ قَصــيدةٌ وكَــلامُ؟

---

[1] استامه: سامه ذلاً.

[2] النثا: ما أخبرت به عن الرجل شراً أو خيراً.

[3] الجهام من السحاب: الذي لا مطر فيه.

فإذا استحرَّ الخطبُ واحتَدَمَ الأذى ذابـوا، فـلا بطـلٌ ولا مِقـدامُ[1]

أفـلا تكـون مغـارةٌ؟ أوَ مـا انتَهـى مـا قَعْقَـعَ الإسراجُ والإلجـامُ؟

أعـلى ضـمير المخلصـينَ غِشـاوة وعـلى فَـم المتحـرِّرين لجـامُ؟

حتـى إذا قَـذَفَ الحمـى بحُماتِـه ورَمَـت بأشـبالٍ لهـا الآجـامُ[2]

وتنـافَسَ ((الفـادُونَ)) لم يتمنَّـوا فضـلاً ولم يُبطـرْهُمُ الإنعـامُ

وجـدوا عِتابـاً للـبلاد فـأعتَبوا و ملامـةً لشـبابها فـألاموا[3]

ومَشـوا إليهـا يـدعَمون صـفوفَها بصُـدورهم، إذ عـزَّهن دِعـامُ

حَمَلوا الرصاصَ على الصدور وأوغلوا فعـلى الصـدور مـن الـدِماء وِسـامُ

تـابَ الغَـويُّ وثـاب كـل مشـككٍ إنَّ الحمـى مـن فوقـه قَـوّامُ

نَكِـروا النفـوسَ وفجَّـروا أعراقَهـا صَـمْتاً، فـلا صَـخَبٌ، ولا إرزامُ

وأبَـوا سِـجامَ الـدمع شـيمةَ نـائحٍ فلهـم دمـاءٌ يغتلـينَ سِـجامُ[4]

ناموا وقـد صـانُوا الحمـى، ومعـاشِرٌ تَركـوا الحِمـى للطارئـات ونـاموا

***

يـومَ الشـهيد: وكـلُّ يـوم قـادمٌ سـتُريهِ كيـف الجـودُ والإكـرامُ

دالَ الزمـانُ وبُـدِّلَتْ نُظُـمٌ بـه ولكـلِّ عصـرٍ دولـةٌ ونِظـامُ

---

[1] استحر الخطب: اشتد وعظم.

[2] الآجام: جمع أجم وهو الغاب والشجر الكثيف.

[3] ألاموا: بمعنى لاموا.

[4] السجام: الدمع الغزير.

ومَضَى الحُداةُ ((بحاتِمٍ))ويرهطه	وتبدَّلَت لمكارِمٍ أحكامُ
فهُمُ وقد حَلَبوا ((الصَريحَ)) أماجدٌ	وهُمُ وقد عَقَروا ((الجَزور)) كرامُ[1]
وهمُ لأنَّ الضيفَ يَنزِلُ ساحَهم	للفقر في ساحاتِهم إلمامُ[2]
وأتى زَمانٌ من مكارِمِ أهلِه	السَجْنُ والتشريدُ والإعدامُ
والسَّوط يحترِشُ الظهورَ ووقعُه	في سَمع مُحترشٍ به أنغامُ[3]
وكأنَّه ((للمُستغيث)) إغاثةٌ	وكأنَّه ((للجائعينَ)) إدامُ[4]
جيلٌ يرى أنَّ الضيافةَ والقِرى	للطارئات الصبرُ والآلامُ
يَقرونَ جائعةَ البلاد نفوسَهم	فلها لحومٌ منهُمُ وعظامُ
ويُرونَ ضيفَهُمُ الكرامةَ تُزدَرى	والحقَّ يُغصَبُ، والديارَ تَضامُ
يتقامَرون على المنايا بينَهم	حُمْراً، فلا الأيسارُ والأزلامُ[5]

* * *

لاهُمَّ عفوَكَ، لا الشجونُ قليلةٌ	عندي، ولا أنا أخرسٌ تمتامُ
قلبٌ يذوبُ أسىً، وشعرٌ كلُّه	ضَرَمٌ، وبيتٌ كلُّه آلامُ

---

[1] الصريح: الخالص من اللبن. الجزور: الناقة المذبوحة.

[2] ألم: نزل.

[3] يحترش: يريد به يلهب الظهور.

[4] الإدام: الطعام.

[5] يتقامرون: يتسابقون. الأيسار والأزلام: القداح التي يضرب بها الجاهليون يستطلعون بها الفال.

أخنى بوحشتِه على جيرانِه وهَفا به، رعباً، فطارَ حَمامُ

ويكادُ يشهَق بالعَويل بَلاطُه ويَصيحُ بالألم الدفينِ رُخامُ

ودمٌ أريق على يَدَيَّ يهُزني هَزَّ الذَبيحِ وقد عَلاهُ حُسامُ

وخبيئةٌ في الصدرِ نَفثُ دُخانها حَرَجٌ، وكَبْتُ أُوارها إيلامُ

لا هُمَّ ما قَدْرُ البيان إذا انزَوى عنه الضميرُ، وعقَّه الإلهامُ

وإذا استَوى فيه الثكولُ وغيرُهُ والساهرونَ الليلَ والنُّوامُ

أكبرتُ شعري أنْ تُهينَ كريمَهُ غُفُلٌ تضيق بها الرُّعاةُ سَوامُ[1]

أو عائشونَ على الهوامشِ مثلما يَنفي فُضولَ الصورةِ الرَّسّامُ

والمُمتلونَ كأنَّهم كلُّ الدُّنى والفارِغونَ كأنَّهم أصنامُ

والصادِعونَ بما يَرى مُستعمِرٌ فهُمُ متى يأمرْهُمُ خُدّامُ

والمُولَعونَ بفاجراتِ مَطامعٍ فلهمْ قُعُودٌ عندَها وقِيامُ

ماذا يُحطِّمُ شاعرٌ من صاغرٍ أخنى الهوانُ عليه فهو حُطامُ

لكنْ بمختلطينَ في نيّاتهم شُبُهاً، فلا وَضَحٌ ولا إبهامُ

من كلِّ هاوٍ بُرجُه وكأنَّه قَمَرٌ على كَبِدِ السَماءِ تَمامُ

يؤذيهِ أنَّ الشمس تطلُعُ فوقَه أو لا يظلِّلَ وَجْنَتَيْهِ غَمامُ

الليلُ عندَهمُ التَعِلَّةُ والمُنى فإذا استطالَ فَسَكرةٌ ومُدامُ

---

[1] غفل وسوام: من صفات الدواب المهملة التي لا قيمة لها ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخشى شره ولا حسب له.

وإذا النهارُ بدا فكلُّ حديثِهِمْ عنه بكيفَ تفسَّرُ الأحلامُ

حتى إذا حَميتْ وغيٍّ وأدارها كأساً ((إياسٌ)) مرةً و ((عصامُ))

وتلقَّفتُهمْ كالرَّحى أشداقُها مَضْغاً هُمامٌ يَقتضيه هُمامُ[1]

زَحَموا الصُّفوفَ ((مشيِّعين)) كأنَّهم بينَ المواكبِ قادةٌ أعلامُ

ومَشَوا على جُثَثِ الضَّحايا مثلَما يمشي بمقتنصِ النَّعامِ نَعامُ

ثم استداروا ينفُخونَ بطُونَهم نَفْخَ الطُّبول، وأقعدوا وأقاموا!!

***

يومَ الشهيد: وما تزال كعهدِها هُوجٌ تدنِّسُ أمةً ولئامُ[2]

قَصَروا عن العَليا فلم يتناوَشوا ما احتازَ منها فارعونَ جِسامُ[3]

وتقطَّعتْ بالمكْرُماتِ حِبالُهم وبها ابْتَنَتْ هِممٌ فهُنّ رِمامُ[4]

وعناهُمُ أخذُ الكِرامِ عِنانَها من بعدِ ما داروا عليه وحاموا

وتجاهَلوا أنْ ليس تربُ مسامحٍ بدمائِه نَهّازةٌ غَنّامُ

---

[1] شرط الحرب يقتضي أنِ يقابل همام هماماً. ولكن هؤلاء لا يعرفون هذا الشرط لأنهم – كما سياتي – لئام جبناء.

[2] الهوج: جمع الأهوج وهو الأخرق الأحمق.

[3] يتناوشون: يتناولون.

[4] الرمام: جمع رمة، بضم الراء وكسرها – القطعة من الحبل البالية.

وبـــأنَّ أُمَّـــاتِ المـــآثرِ بـــرَزةٌ — عملاقـــة، وبـــأنهمْ أقـــزامُ[1]

فهُـمُ وقـد ذَكَـتِ الحـزازةِ عنـدهم — ((كوبٌ)) من الحقد الـدفين وجـامُ

يُســقَوْنَ جَـذوتها وفـيها يجـتلي — تِــربُ النَـدى لأُوارِهـــا إضرامُ

حتــى إذا ألقـى الكـريمُ بوجهـه — فتمايَـــــزَ الإشراقُ والإظـــــلامُ

وتَضَــوَّرَتْ جُوعـاً فلـم تَـرَ عنـده — مــا تأكُــلُ الأوغــارُ والأوغــامُ[2]

ومشى الفَعـال لهـم صَريحاً لم يَشُبْ — آياتِــــه عِـــيٌّ، ولا إعجـــامُ

وتَخارَسـوا وعَمُـوا فمـلءُ عُيـونِهِمْ — رَمَــدٌ، ومــلُّ حُلـوقِهِم إفحـامُ

لجأوا إلى ((الأنسابِ)) لـو جَـلَّى لهـم — ((نَسَب)) ولو صَدَقَتْ لهـم أرحـامُ

وتنـــابَزُوا بالجاهليـــة شَـــجَّها — من قبل نورُ ((الفكر)) و((الإسلامُ))[3]

فـــأولاءِ أعـــرابٌ! فكـــل مُحَـــرَّمٍ — حِــلٌّ لهــم! وأولــئِكمْ أعجـامُ

وأولاءِ ((أغـــمارٌ)) فـــلا رأسٌ ولا — كَعـــبٌ ولا خَلـــفٌ ولا قُـــدامُ[4]

وأولاءِ ((أشرارٌ)) لأنَّ شـــعارهم — بـــين الشُـــعوب محبَّـــةٌ وســـلامُ

---

[1] البرزة من النساء الكاملة العظيمة. أمات المآثر – هنا – أهل الفضل.

[2] الأوغار جمع وغر (بالتحريك) وهو الحقد. والأوغام: جمع وغم (بسكون الغين) وهو الترة والحقد والغيظ.

[3] تنابزوا: تعايروا. شج: قطع وحرم.

[4] الأغمار: جمع غمر وهو الرجل من سواد الناس.

وكأنَّ ((أرحاماً)) تُرَصُّ! فريضةٌ ... وكأنَّ ((أفخاذاً)) تُلَزُّ لِزامُ[1]

وكأنَّ من لم يَحْوِ تلكَ وهذه ... – وإنِ استقامَ – بهيمةٌ وسَوامُ

نُكرٌ لو استَعلى، لما استَعْلَت يَدٌ ... بالعُروة الوثْقى لها استِعصامُ

ولما تَمايَزَتِ النُّفوسُ بخَيرها ... وبشرِّها، ولما استَتَبَّ نِظامُ

لزَكا ((أبو لَهَبٍ) وكان مُرَجَّماً ... ودَنَا ((صُهَيبُ)) وإنَّه لإمامُ

قَبَليَّةٌ يلجا إليها مُقْعَدٌ ... لا الحزمُ يُنجده ولا الإعزامُ[2]

وبها تَسَتَّرَ عن صَغارةِ نفسِهِ ... خَزيانَ يأكُلُ زادَهُ ويَنامُ

بل قد تَفَيَّأ ظِلَّها مَنْ حَطَّهُ ... نَسَبٌ يَسُومُ رخيصَهُ المُستامُ

من كلِّ مُعدٍ في الصَغارِ كأنَّه ... جَرَبٌ تُخاف شُذاتُه وجُذامُ[3]

((سلمانُ)) أشرفُ من أبيكمْ كعبُه ... و((عِصامُ)) ما عَرَفَ الجدودَ عِصامُ[4]

و ((محمدٌ)) رَفَعَتْ رسالةَ ربِّه ... كَفّاهُ، لا الأخوالُ والأعمامُ

ولقد يُذِلُّ مُسَوَّداً أعقابُه ... ولقد يسودُ عشيرةً حَجّامُ[5]

***

---

[1] لزه: شده وألصقه.

[2] الإعزام: يريد به العزم، من تنبيهات الشراح في ((طبعة بغداد)).

[3] الشذاة: الحدة، وهي هنا حدة الحرب وشدتها.

[4] سلمان: سلمان الفارسي. وعصام مصدر الثناء على العصامية لمحاً للبيت الشهير:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والإقداما

[5] المسود: الذي أعطيت له السيادة.

أأُخـيَّ: لـو سمِع النداءَ رُغامُ ... ولـو استجابَ إلى الصريخِ حِمامُ

منِّي عليك تحيةٌ وسلامُ ... ولذكركِ الإجلالُ والإعظامُ

والله لولا طائفٌ من سَلوةٍ ... ولُمامةٌ من مُسكةٍ تَعتامُ[1]

ورسالةٌ ندعو لها وأداؤُها ... فرضٌ، ورَعْيُ حقوقِها إلزامُ

وبَنيّةٌ للسالكين طريقَهم ... والقادمين على الطريق تُقامُ[2]

ودعاةُ حقٍّ يخرجونَ سواهُمُ ... عارٌ إذا لزِموا البيوتَ وذامُ

لعكفْتُ حولَك لا أريمُ ولم يكن ... إلا بحيث أقمتَ أنت مُقامُ

يا نائماً والموتُ ملءُ جُفونِه ... أعلمتَ من فارقتَ كيف ينامُ؟

ومُلائماً بيدِ المَنونِ جِراحَه ... جُرحُ المُقيم عليكَ لا يلتامُ[3]

قد كنتَ تقدِرُ ان تُظلَّكَ بهجةٌ ... ونَضارةٌ، لا ظُلمةٌ ورَغامُ[4]

أو أن يرِفَّ عليك في رَيْعانِه ... هذا الربيعُ – كوَجهِك – البسامُ

لو شِئتَ أعطتكَ الحياةُ زِمامَها ... ولها على كفِّ الشَباب زِمامُ

لِتَضُمَّكَ الغُدرانُ في أحضانها ... و تُقِلَّكَ الهَضَباتُ والآكامُ

و شقيقُك القَمرُ المُدِلُّ بلُطفه ... نَشْوانُ، يصحو تارةً ويُغامُ

---

[1] مسكة: بقية. تعتام: تعرض وتمنع.

[2] بنية: بناء يكون علامة ومناراً للهداية.

[3] ((مُلائِماً)): أي مضمداً ومداوى.

[4] الرغام: التراب.

لو شئتَ، عن شرفٍ أردتَ فِصدْتَه   بَدَلاً، لكانت صبوةٌ وغَرامُ

ولجئتَ مُقتَنصَ الشباب ولارتمَتْ   مِن حَولِكَ الظبياتُ والآرامُ

لو شئتَ؟ لكن شاءَ مجدُك غيرَها   فتلقَّفَتْكَ من الثرى أكوامُ

رَدَّ البُكاءَ عليكَ أنَّكَ قائدٌ   -ولو استبدَّ بك الثَّرى- وإمامُ

تمشي الجموعُ على هُداك كما هَدى الضُّلالَ برقٌ في الظلام يُشامُ[1]

لو غيرُ ذاك أطاحَ رأسَك لارتَمى   بِشِراك نعلِكَ طائحاً ((هَمّامُ))[2]

ولما استَقَلَّ برأس ((مُرةَ)) خِنصِرٌ   لكَ، واستفادَ بوجهه إبهامُ

***

قد كانَ يَعطِفُني عليك مَلامُ   أنْ لو ذخرتُكَ أيها الصِمصامُ

أن لو سلمتَ فلا شَباكَ مُزنَّدٌ   أسفاً، ولا حَدّي عليك كَهامُ[3]

لو لم تُجبني من رُفاتك هَامةٌ   صبراً جميلاً أيها اللُّوامُ[4]

ما كنتَ ((نَحّاماً)) بنفسِك للورى   أفأنت بي من أجلهم نَحّامُ[5]

---

[1] شام: لمح، رأى.

[2] إشارة إلى همام بن مرة في حرب البسوس.

[3] الشبا: حد كل شيء وكأنه يقصد الرمح - مقابلة للسيف في عجز البيت-. والمزند: المقصر، وهو هنا: الباخل بالأسف والحزن. والكهام: السيف الكليل (الذي لا يقطع).

[4] الهامة: في أساطير العرب طائر يلازم قبر القتيل لا يفارقه حتى يؤخذ بثأره.

[5] النحام: البخيل.

نحن الضَحايا: للشعوب فَقارةٌ ولكلِّ ما يبني الشعوبَ قِوامُ[1]

هذي القُبورُ قنابرٌ مَبثوثة لُكابرٍ، وحفيرُها ألغامُ

ما كانَ جيلٌ تستقيمُ قناتُه إلا ومَوتٌ يستقيمُ زؤامُ

فالثُكْلُ والعَيْشُ السَويُّ سَويةٌ ودَمُ الضحايا والحياةُ تُؤامُ[2]

***

يومَ الشهيد! ونعمتَ الأيامُ لو تستتِمُّ أخوَّةٌ ووِئامُ

لو يَرْعَوي المتنابذونَ وكلُّهم بهُمومِهم وشُعورِهم، أرحامُ

ولوِ التقى من بعدِ طُولِ تَفَرُّقٍ الشيخُ والقسِّيسُ والحاخامُ

ولو اتفقنا كيف يهتِفُ هاتِفٌ فينا، وكيفَ تُحرَّزُ الأعلامُ!

وبِمن يقودُ الزاحفينَ أخالدٌ ومحمدٌ، أم أحمدٌ وهِشامُ؟

هي أمةٌ خافَ الطُّغاة شَذاتَها فسَعوا بها، فإذا بها أقسامُ[3]

وإذا بها والذلُّ فوق رؤوسها قُبَبٌ له مَضروبةٌ وخِيامُ

يحتازُها والجوعُ ينهَشُ لحمَها! باسم ((الرغيف)) مَعرَّةٌ وصِدامُ

بغداد، عام ١٩٤٨

---

[1] الفقارة: خرزة الظهر التي يستقيم بها، وقوام الشيء: مادته ونظامه.

[2] التؤام: جمع التوأم.

[3] الشذاة: الحدة.

دم الشهيد

(في وثبة كانون)

خُـذوا مــن يَـومكم لغـدٍ مَتاعـا | وســيروا في جهـادِكُمُ جماعـا
وكونـوا في ادِّراء الخطـب عـنكم | يـداً تَبني بهـا العَضُـدُ الـذِّراعا
ذروا خُلفـاً عـلى رأيٍ ورأيٍ | إلى أن يُلقـيَ الأمـرُ القِناعـا
وخَلُّـوا في قيـادتكم حكـيماً | يـدبِّرُها هُجومـاً أو دِفاعـا
رحيـبَ الصَـدر ينهضُ بالرزايـا | ويُحسـنُ أن يُطيـع وأن يُطاعـا

***

حملـتم ثِقْـل جـائرةٍ عسـوفٍ | تميـل بمـن يحاولُها اضـطِلاعا
ونـادَيتم بذائعـةٍ هَتـوفٍ | نَمـى خَـبَرٌ بهـا لكُـمُ وذاعـا
تعلَّقـتِ العُيـونُ بهـا احتفـاءً | وأُتلِعَـتِ الرقـابُ لهـا اطِّلاعـا[1]
وأوجفـتِ الشـعوبُ عـلى صـداها | وقـد عـابَ العِيـانُ بهـا السَّماعا[2]
تـراهِنُ بينهـا عـن كـلِّ شَـوط | بحلْبـتكم، وتَقْـتَرِعُ اقتراعـا
فقـد وعَظْـتُكُمُ سُـودُ الليـالي | ولم تعـرفْ بـما تعِـظ الخـداعا
بـأنَّ أشـقَّ مُطَّلَـبٍ رأتـه | ضـعيفٌ طالـبٌ حقـاً مُضـاعا
فـلا تكِلـوا الأمـورَ إلى قضـاء | فـما كـانَ القضـاءُ لكـم رَضـاعا

---

[1] أتلعت الرقاب: امتدت واستطالت.

[2] أوجفت: أي أسرعت، وحثت خطاها, أوجف الفرس: إذا أسرع.

***

ولا تنسَوا بأنَّ لكمْ عدوّاً ... طويلاً، في ازدراع الخُلفِ، باعا

يُلوِّي كلَّ يومٍ من قناةٍ ... ويبتدِع الشِّقاقَ بها ابتِداعا

وأنكمُ بكَعْبِ السوطِ منكم ... قَرَعْتُم ((رأس)) مَن سنَّ القِراعا

قَرَعْتُم رأسَ مختَبِطٍ رؤوساً ... مماكرةً، ومالكَها صُداعا[1]

مسكتُمْ من خِناقة أفعوانٍ ... شديدِ البطش يأبى الانصِراعا

تَعاصى والدُّنى من كل حَدْبٍ ... تهزُّ الصُّلْبَ منه والنُّخاعا

فمُدوا كفَّكُم هَوناً فهَوناً ... و جُرّوا منه أنياباً شِناعا

وفكُّوا شِدْقَ مُؤتذِبٍ خَبيث ... وسُلُّوا حَقَّكم منه انتِزاعا

***

ولا تَنْسَوا بأنَّ له عبيداً ... شَراهم بابتسامته وباعا

حَباهم شرَّ ما يُجبى خَؤونٌ ... يُغذِّي من كرامته الطِّماعا

وعوَّضَهم عن الشَّرَفِ المُبَقّى ... حُطامَ المالِ يذهَبُ والضِّياعا

أحلَّ لهم دماءَكمُ مَخاضاً ... وبوَّأهم ((حقوقكمُ)) رباعا[2]

وملَّكهم رقابَكم فآبٍ ... تَمَلَّكَها، وذو خَوَرٍ أطاعا

فسقُّوهم بكأسهمُ دِهاقاً ... ذُعافَ الهَون والذلِّ اجتِراعا[3]

[1] المختبط: الضارب.

[2] رباع: جمع ربع أي جعل حقوقكم ملكاً لهم.

[3] الدهاق: الممتلئة، ذعاف وصف للسم وهو القاتل.

وجُـرّوهم عـلى حَسَـك الخطايـا ... ورُدُّوا كَيْـدَهُم بالصـاع صـاعا[1]

وزيـدوا بالـدم العَبِـق اتشـاحاً ... وبـالوحي الـذي يُـوحِي ادِّراعـا

وكـانوا في احتراشِـهمُ ذئابـاً ... فكونـوا في ضَراوتكـمْ ضِـباعا[2]

***

شَـبابَ اليَـوم إن غـداً مَشـوقٌ ... يَمُـدُّ لكـم ليَحضُنَـكم ذِراعـا

يُمـدُّكُمُ بـروح مـن خُطـوبٍ! ... تعـوَّدَ أنْ يَمُـدَّ بهـا الصِراعا

وأنْ يعْتـاضَ عـن جيـلٍ بجيـلٍ ... بهـا، ويفـضَّ بيـنهما النزاعـا

رصاصُ البَغـي يفجُرُكم ليجري ... دمٌ يَزْكـو بـه الـوطنُ ازدِراعـا[3]

ويُخصِب مـن رياضِ المجدِ حقلٌ ... يُـراح القـادمونَ! بـه انتِجاعـا[4]

و ((سَـوطُ)) الفـاجرينَ يُعيدُ لحنـاً ... لـه تـترنَّحُ الـدنيا اسـتِماعا

وقَعرُ السجن حيثُ مشتْ ((فرنسا)) ... مـن ((البسـتيل)) ترتَفِـعُ ارتفاعـا

وألـوانٌ مـن ((التعـذيب))! تُهـدي ... سجلَّ ((الثـورة)) الكـبرى شُـعاعا

وأشـباحٌ تُـراوحُكم قِبـاحٌ ... تَـروعُ حَصاتَـكم سـاعاً فسـاعا[5]

هـي الأشـباحُ مـن عهـد تَرامـى ... عـلى عهـد فترتجـفُ ارتياعـا

---

[1] الحسك: الشوك.

[2] الإحتراش: الصيد.

[3] الإزدراع: الزرع.

[4] يراح: ينزل به القادمون طلباً لخيره.

[5] الحصاة: العقل والحلم.

***

شـبابَ اليـوم إنكـمُ ثـمارٌ سـيقطفُها الغـدُ الآتي سِراعـا

جَنـى جيـلٌ يعبِّـىءُ للرزايـا مصـايرَه وللـذُّلِّ اقتناعـا

عـلى جيـلٍ كـأنَّ عليـه مما بَنـى البـانون مـن وِزْرٍ قِلاعـا

بـذَوْبِ الفكـر يفتـح القَضـايا و يخْتِمهـا بمهجتـه انـدفاعا

***

دَمَ ((الشـهداء)) لا تـذهَبْ هبـاءً ولا تجمُـدْ بقارعـةٍ ضَـياعا[1]

ولا تشـكُ الظِـماء فـإن فينـا دمـاءً سـوفَ تشـربُها تِباعـا

ولا تَخَـلِ الجفـاءَ فلـم تُغَيَّـبْ يـدٌ تُرعـى، ولا ذِمـمٌ تُراعـى

فـما كَـدمِ ((الشـهيدِ)) إذا تَنـادى كثـيرٌ نـاصِروهُ وإن تَـداعى

ومـا تـهَبُ الصـنائعُ للبَرايـا كما يَهَبُ ((الشهيد)) لها اصطِناعا

أنفَقِـدُكم! ولا نَرعـى حفاظـاً وتَرعـى البيـتَ فاقِـدةٌ صُـواعِا[2]

إذِن! فالثـأرِ نَنشُـدُه كِـذاباً وصـوتُ الحـق نسـمعهُ خِـداعِا

إذن! فسَيوسِـعُ التـاريخُ رجمـاً كِلَينا، مَنْ ((أطَلَّ)) ومَنْ أضاعا[3]

ونحـن –إذن– نَسـومُ دمـاً زكيّـاً بعاجلـةٍ شِراءً وابتِياعـا

---

[1] القارعة: للدار ساحتها، وتستعمل للطريق.

[2] الصواع: إناء للشرب.

[3] من أطل: أي من هدر دماء الشهداء، من طل الدم وأطله.

فأيُّ ((زَكاً)) يُصان -إذن- ويُقْنى ... وأيُّ شَذاة طُهرٍ لن تُباعا[1]

ونحن -إذن- على الأشلاءِ نُزجي ... رغائبنَا! ونُسمنُها رِتاعا[2]

فليتَ الحزنَ تُطبِقُ فوق سالٍ ... سحابتُه، وتأبى الانقشاعا

وليتَ الليلَ يغمرُه دخاناً ... وليتَ الصبحَ يُمطرهُ التياعا

وليت مُنىً يُراودها فِجاراً ... تُعاوِده لتنهَشَه ضِباعا

وليتَ ضميرَه يثب افتزاعا ... من الذكرى وينتفِضُ التذاعا

وليتَ العارَ يبرحُ مستفيضاً ... سريرتَه اصطيافاً وارتِباعا

وليتَ أمامَ عَينيه احتراقاً ... جَرى كالشمع حاضرُه وماعا

وليتَ خيالَ ماضيه مَسيخاً! ... يَلوح على ملامِحه انطِباعا[3]

***

دمَ ((الشهداء)) أنتَ أعزُّ مُلكاً ... وقاعُك أشرفُ الدنيا بِقاعا

وأنت الخُلدُ بالأنهار يَجري ... وبالمِسك انتَشى أرَجاً وضَاعا[4]

دمَ الشهداء كنتَ النارَ شبَّتْ ... على الباغين تندَلِعُ اندلاعا

---

[1] الزكا: النماء اي المال، يقنى: يقتنى. وشذاة الطهر: جوهر الطهر واسماه.

[2] الرتاع: الشبع والرغد في العيش.

[3] المسيخ: المشوه.

[4] الأرج: الرائحة الطيبة. وضاع: انتشر.

تلُفُّ طَغامَهمْ نِكساً فنِكساً إلى يَومٍ تَلفُّهُمُ جِماعا[1]

إلى يومٍ تُطيحُ بما أقاموا وما اختطُّوا فتَنسِفُهُ اقتِلاعا

***

دمَ ((الشهداء)) إهدِ الجمعَ يُبصرْ طريقاً منك يزدَهِرُ التِماعا

أهِبَّ له الحواضرَ والبوادي وعرِّفْه المَشارفَ والتِلاعا[2]

متى يَقْحَمْ قِطاعاً من شُرور فأقحِمْه بسَوْرتِهِ قِطاعا

وسدِّد من خُطاه إذا توانى وجدِّدْ من قُواه إذا تَداعى

وكنْ - إن لفَّه ليلٌ - شُعاعاً وان طال الطريق به، مَتاعا

دَفعتَ بما استَطَعتَ الضُّرَّ عنه فَزِدْهُ ما اسْتَطَعْتَ بكَ انتفاعا

وزِدْهُ ما استطعتَ لك انصِياعا وعما يُغضِبُ الوطَنَ امتِناعا

وزِده في الخُطوب بك اعتِزازاً وحَوْلَ شعارِك الألِقِ اجتماعا

وكُنْ في ما اندفَعْتَ شِعارَ جيلٍ حثيثِ الخطو يأبى الإرتِجاعا

وأعلِنْ بانفطامِك عن شَبابٍ به يتعلَّلُ الشيخُ ارتِضاعا

عن الشهوات في الحكمِ ازدجاراً وعن حُكمٍ يُلاثُ بها ارتِداعا

***

دمَ ((الشهداء)) مهما اسطَعْتَ فادفَع وحَسْبُ الحُرِّ جُهداً ما استطاعا

---

[1] النكس: الحقير.

[2] أهبه: هزه ونبهه.

إلى الغَمَــــرات أفئـــــدةٌ تَنَــزّى من ((الغَمرات)) تَخْشى الانخِلاعـا

تُحِــبُّ المــوتَ تغمــرُهُ التحايـــا وتــأبى أن تطــيرَ بـــه شَـــعاعا[1]

وتَخْشــى الخُلْــدَ، مُفْزَعــةً، نفوســاً وتهـــواه، مُكرَّمـــةً طِباعـــا

ومـا انفكـت عـلى رِجْـلٍ وأخـرى تُخالِفُهـــا نُكوصـــاً وانصِـــياعا

فأكرِهْهـــا وقُـــل ســيري بسَــوطٍ يُـدَمّي مـن أبـى سَـيْراً وطاعـا[2]

بسَـــوْطٍ مـــن جُلُـــودٍ مُلزَمـــاتٍ بهَـدْي النـاس يُقتَطَـعُ اقتِطاعـا

تَوَكَّـلَ أن يســودَ النـــاسَ حكــمٌ يُسـاوي مـن أُجيـعَ بمـن أجاعـا

ويُسـقطُ مـن شِـفاهِهمُ ((سَـواداً)) ويمحُـو مـن مَعـاجِمِهم ((رَعاعـا))

***

وقُـلْ سِـيري ولا تقفـي انتِكاصـاً وأنـتَ فَسَـلْ ولا تقـفِ انقِطاعـا[3]

وقُــلْ ســيري فــما يَعْيــا دليــلٌ حَـدا مَـنْ قَـبلكُمْ فَهَـدى وضـاعا

وقُـلْ سـيري اتبـاعَ أخـي افتِـداءٍ مَشَـت مِـن خَلفِـه الأُمَـم اتباعـا

جلبتُ لهـا ((السُـمُوَّ)) فأوسـعتني مـن النُّــكران مـا يصِـمُّ اتضـاعا

وذُقْــتُ الوحشــة الكـبرى فكانــت أنـيسَ النـاعمين بهــا اضـطجاعا

وكنـتُ لهـا أنـا ((المجهـولُ)) عِلـماً وأخلاقـــاً وحكـــماً واشـــتِراعا

---

[1] شعاع (بفتح الشين): متفرقة.

[2] طاع: مثل أطاع.

[3] الإنتكاص: النكوص أي الرجوع إلى الوراء. والضمير في ((أنت)) هو دم الشهداء المخاطب.

ومُختَرِعٍ يتيهُ عليَّ كِبراً ... ولو لم أجرِ لم يَجِدِ اختِراعا

وفذٍّ ((عبقريٍّ)) من نَتاجي ... تَرَعْرَعَ ((صيتُه)) ونما وشاعا

تجاهَلَني وكنتُ له خيالاً ... وأهملني وكنتُ له يَراعا

وآخرَ ذي فُتوحٍ أشجعيٍّ ... سُفِحتُ له ليرتبيَ اليَفاعا[1]

تناسى من له اقتادَ السَّرايا ... ومن كانَ الشَّجاعةَ والشُّجاعا

ويا أكفانَهم كوني لِواءً ... وَسيعاً يحضُنِ الهِممَ الوِساعا

وسُدِّي ثُلمةً من كلِ خَرْقٍ ... يَزيدُ الخَرق شقّته اتّساعا

وزِيدي في خضَمِّ المجد مَوْجاً ... وكوني من سفائِنه شِراعا

بغداد، عام ١٩٤٨

---

[1] أشجعي: قوي. سفحت له: هدرت. يرتبي: يعلو. اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

ذكريات

(وثبة كانون)

يـا ((ذكريـاتُ)) تحشَّـدي فِرقـا تَسَـعُ الخيـالَ وتمـلأُ الأُفُقـا

و تـأهَّبي زُمـراً تجهـزني محـضَ الأسـى والـذُعرَ والقلقـا

هُـزِّي الرِّتـاجَ عـليَّ أُحكِمُـه وتقحَّمـي البـابَ الـذي انغلقـا

الليـلُ صُـبِّي في قرارتـهِ مـن وحشـةٍ مـا يُفـزِعُ الغَسَـقا

والـريحُ خلِّيهـا إذا صـفِرَت في البيـت مـن بـه فَرَقـا[1]

خَـلِّي الصـغار مـن الأسـى فَزَعـاً يتسـاءلون: مـن الـذي طَرَقـا

ودَعـي الكبـارَ يَـرَوْنَ مِدْخنَـةً فيـه ولا يجـدون محترِقـا

والنَـومَ مـن فَـزَعٍ ((الـرُؤى)) يبسـاً رُدِّيـه، أو بـدمائها غَرِقـا

ليعـودَ ممـا ((تنفُشـين)) بـه مِسـخاً فـلا نَومـاً ولا أرَقـا

والصـبحُ رُدّيـه لمَبِسـمِهِ شَرِقـاً وبـالعبرات مُختنِقـا[2]

ثـمَّ اطْلِعـي مـن كـلِّ زاويـة ذاك الجبـينَ ووجهَـه الطَلِقـا

حتـى إذا انتصـف الأصـيلُ بـه فتكـوّري في صُـلبه شَـفَقا

ثـمَّ اسـكُبي نَضْـحَ الـدماء بـه ثـم ابعَثـي مـن نَشْـرها عَبِقـا

وتمزّقـي قِطَعـاً مضـرَّجةً تمـتصُّ مـن نَضَـحاتِه عَلَقـا[3]

فكـأن فيهـا الصُّـلْبَ منغلقـاً بجراحِـهِ، والصـدرَ منخرقـا

---

[1] الفرق: الخوف.

[2] الشرق: الذي يغص بالماء.

[3] العلق: الدم.

***

يـــا ذكريـــاتُ تجسَّـــدي بَـــدَناً غـــضَّ الصِّـــبَا، وتعطَّـــري خُلُقـــا

عُريـــانَ: لا خَـــتَلاً ولا وَغَـــراً ضَـــحْيانَ: لا صَـــلَفاً، ولا مَلَقـــا[1]

لم تتركـــي مـــن كـــلِّ شـــاردةٍ نَمَطـــاً، ولا مـــن نأمـــةٍ نَسَـــقا[2]

ثـــمَّ ابـــدَهيني كـــلَّ آونـــةٍ منهـــا بـــما يســـتامُني رَهَقـــا

يـــا ذكريـــاتٌ كلُّهـــا حُـــرَقٌ تَطَـــأ الفـــؤادَ، وتُلْهِـــبُ الحَـــدَقا

مـــن لي بشِـــعرٍ خـــالقٍ شـــجناً للنـــاس يُعجـــزهم بـــما خَلَقـــا

هـــي صُـــورةٌ حمـــراءُ مـــن شَـــجني تُـــدمي الـــيَراعَ وتُرعـــب الوَرَقـــا

لـــيَرى الـــذين تجـــاهَلوا بَرِمـــاً أســـيانَ: كيـــف يُكابـــد الحُرَقـــا[3]

مـــن لي بأطيـــافٍ تُراوحنـــي بـــالهمِّ مُصـــطبَحاً ومُغتبقـــا

متسلســـلاتٍ كلَّـــما وَجَـــدَتْ فيهـــا فراغـــاً، أفرَغَـــتْ حَلَقـــا

مُســـتَجمعاتٍ كـــلَّ خـــاطرةٍ مـــا جـــدَّ مـــن عهـــدٍ ومـــا خَلِقـــا

مـــا كـــان مثـــلَ القـــبر مُختفيـــاً تبديـــه مثـــلَ الـــنجم مُنبثِقـــا

فَرِحـــاً، ومكتئبـــاً ومختلِطـــاً بهـــا، ومُتَّحـــداً ومفترِقـــا

---

[1] الوغر: الحقد.

[2] النأمة: الحركة.

[3] أسيان: حزين.

مـــن لي بهـــا وكأنّهـــا بشــرٌ		عـــن نفســـه يَـــروي إذا نطَقـــا
مـــن لي بأشـــباحٍ أنـــوءُ بهـــا		رَسْـفَ السـجين بقَيـدِهِ عَلِقـا[1]
حتـى إذا انصَـرَمَت بـدا شَـبَحٌ		حُلـــوٌ يكـــادُ يُطـــيرني نَزَقـــا
طـوراً نَـروح معـاً عـلى ظَمَـأٍ		منهـا، وطـوراً نسـتَقي غَـدَقا[2]
يومـــاً بقَعـــر البيـــت يُوغرنـــا		حَنَقـــاً، قضـــاءُ مُـــوغِر حَنَقـــا
وهُنيهـــــةً نرتـــــاد مُرتفَعـــــاً		مـن هَضْـب ((لبنـانٍ)) ومُنزَلَقـا
مـــن لي بهـــا تَعتـــادُ قارئهـــا		فَرَقـــاً، كـــما تَعتـــادني فَرَقـــا
وتـــردُّ – مـــثلي – عيشَـــه رَنِقـــاً		وتَشُــدُّ – مـثلي – حَولَـه الطُرُقـا[3]

***

مـــن لي بشِـــعرٍ خـــالقٍ حُرَقـــا		((تطـأ الفـؤاد وتُلهِـبُ الحَـدَقا))
لـــيريهمُ القلبـــينِ قـــد لَصِـــقا		صِــنوَين، كيــف إذا هُمــا افترَقــا
وإذا هُمـــا – والمـــوتُ بيـــنهما –		مـــدّا مـــن الجيـــدينِ فاعتَنَقـــا
وتســاءَلا: مـــا ضرَّ لـــو سَـــلَكا		كفنـــاً معـــاً، وبحبلـــه عَلِقـــا
حتـــى إذا اســـتبقى أحرُّهمـــا		رَمَقـــاً، وأســـلَمَ خِدنُـــهُ رَمَقـــا

---

[1] الرسف: مشي المقيد.

[2] الغدق: الماء الكثير.

[3] الرنق: الكدر.

وحشا التُّرابَ بوجهه قَدَرٌ عبّا لكل مُفارِق طَبَقا

وانداحَتِ الدنيا بناظرِه حتى لظَنَّ رحابَها نَفَقا

و مضى حسابُهما برُمّته ما انفكَّ من دَين وما انغَلَقا

صَفَقَ اليدين كأنَّ مُرْتَجَعاً يرجُو لصاحبِهِ بها صَفَقا

وكأنها يُعطي الشقيقَ دماً إنَّ الشقيقَ بدمعه شَرِقا

وكأنها انشقَّ الضريحُ له بـ ((رَعى السحابُ ضريحَه وسَقَى))

بغداد، عام ١٩٤٨

عرت الخطوب

أشهر المتاجرون بدم الشهداء – بعد وثبة كانون المجيدة وبعدما باعوا أهدافها الوطنية بحفنة من المناصب وكراسي الحكم – حرب المهاترات في الصحف ضد موقف الشاعر الصامد، فكانت هذه القصيدة ثورة غضب واستنكار.

ونشرت في جريدة الحضارة في ١٤ تموز ١٩٤٨ مع مقدمة وبيان من الشاعر حول الموضوع وقدمتها:

((هذه قطعة ملتهبة ينتزعها الشاعر الجواهري من هذه الحياة الماكرة الساخرة. فيتصاعد من شررها لهب يحرق به نفوساً صغيرة سخرت من الحق واستسلمت للباطل، فكان جزاؤها هذه الثورة الشعرية الخالدة وهي آية من آيات الجواهري، ومعجزة خالدة من معجزاته. وها هو ((بيان الأستاذ الجواهري)) بمناسبة ما نشر في صحيفة أسبوعية بغدادية :

((أجل استغللت دم أخي. فأصبحت وزيراً. وغدوت نائباً. وتصرفت بما عهد إليّ من مسؤولية الحكم أسوأ تصرف، وأكثره غرماً للمصلحة العامة، وغنماً لنفسي ولأتباعي. واستغللته في المظاهر الفخمة والسيّارات المطهَّمة. واستغللته بطبيعة اشتراكي في الحكم لتمشية المعاملات الباطلة، والشفاعات الشخصية، وهدَّدت بالاستقالة إن لم تخرج الحكومة نواباً من أصحابي. ولست أنا الذي زهد في كل ذلك. واكتفى بالجوّ المكلل بالسواد والدموع، وبذل كل ما يملك من حطام لمحاولة إنقاذ أخيه، أولاً، من الموت، وللقيام، ثانياً، بمراسيم الموت. وغيري كان ممن صدف متعمداً عن كل الأبواب الذي كانت مفتحة في وجهه. وعطَّل نفسه حتى عن مصلحة عمله الشخصي، ومورد رزقه الوحيد. وغيري – ولست أنا – من اكتفى عن دم أخيه ودم قلبه أيضاً المراقين في سبيل هذا البلد. اكتفى: أن يعتزل المجتمع كله. وأن يكون حلساً للمقاهي وحيداً يتفرج على مواكب المستغلّين. إن التاريخ القريب وليس البعيد سيحارب بكل قساوة المستغلين دم الشهداء من أخٍ وغير أخ، وأنا في طليعتهم. سيكافئ الآخرين ممن عداي، والذين ضربوا حولهم نطاقاً قاسياً من الحرمان يتجانس والعالم الكئيب الذي يعيشون فيه، والجوّ القدسي الحزين الذي يلفُّهم. وعندما يثأر الشعب لدم جعفر ورفاقه سيثأر أيضاً من مستغلي هذا الدم.))

محمد مهدي الجواهري

عَـرِتِ الخطـوبُ وكيـف لاتعـرو وصَـبَرْتَ أنـتَ ودِرعُـكَ الصبرُ

وصَـبرتَ أنـتَ وأنـتَ ذو ثقـةٍ أنْ لـو تشـاءُ لزُحـزِحَ الأمـر

لانجـاب عُسْـرٌ مـن فرائسـه صِـيدُ الرجـال ولاارتمـى اليسر[1]

ولَـدَرَّ ضَرْعٌ رُحـتَ تحلِبُـه إنْ كـان أعـوَزَ غـيرَك الـدَّرُّ

***

عَـرَتِ الخطـوب فـما خَفَضْـتَ لها مـن جـانحٍ وكـذلكَ النَّسْـرُ

ومَضَـيْتَ تَنتَهـبُ السـما صُـعُداً لـك عنـد غُـرٍّ نُجومهـا وَكـرُ

وعـلى جَناحَيْـكَ ارتمَـتْ كِسَـراً مثـلَ الضَّبـاب عواصـفٌ صِرٌّ[2]

فتجاوَزَتـكَ وراحَ نَهبتَهـا نَخْـبُ الفـؤادِ وخامِـلٌ غَمْـرُ[3]

النَّفْـعُ رَخـوٌ لسـتَ صاحِبَه وأخـوكَ هـذا الشـامِخُ الضُّـرُ

أجـررتَ والـدنيا فـما سَطَرَتْ إلا وعنـدك فوقَهـا سَـطرُ[4]

و مضـيتُما كُـلٌّ بوطأتِـه فَـرَسيْ رهـانٍ أنـتَ والـدهرُ

---

[1] صيد الرجال: كرامهم.

[2] الصر: الشديدة.

[3] نخب الفؤاد: الجبان.

[4] في المعجم: غنّاه فأجرّه أغاني كثيرة: إذا أتبعه صوتاً بعد صوت ويريد به الشاعر أنه في سباق مع الدنيا.

***

عَـرَتِ الخطـوبُ وكيـف لا تَعـرو — وطريـقُ مثلِـكَ – صـامِداً – وعْـرُ

عَـدَتِ الضِّباعُ عليـك عاويـةً — ظنّـاً بأنَّـك مأكـلٌ جَـزْرُ

فتـذوَّقتْك فقـال قائلُهـا: — إنَّ الغَضَـنفرَ لحمُـه مُـرّ

وخَلَصـت حُـرَّ الوَجـه ذا ألَـقٍ — ووجُـوهُهمُ مطموسـةٌ غُفْـرُ[1]

حَسَـدوك أنَّـكَ دُسْـتَ هَـامَهُمُ — مُتجـبِّراً، ولنَعْلِـكَ الفَخْـرُ

وحَقَـرْتَهم فقُلـوبُهُمْ وَغْـرُ — مـن ضِـغنةٍ وعيـونُهم خُـزْرُ[2]

لا أمـرَ عنـدَهمُ فهُـم هَمَـلٌ — غُفُـلٌ، وكـلُّ حياتِهم خَمْـرُ[3]

***

و ((زعـيمُ)) قـومٍ كـالغُراب بـه — صِـغَرٌ وفي خُطُواتِـهِ كِـبْرُ

يغـتَرُّ في مـا لا يُشـرِّفُه — جَهِـلَ المُغفَّـل كيـفَ يَغْـتَرُّ

يغـتَرُّ إنْ ألقَـوا بمعدتِـه — عَفِـنَ الطعـام فـراحَ يجـتَرُّ

بـادي الغَبـاءِ تكـادُ تقـرؤهُ — بـالظنِّ لا خَـبَرٌ ولا خُـبْرُ

أضـحى ((وزيـراً)) فاغتـدى رَهِقـاً — مثـلَ ((الحـمارِ)) يـؤودهُ الـوِزْرُ

---

[1] مأكل جزر: سهل، هين.

[2] الوغر: الحقد.

[3] الهمل الغفل: غير المعروفين.

لله أنـــتَ مطيـــةٌ عَرِيَـــتْ ... منهـا الشَّـوى، وتأكّـلَ الظَّهـرُ[1]

و دريئـــةٌ يرمـــي الأبيَّ بهـــا ... وغـدٌ، ويُصـمي الـبَرَّةَ الفُجـرُ[2]

والتـفَّ عـن أطرافـه هَمَـجٌ ... مثـلَ النَّعـام يسـودُها الـذُّعرُ

وتحلَّبـوه ففـي أكُفِّهـمُ ... شَـطرٌ: وفي أفـواهِهم شَـطْرُ

مـن ((فـاجرينَ)) بكـل قارعـةٍ ... حلّـوا، تحـدَّث عـنهم العُهـرُ

و مُفَـرِّقين ((مـذاهباً)) جُمِعَـت ... وحَنـا عليهـا الآيُ والـذكرُ

مثـلَ اللُّصـوصِ يلُـمُّ شَـمْلَهُمُ ... خَـيطُ الـدُجى ويَحُلُّـه الفجـرُ

يـا عبـدَ سُـوءٍ في مزاعِمِـهِ ... يشـتطُّ حيـثُ تحـرَّرَ الفِكـرُ

قبليَّـةٌ والكـونُ وَحَّـده ... فكـرٌ، وخـطَّ مصـيرَهُ ذَرٌّ؟!

أفأنـتَ كـونٌ يُسـتَظَلُّ بـه ... أم أنـت يـا ابـنَ ((جهالـةٍ)) عَصْرُ؟

***

قـل ((للصـحيفةِ)) أنـت قائُـدها ... سَـفَهاً وأنـتَ زعيمُهـا الحـرُّ

إني – ولي في المجـد مُتَّسَـعٌ – ... عَـفٌّ عـن اسـتغلالِه بَـرُّ

لم أدَّخـر منـه سـوَى نَشَـب ... هـو للـبلاد وأهلِهـا ذُخْـرُ[3]

---

[1] الشوى: الأطراف.

[2] الدريئة: هنا السلاح. الفجر: الفاجر.

[3] النشب: المال (المعنوي – هنا)

غَنِيَــت بــه الأجيــالُ طاعمــةً ... منهــا السَــمينَ، وعَضَّــني الفقــرُ

لا أســـتَغِلُّ فأنـــتَ لي عِظـــةٌ ... فــيما أتيــتَ، وأنــت لي زَجْــرُ!!

بغداد، عام ١٩٤٨

يا ثمر العار

أيْ جَرَبـــا تجـــرَّبي تكـــتَّلي تحـــزَّبي
كـــإبرة البحَّـــار في عاصـــفةٍ تذَبْـــذَبي
وكـــالطُّيورِ في الســـماءِ حُـــرَّةً تَقَلَّبـــي
أيْ جَرَبـــا ويحَـــكِ مـــا أصـــلَفَ وجهَـــكِ الغبـــي

***

أكـــلَّ يـــومٍ تطلُعـــين للـــوَرى بكَوكـــبِ
مـــذنَّبٍ مـــن فَضْـــلِ مـــا أعطِيتـــهِ مـــن ذَنَـــبِ
فتـــارةً بمشـــرِقٍ وتـــارةً بمغـــربِ
أيْ جَرَبـــا في كـــلِّ يـــومٍ حُلـــةً تجَلْبَبـــي
أي جَربـــا كـــم تـــدَّعينَ عِفَّـــةً لم تُـــوهَبي
إذ أنـــتِ للفَجْـــرَةِ تمتطـــينَ شرَّ مَركـــبِ

***

أيْ جَرَبـــا يـــا ((بَهْلـــوانَ)) الملعَـــبِ المُجـــرَّبِ
يـــا ضُـــحكةً جـــادَ بهـــا الـــدهرُ عـــلى مُكتئِـــبِ

يا فُرجةً لِمُعدمين: فرجةً عن كَثَبِ

يا حَكَّةً من جَرَبٍ ... في دُمَّلٍ مُلتَهِبِ

يا ثَمَرَ العارِ ويا ... جريمةَ التَسيُّبِ

يا ((هِرةً)) تُريد أن ... تحكي دهاءَ ثَعلَبِ

يا ((أمَةً)) مغلوبةً ... لأجذمٍ مُغَلَّبِ

يا بُومةً خائفةً ... من خائفٍ مُرتَقِبِ

من سارقٍ متَّهمٍ ... وخائنٍ مُرتكِبِ!

عام ١٩٤٨م

فلسطين والأندلس

ناشدتُ جندكَ جندَ الشعبِ والحرسا
أن لا تعـودَ فلسطينٌ كأندلُسا

ناشدتُكَ الله أن تسقي الدماء غداً
غَرسْاً لجدِّك في أرجائِها غُرسا

تلمّسِ الجَدَفَ الزاكي تجدْ هَنَثاً
من الشَّكاةِ وتسمعْ للصدى نَفَسا[1]

ناشدتُكَ الله والظلماءُ مطبقةٌ
على فلسطين أن تُهدي لها قَبَسا

بغداد، تموز ١٩٤٨م

---

[1] الجدف: القبر.

فلسطين

(في معارك فلسطين)

دَلالاً في مَيــــادينِ الجِهـــــادِ و تِيهـــاً بـــالجِراحِ وبالضِّـــــادِ
ورَشْــفاً بــالثغورِ مــن المَــواضي وأخـــذاً بالعِنـــاق مـــن الجِيـــادِ
وَعبّـاً مِــن نمــيرِ الخُلْــدِ يَجْـري لِمُنْزَفَـــةٍ دمـــاؤهم صَـــوادي
وَ تَوطينـــاً عـــلى جَمْـــرِ المنايـــا و إخـــلاداً إلى حَـــرِّ الجِـــلادِ[1]
وإقـــداماً وإنْ سَرَتِ السَّـــواري بـما يُشْـجي، وإن غـدتِ الغـوادي
ويـــذلاً للنفـــيسِ مــن الضــحايا فـــأنْفَسُ مـــنهم شَرفُ الـــبلادِ

***

حُمـــاةَ الـــدارِ مـــسَّ الـــدارَ ضُرٌّ ونـــادى بافتقــادكُمُ المُنـــادي
أرادَتْكُـــمْ لِتكفُوهـــا فُلـــولا مُغـــرِّزةً كأرتـــالِ الجَـــرادِ
و شـــاءتْكُمْ لتنهطِلـــوا عليهـــا هُطـــولَ الغيـــثِ في سَـــنةٍ جَمـــادِ
وطـــافَ علـــيكُمُ حُلُـــمُ العَـــذارى مُروَّعـــةً كُحِلْـــنَ مِـــن السُّـــهادِ
يَشـــوْقُ الذائـــدينَ عـــلى المَنايـــا نـــداءُ العـــاجزاتِ عـــنِ الـــذِيادِ
تطَلَعـــتِ العيـــونُ إلى خيـــولٍ مُحجَّلَـــةٍ مُنشَّـــرَةِ الهـــوادي[2]
خَبَرْنَ رَحى الوغى فعـن اعتِسـافٍ يَـــدُرْنَ مـــدارَها وعـــنِ اعـــتمادِ

---

[1] الإخلاد: الإقامة. والجلاد: القتال.

[2] الهوادي: جمع الهادي وهو العنق.

إذا الــــرجلانِ مسَّـــها لُغـــوبٌ شَــأتْ بهـــا اليــدانِ عـــن ارتــدادِ[1]

عليهـــا كــــلُّ أغْلَــبَ أرقمـــيٍّ يَبــيسِ العَـــينِ، ريّـــانِ الفـــؤادِ

زَوَتْ مــا بـــين جَفْنَــيْهِ هُمـــومٌ نَفَــتْ عـــن عينــه دَرَنَ الرُّقـــادِ[2]

وشـــدَّتْ خافقيـــهِ فلـــن يرفّـــا إذا التقيـــا عـــلى الكُـــرَبِ الشِّـــدادِ

وكــلُّ مُسَــعَّرِ الجَمــراتِ يُكســى مــن الغَــبراتِ ثوبــاً مــن رمــادِ[3]

تَمَـــرَّسَ بـــالحُتوف فـــلا يُبـــالي أحـــادَتْ عنـــهُ أم عَـــدَتِ العـــوادي

***

و يـــا جُثثـــاً يَفـــوحُ المجـــدُ مِنهـــا فَتعبَـــقُ في الجِبـــالِ وفي الوِهـــادِ

سَــقَتْكِ الصــائباتُ مِــن التَّحايــا مُعطَّـــرَةً فـــما صَـــوبُ العِهـــادِ[4]

أعـــزُّ النـــاسِ في أغـــلى ممـــاتٍ وخَـــيرُ الـــزرعِ في خـــيرِ الحَصـــادِ

ويـــــا مُتقـــــرِّبين إلى المنايـــــا يَشُـــقُّ علِهـــمُ وطءُ البِعـــادِ

رأيـــتُ الجُـــودَ مَلهـــاةً يُجـــازى بهـــا اللاهـــي بِحَمْـــدٍ مُســـتفادِ

ومُتَّجَـــراً يـــدُرُّ المجـــدَ رِبحـــاً لكُـــلِ مُســـلِّفٍ بـــيضَ الأيـــادي

---

[1] اللغوب: التعب. شأى: سبق.

[2] زوت: حجبت وباعدت.

[3] مسعر الجمرات كناية عن تلهب نفوس الفرسان في الحرب كما تتلهب الجمر وأن هؤلاء الفرسان يكتسون غبرة الحرب كما تكتسي الجمرة الرماد.

[4] الصائبات: الممطرات. العهاد: المطر.

يُـؤدِّي النـاسُ مـا وَهَبَـتْ كِـرامٌ ... وتدفَعُـــهُ المحافِـــلُ والنّـــوادي

ولكِــنْ ثَـمَّ للبلــوى مَحَــكٌّ ... تَميـزُ بـه البخيـلَ مِـنَ الجـوادِ

هُنالِـكَ إذ يَشُـقُّ عـلى المفـدّى ... فَكـاكُ إسـارِهِ مـنْ كـفّ فـادي

تفـيضُ الـنفسُ لا تـدري جـزاءً ... - ولا تبغـي - إلى يـوم المعـادِ

ولا يَختـالُ - صـاحبُها ازْدِهـاءً ... بـها أسـدى - عـلى هـامِ العبـادِ

***

ورُوحِ من ((صلاح الدّينِ)) هَبّتْ ... مـن الأجـداثِ مُقلَقَـةَ الوِسـادِ

تَسـاءَلُ هـل أتَـتْ دُوَلٌ ثـمانٍ ... ضِـخامٌ مـا أتـاه عـلى انفـرادِ

ومـا أضـفى الحـديثُ عـلى قـديمٍ ... ومـا ألقـى الطَّريـفُ عِـلى تـلادِ؟

ومـا عِنـدَ الـدُهاة مـن انتقـامٍ ... ومـن أخْـذٍ بثـأرٍ مُسـتقادِ؟

وهـل ضـاقوا وهـمْ كُثْـرٌ ذِراعـاً ... بداهيـةٍ نهضـتُ بهـا دَآدِ[1]

مَشَـيْتُ بطبِّهـا عَجِـلاً فطابـت ... عواقبُهـا، وسـاروا باتِّئـادِ

بـلى كـانوا ومَـنْ عـادَوْا تبيعـاً ... وكنـتُ المسـتقِلَّ ومَـن أُعـادي

ومُعْتَـدّاً ومـا تُجـدي حيـاةٌ ... إذا خلـتِ النفـوسُ مِـن اعتِـدادِ

***

حُمـاةَ الـدّارِ لم تَـتْرُكْ لشـعري ... فِلَسـطينٌ سـوى كَلِـمٍ مُعـادِ

---

[1] الدآد: الداهية الدهياء.

بَكَيْتُ مصابَها يَفَعاً ووافَتْ ... نِهايَتُها وخَمْسونٌ عِدادي
قَدَحْتُ لها رَويَّاً من زِنادي ... وصُغتُ لها رَوِيّاً من فؤادي
وألقيتُ الظلالَ على القوافي ... عليها يَصْطَفِقْنَ مِن ارتعادِ
وهل عندي سوى قلبٍ مريرٍ ... أُذَوِّبُهُ بكأسٍ مِن سُهادِ
حماةَ الدارِ إنّي لا أُماري ... وإن قلتُ الجديدَ ولا أُصادي[1]
وليس تملُّقُ الجُمْهورِ مني ... ولا التَّضليلُ من شيمي ونادي[2]

***

حماةَ الدارِ من عشرينَ عاماً ... تقضَّتْ فاتنا يومُ التَّنادي
دعانا وعدُ بلفورٍ وثنّى ... وثلّثَ صائحُ البلدِ المُذادِ
ونادتنا بألسنةٍ حِدادٍ ... دِماءٌ في قرارةِ كلِّ وادي
ومَوْجاتٌ من الكُرَبِ الشدادِ ... تراوَحُ بانتقاصٍ وازديادِ
فكنا نستنيمُ إلى قلوبٍ ... قَدَدْناها من الصُّمِّ الصِّلادِ
وكنّا نستجيرُ إلى زعيمٍ ... كليلِ السيفِ لمّاع النِّجادِ[3]
كَذوبِ الدَّمع يسمَنُ في الرَّزايا ... ويَدْعَرُ وهو يَرْفُلُ في الحِدادِ
وكنا نمتطي مُهرَ الطِرادِ ... فِلَسْطيناً إلى يومِ اصطيادِ

---

[1] صاداه: جاراه وداراه.

[2] ناداه: فاخره.

[3] النجاد: حمائل السيف.

وكانَــتْ دَلْــوَ نَهّــازين مــدّوا
بهــا واســتنفدوا مــلء المــزادِ[1]

وَ عَــــدْناها بثـــأرٍ مســـــتقادِ
ومجــدٍ قــد أضَــعنا مُسْــتَعادِ

بتصــريحٍ وصـــــاحبه مفــــادِ
وتصــريحٍ يَظَــلُّ بــلا مفـــادِ

ومـــؤتمرٍ تعجَّـــلَ عاقـــدوه
ومـــؤتمرٍ ســـيؤذِنُ بانعقـــادِ

حمــاةَ الــدارِ مــا النَّكَســاتُ سِرٌّ
و لا شيءٌ تَلَفَّـــفَ في بِجَـــادِ[2]

و لا لُغْــزٌ يَحــارُ المــرءُ فيــهِ
فَيَجْهــلُ مــا سُــداسٌ مِــنْ أحَــادِ

ولكِــن مِــثلَما وَضَــحَتْ ذُكــاءٌ
ونَــوَّرَ حــاضِرٌ منهــا وبــادي[3]

فــما ذَهَبَــتْ فِلَســطينٌ بســحرٍ
ولا كُتِــبَ الفنــاءُ بــلا مِــدادِ

ولا طــاحَ البنــاءُ بــلا انحــرافِ
ولا بَنَــتِ اليهــودُ بــلا عِــمادِ

ومــا كانــت فِلَســطينٌ لِتَبقــى
و جيرتُهــا يُصــاحُ بهــا بَــدادِ

و سِــتٌّ جِهاتِهــا أخــذت بجــوعٍ
و جهــلٍ واحتقــارٍ واضــطهادِ

شُــعُوبٌ تُســتَرقُّ فــما يُبَقّــي
عــلى أثــرٍ لهــا ذُلُّ الصِّــفادِ[4]

تُســاطُ بهــا المواهِــبُ والمزايــا
و تُحتجــزُ العقائــدُ والمبــادي

وتَطْلُــعُ بــينَ آونــةٍ وأُخــرى
((بحجّــاجٍ)) يُزيِّــفُ أو ((زيــادِ))

---

[1] المزادة: الراوية (القربة).

[2] البجاد: نوع من الأكسية التي يتغطى بها.

[3] ذكاء: الشمس.

[4] الصفاد: القيد.

فيذوي الخوفُ منها كُلَّ خافٍ ... ويُصمي الجَوْرُ منها كلَّ بادي
و تُنْتَهَبُ البلادُ ومِنْ بَنيها ... يَؤوبُ الناهبون إلى سِنادِ
وتَنطلِقُ المطامعُ كاشراتٍ ... تُهدِّدُ ما تُلاقي بازدرادِ
وتَنطبِقُ السُّجونُ مُزمجِراتٍ ... على شُبَهٍ وظَنٍّ واجتهادِ

***

حُماةَ الدارِ، ما ميدانُ حَربٍ ... بأعنفَ من مَيادينِ اعتقادِ
فَمثلُكُمُ من الأرواح جسمٌ ... تُقاسي الموتَ من عَنَتِ الجِهادِ
وأخلاقٌ تضيق بِمُغْرياتٍ ... شدادٍ في خُصومَتِها لِدادِ
تَكادُ تَطيحُ بالعَزَماتِ لولا ... رُجولَةُ قادرينَ على العِنادِ
رُجُولةُ صائمينَ ولو أرادوا ... لكانوا الطاعمينَ بأيِّ زادِ
و مَعركةٍ يَظَلُّ الحقُّ فيها ... يُسالِمُ أو يُهادِنُ أو يُبادي
و ميدانٍ وليس لنازليهِ ... سوى الصَّبرِ المثلَّم من عَتادِ
وكانتْ في السُّطوحِ مَزعزَعاتٍ ... خُطوطٌ يَرْتَسِمْنَ مِنَ الفَسادِ
فها هي فرطَ ما جَنتِ الجواني ... إلى عُمقٍ تَغَوَّرُ وامتدادِ
لقَدْ شَبَّتْ عَنِ الطَّوْقِ المخازي ... وكانَتْ بنتَ عامٍ في مِهادِ

***

حُماةَ الدارِ، لولا سُمٌّ غاوٍ ... أساغَ شَرابَه فَرطُ التمادي
وَلَوْغٌ في دم الخِلِّ المُصافي ... فقل ما شِئتَ في الجنِفِ المُعادي

ولبّاسٌ على خَتَلٍ وغَدْرٍ ثيابَ الواقفينَ على الحِيادِ

وَخِبٌّ لا يُريكَ متى يُواتي فتأمنَ شرَّهُ ومتى يُصادي[1]

تَطلّعُ إذ تَطلّعُ في رَخِيٍّ وتَقرَعُ حين تَقرَعُ في جَمادِ

ولولا نازلونَ على هواهُ سُكارى في المحّبةِ والودادِ!

نَسُوا - إلا نفوسَهُمُ - وهامُوا غراماً حيثُ هامَ بكلِّ وادِ

أجَرَّهُمُ على ذَهبٍ، فجرّوا فلسطيناً على شَوْكِ القَتادِ[2]

وقادُوها له كَبْشَ افتداءٍ صنيعَ الهاربينَ منَ التفادي

لكنتم طِبَّ عِلَّتِها، وكانت بكم تُحدى على يدِ خيرِ حادي

***

حُماةَ الدارِ لم تَزَلِ اللّيالي يُطوّحُ رائحٌ منها بغادي

ولا تَنفكُّ داجيةٌ بأخرى تَعثّرُ لم يُنِرْها هَدْيُ هادي

ولا تألو الضلالةُ وهي سِقطٌ تُكابرُ أنّها أمُّ الرَّشادِ

حماةَ الدارِ كلُّ مَسِيلِ ظُلمٍ وإن طالَ المدى فإلى نَفادِ

وكلُّ مُحَشَّدٍ فإلى انفِضاضٍ وكلُّ مُفرَّقٍ فإلى احتشادِ

فصبراً ينكَشِفْ ليلٌ عميٌّ ويَنحسِرِ البياضُ عنِ السوادِ[3]

وتَتَّضِحُ النفوسُ عنِ الخبايا ويُفصِحُ مَنْ يريدُ عنِ المرادِ

---

[1] الخب: المراوغ الخداع.

[2] أجر: مثل جر. وأجرّ ((الحبل)) أو ((الرسن)) أي أسحبه مثل سحبه.

[3] ليل عمي: يريد به شديد الظلام.

وتَنــــدَفِعُ الشـــعوبُ إلى محـــجٍّ مُبـــينِ الرُّشـــدِ موثـــوقِ السَّـــدادِ
وتَـــؤْذِنُ جــــذوةٌ أإلى انْطِفـــاءٍ يَــــؤولَ مآلُهـــــا أم لاتّقـــادِ
ومهـــما كانـــتِ العُقبـــى فَلســـتُمْ بمســـؤولينَ عـــن غيـــبِ مُـــرادِ

بغداد، عام ١٩٤٨

أطل مكثا

(إلى السجناء السياسيين في العراق)

نظمت صيف عام ١٩٤٨، وكان الشاعر يسكن بيتاً قريباً من بناية السجن المركزي في بغداد ،مما كان يلزمه أن يمر على أفواج من المقتادين إلى السجن وهم مكبلون بالسلاسل وبأفواج من ذويهم وعوائلهم المتكدسين على باب بناية السجن لمواجهة أبنائهم وأقاربهم.

وكان الاستعمار وأذنابه من حكام العهد البائد، وقد أذهلتهم وثبة كانون المجيدة، قد أشاعوا حكماً إرهابياً بوليسياً فظيعاً، لسلب مكاسب الوثبة، مستخدمين الأحكام العرفية التي اعلنت بحجة حماية مؤخرة الجيوش العربية المحاربة في فلسطين، سلاحاً لإشاعة هذا الحكم.

عسى أنْ لا يطولَ بكَ الوُقوفُ وأنْ يتعجّلَ الزمنُ الرَّسيفُ[1]

وأنْ ينجابَ عنكَ غُبارُ بُؤسٍ يَضيقُ به مُحيّاكَ الأسيفُ

أقِمْ كَتِفَيْكَ لا يُثقِلْكَ ذُلٌّ ولا يشمَتْ بكَ القَصْرُ المُنيفُ

ولا يَقُلِ السَّريُّ هنا شقيٌّ يَضيقُ بذُلِّ وَقْفَتِهِ الوصيفُ

تقدَّمْ إنَّ خلفَكَ راسفاتٍ جماهيراً يضجُّ بها الرَّصيفُ

صُفوفاً للسُّجونِ بها تُعَبّا إذا أزِفَتْ، وتنتظِمُ الصُّفوفُ

وأجنحةً وإن طُوِيَت ففيها على الأجيالِ – قادِمةً – رفيفُ

***

أطِلْ مُكثاً فإنكَ عن قريبٍ سَتَنْقُصُ في الضَّحايا أو تُضيفُ[2]

وطُفْ دَهْراً فقد كرَّتْ دهورٌ على الدُّنيا، وأحرارٌ تطوفُ

ولم يَبْرَحْ بحيثُ نزلتَ ضيفاً يُنيخُ الرَّحْلَ حُرٌّ مستضيفُ

هُنا الرأيُ العنيدُ أقامَ سَدّاً عليه البغيُ والفِكْرُ الحصيفُ

ولا تخجَلْ فحيثُ وقفتَ ظلَّتْ إلى غاياتِها تقفُ الأُلوفُ

ومِنْ حيثُ احتُجِزْتَ مشى طَليقاً يَهُزُّ الكونَ جبّارٌ عَصوفُ

---

[1] الرسيف: المقيد الذي يمشي بأغلاله ويرسف بها.

[2] المكث: بضم الميم وبفتحها.

وأولاءِ الــــذينَ لهـــمْ وجـــوهٌ تُحبِّـــبُ أو تُعَطِّـــفُ أو تُخيـــفُ

وأجفـــانٌ تـــرِفُّ عـــلى عُيـــونٍ تغـــورُ كـــما تَغَـــوَّرَتِ الكهـــوفُ

وأســـمالٌ لهـــمْ منهـــا فِـــراشٌ يُلِـــمُّ بهـــا الثَّـرى، ولَهُـــمْ شُـــفوفُ

هـــمُ المتقحِّمـــونَ الـــدَّهْرَ بأســـاً بـــه مِـــن وقـــعِ أرجُلِهـــمْ وجيـــفُ[1]

فـــلا يُحْـــذَلْ بمظهـــرِكَ الأليـــفُ ولا يَطْمَـــعْ بِرُفقتـــكَ ((العريـــفُ))

***

أطِـــلْ مكثـــاً فســـوفَ يُـــزاحُ ليـــلٌ تَلُفُّـــكَ منـــه والـــدُّنيا سُـــجوفُ

ومِـــنْ هـــذي الكُـــوى سيُطِلُّ فجـــرٌ ضَـــحوكٌ يمـــلأُ الـــدُّنيا كَشـــوفُ

ولم تَـــزَلِ الـــدُّنى مـــن ألـــفِ ألـــفٍ يُصـــرِّفُ مـــن أعنتِهـــا ((الرَّغيـــفُ))

تمرَّغَـــتِ الخـــدودُ مُصَـــعَّراتٍ بـــه، واســـتُرغمتْ منهـــا الأنـــوفُ

وظلَّ ابـــنُ ((المطـــاحنِ)) مشـــمَخِراً عليـــه الهـــامُ مـــن فَـــزعٍ عُكـــوفُ[2]

يـــدورُ الفِكـــرُ جبّـــاراً عنيـــداً بحيـــثُ يـــدورُ والقَلَـــمُ الرَّهيـــفُ

يُقِـــضُّ مضـــاجِعَ البـــاغينَ منـــه لكـــلِّ منامـــةٍ طيـــفٌ يطـــوفُ

وأنـــى عرَّســـوا أسرى إلـــيهم يُطيـــلُ عـــذابَهمْ وجـــهٌ مُخيـــفُ[3]

وتُســـتاقُ الجيـــوشُ مُســـخَّراتٍ لهـــا مـــن خـــوفِ زحفتِـــهِ زُحـــوفُ

---

[1] الوجيف: الاضطراب.

[2] ابن المطاحن: الرغيف.

[3] عرسوا: نزلوا (في آخر الليل).

وكــم جَـرَتِ الـدّماءُ، لهـا هَـديرٌ عــلى حبّاتِــهِ، وبهــا نزيــفُ
وكــم ألــوى بهــا هــذا النَّحيـفُ وهــذا المســتبدُّ بنــا العنيــفُ[1]
سلِ التأريخَ كـم زَخَـرَتْ شُـجونٌ بدفَّتـه وكـمْ شُـحِنَتْ حُتـوفُ؟
وكـم غــادى ربيــعَ الفكـرِ فيـه مــن النَّزعــاتِ عــابرةً خريــفُ؟
وكــمْ ألقــى عــلى حــيٍّ نزيــلٍ غُبــارَ كِفاحِـهِ حــيٌّ خَلــوفُ؟
وهــلْ بــالرَّغمِ مِــنْ هــذا وهــذا تأبَّــتْ منــه – دانيــةً – قُطـوفُ؟
وهــلْ دهــرٌ أتــى لم يَسْـرِ فيـه يفــيء ظِلالَــهُ فِكــرٌ وَريــفُ؟
ولم تسـحَبْ بـه الخَطَـرات ذيـلاً لــه في مســمعِ الــدُّنيا حَفيــفُ؟

***

أطِــلْ مكْثــاً إلى يــومٍ تُــوقّي بــه كفَّيْــكَ، أو تُلــوى كُفــوفُ
وَدَعْ رُسْــغَيهِا للقَيــدِ نَهبــاً لِنابَيــهِ بلحمِهــما صَريــفُ[2]
فمِــنْ تأريخِــكَ الألِــقِ المـدمّى تَبــينُ بهــذه الــنُّقطِ الحُــروفُ
ومُلْــكُ الــدَّهرِ أنــتَ بـما تــوقّي مــن الألمِ الــذبيحِ ومــا تُعيــفُ[3]
ولَسْـــتَ مُحَـــيَّراً في زمهريـــرٍ تُشَــتّي، أو بجاحِمــةٍ تَصــيفُ

[1] هذا النحيف ((إشارة إلى)) الرغيف ((في البيت السابق:)) ((ولم تزل الدّنى...))، وكل الأبيات التالية تتعلق به أي بـ ((الرغيف))

[2] صريف: صوت.

[3] في اللسان: أعاف القوم أعافة عافت إبلهم الماء فلم تشرب.

ولا في أنْ يَمَسَّ ذويكَ ضُرٌّ يَحِيقُ بهمْ، ومَظْلَمةٌ تَحِيفُ
ولا أيِّ المصايرِ يحتويهمْ وأيَّ نوىً تعاوَرُهُمْ قَذوفُ
ولا أيِّ الجنينِ تُدِرُّ أمٌّ رَؤومٌ في مراضِعِها رَؤوفُ
ولا أيِّ الأكُفِّ بها تهاوى ولا أيِّ السُّمومِ لها تَديفُ

***

أطِلْ مكثاً فلمْ يَبْرَحْ أنيقٌ رَشيقٌ في تأطُّرِهِ ظريفُ
يَتيهُ بحيثُ تَلتحِمُ الرَّزايا عليكَ، بحيثُ تَلْتَحِمُ السُّقوفُ
مَشَى فتعجَّبَ «الطاووسُ» منه فقدْ ألوى بمِشيتِهِ الزَّفيفُ
كأنْ لم تَضوِ إخوتَهُ سِياطٌ ولم تتحَدَّ أهلَهُمُ الصُّروفُ
بلى، وكأنَّ بُؤْسَهُمُ تليداً له ولأهلِهِ مَجْدٌ طَريفُ
أطِلْ مكْثاً إلى يومٍ تَلاقى عليكَ بساحةِ الألمِ الصُّفوفُ
أطِلْ مكْثاً، وفاخِرْ أنَّ خصماً عَسوفاً خَصْمُهُ بغيٌ عسوفُ
ونَصِّبْ مِنْ جبينكَ فاللَّيالي تُحاولُ أن تُخَوِّفَ مَنْ يُخيفُ
عسى أن لا يطولَ بكَ الوقوفُ ومهما طالَ فالدُّنيا ظُروفُ

بغداد، عام ١٩٤٨

باريس

عند أول زيارة لباريس، نظمت قطع عديدة منها في باريس وأُكملت في بغداد.

تعاليــــتِ ((بـــاريسُ))..أمَّ النضـــالْ

وأمَّ الجـــــــمال.. وأمَّ الـــــــنغم

تَـــــذَوَّبَ فــــوقَ الشِـــــفاهِ الألَمَ

و ســـال الفـــؤادُ.. عـــلى كـــلِّ فـــم

تضـــيعُ الحــــرارةُ بـــينَ الوصـــالْ

وبـــينَ التنـــائي وبـــين المَـــلال

كأنّـــكِ شمسُـــك بـــينَ الجبـــال

تُغـــازلُ حـــين.. تلـــوحُ القِمَـــمْ

وتبـــدو الغيـــومُ لهـــا.. مـــن أمَـــم[1]

فَتخفـــى كـــما يتخفّـــى النَّـــدَم

***

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)).. كـــم تلعبـــينْ

وكـــمْ تُلهمـــينَ.. وتَســـتلهِمين

وكـــمْ تـــؤثرين.. وتســـتأثرين

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)).. كـــم تشـــتهين

---

[1] الأمم: القرب.

تصَــيحُ مـــن الجــوعِ منــكِ العُيـــونْ

وتُطــوى عــلى الحُــبِّ خُمــصُ البُطــونِ

وتَنْسَــــيْنَ مـــا كـــانَ أو مـــا يكـــون

بـــما أنـــتِ في لُجِّــهِ مـــن فُتـــون

تعاليــــتِ ((بـــاريسُ)) إنَّ الجنـــون

جُنـــونَ العواطـــفِ مـــا تَصْـــنَعين

***

تعاليــــتِ ((بـــاريسُ)).. إنّ الســـنينْ

بـــما تعلمـــينَ.. ومـــا تجْهَلـــين

ومـــا تســـتلذّينَ إذ تحلُمـــين

بوَقْـــعِ الشَّـــكاةِ،، ورَجـــعِ الأنـــين

ونثـــرِ الزُّهـــورِ عـــلى الفـــاتحين

وثـــلِّ العُـــروشِ.. وضَرْبِ الـــوتين[1]

ومـــا سـنَّ ((روســو)).. و ((لامــارتين))

أناخـــتْ طـــويلاً عـــلى عاتقَيْـــكِ

و ألقـــتْ بريقـــاً عـــلى ناظريـــكِ

---

[1] الوتين: عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه.

وهَدْهَــــدَتِ المــــوجَ مــــن ناهـــديكِ

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)).. في وجنتيـــكِ

يلـــــوحُ جمــــيلاً.. دمُ الثـــائرين

جلَـتْ منـك ((بـاريسُ)) كـفُّ الـدهورْ

فُتونـــاً مُضَبــــمَّخَةً بــــالعُطور

و دنيـــا تَفــــور.. بنـــارٍ ونـــور

بـــما يُتَّقـــى ويُرَجّـــى تَمـــور

صراعٌ مريـــرٌ فُويـــقَ الثُّغـــور

لِنَـوحِ الأســى.. وابتهـالِ الحُبـور

تكـــادُ جِراحاتُـــكِ المُثخَنَـــه

تُصـــفِّقُ منهـــا.. كـــؤوسُ المُـــدامْ[1]

ويبـــدو عـــلى حَجَـــرِ المدخَنَـــه

مواعيـــد حُـــبٍّ.. وشـــكوى غَـــرام

تُخـــالُ نجـــواكِ خلـــفَ السُّـــتورْ

لفـــرط الجـــوى.. قصـــةً في سُـــطور

ويُوشِـــكُ مـــا اختَزَنَتْـــهُ.. الصُّـــدور

يـــرِفُّ عـــلى.. ((لافتـــاتِ المـــرور))

---

[1] تصفق: تمزج.

***

تكـــادُ الأحاســـيسُ فـــوقَ الوجـــوهْ

تُشـــيعُ الهـــوى.. والـــرُّؤى. والمنـــى

و تُوشـــك مَكبوتـــةً.. أن تَفـــوه

تَحِـــلُّ الـــذي يَعقِـــدُ.. الألْسُـــنا

كـــأن طُيـــوفَ الخطايـــا.. تتـــوه

مَـــدىً.. ثـــم تحتضِـــنُ الأعينـــا

كأنـــكِ ((بـــاريسُ)) كـــلُّ الـــدُّنى

بكـــلّ ((الغمـــوض)).. بكـــل السَّـــنا

***

عـــلى كـــلِّ خَصْـــرٍ تلاقـــت يـــدانْ

ألانـــا مُثَقَّفَـــهُ فاســـتلان

وكـــلُّ فـــمٍ حَشْـــوُهُ وردتـــان

همـــا الشـــفتانِ.. همـــا الجَمْرتـــان

أراقَ الزمـــانُ دمـــاءَ الشـــباب

خفـــــافَيهما[1] وهمــــــا يَلْهَثـــــــان

تَمَسّـــح خـــدٌّ بخـــدٍّ يلـــوبْ

مـــن الحُـــبِّ في وجنتيـــهِ نُـــذوب

ولاحَ كـــما لاحَ فـــوقَ السُّـــهوب

رؤى شـــفقٍ في الوجـــوهِ الشـــحوب

كـــأنّي رأيـــت فـــؤاداً يـــذوب

عـــلى مثلِـــهِ بـــدمٍ يَقْطُـــرُ

وأمـــــواجَ عاطفـــــةٍ تزخـــــر

بصـــدرَيْن كـــالبحرِ مستســـلمَيْن

لِكَيْـــفَ تُريـــدُ ريـــاحٌ؟ وأيـــن؟

***

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)).. مِـــن فاتنـــهْ

يُدَغْـــدِغُ فيهـــا النعـــيمُ العـــذابْ

يُـــزيحُ بأجوائِهـــا الداكنـــه

شـــفيفُ الســـنا.. مِزقـــاً مـــن سَـــحاب

تعاليـــتَ ((بـــاريسُ)) مِـــنْ ماجنـــه!!

---

[1] في طبعة وزارة الإعلام العراقية (٣/ ٣٤١) وطبعة دمشق (٥/ ٢٥٣): ليرويهما وهما يلهثان.

ومـــا في مُجانتهـــا مـــا يُعـــابْ
ســوى أنهـــا في.. كـــؤوسِ الشـراب
وجمـــرِ الشـــفاه.. وبـــردِ الرُّضـــاب
تـــرى كـــاذبَ العُمـــرِ مثـــلَ الحَبـــاب[1]

يخـــــادعُ آونـــــــةً.. آونـــــــه
و يَنْسَـــلُّ كـــالعُهْرِ تحـــتَ الثيـــاب

***

إلى الآنَ ((بـــاريسُ)) في مســـــمعي
صـــدى مَـــرَحِ ((العابثـــاتِ)) الحســـانْ
و لمـــحُ العُيـــونِ لهـــا الشـــرَّعِ
وزحـــفُ الصـــحافِ.. وعَـــزْفُ ((الكَـــمان))
و مقهـــــى تكـــــوّرَ كـــــالبُعْبُع
تَمـــاوَجُ جُدرانُـــــه.. بالـــــدُّخان

و مُعـــــترَكٌ.. ببـــــذيءِ الشِّـــــجار
تصـــارخَ.. ثُـــمَّ انتهـــى بـــالحِوار
كـــما اسّـــاقطتْ بالحصـــاةِ الـــثِّمار

---

[1] الحباب: الفقاقيع.

وعـــاد ((الشـــجار)).. لنجـــوى سرار

***

وَ قَــــرَّ دمٌ فـــــار كالمَوقـــــدِ

بمســـحِ الشـــفاهِ.. وعصـــرِ اليـــد

ومـــاتَ الــــذي خِيـــلَ.. لم يُولَـــد

و غـــودر ((أمـــسٍ)).. لمثـــوى غـــد

***

وفاحـــت عطـــورٌ.. مـــن المضـــجعِ

تَنَـــزّى لهـــا قَفَـــصُ الأضْـــلُعِ

ودبَّ الضِّـــرامُ.. عـــــلى الأذرُعِ

فراحـــت تَشـــابَكُ نـــاراً بنـــارْ

و أزَّ الوقيـــــدُ.. وســـارَ القِطـــار

***

ســجا الليــلُ ((بــاريسُ)) ســجوَ الحَمام

تـــدلّى ((الجناحـــان)) منـــهُ فنـــام

ولاحـــت كُـــوىً.. مـــن خِـــلالِ الظّـــلام

تـــرِفُّ عليهـــا.. ظِـــلالُ الغَـــرام

رفيـــفَ العواطـــفِ.. في المقلَتَـــيْن

* * *

وحـــام رهيبـــاً عليهـــا الغـــدُ
خليقـــاً بإنجـــازِ.. مـــا يُوعِـــدُ
فمُـــدَّت.. إلى كـــلِّ بـــابٍ يـــدُ

فأرخَـــتْ ســـتاراً.. مِـــنَ الـــذِّكرياتْ
عـــذارى مـــن النـــورِ.. مُسْـــتَحييات

* * *

وراحـــت.. حنايـــا ضُـــلوعٍ تمـــوجْ
بـــما لم تمُـــجْ في الربيـــع المـــروج
وضـــمّت شَـــتاتَ النجـــومِ.. ((الـــبُروج))

فكـــلٌّ ((طوالِعِهـــا)) أســـعدُ
عـــلى الحـــبِّ تَنـــزِلُ.. ولا تَصْـــعَدُ
ويحنـــو عـــلى ((فَرْقَـــدٍ)).. فَرْقَـــدُ
كـــأنَّ مَـــدَارَهُما مَعْبَـــدُ
ينـــاجي بأحلامهـــا شُرَّدُ
فـــلا ((الـــزاجُ)) منهـــا.. ولا المرصـــدُ

* * *

وثَـــمَّ بصـــيصُ ضـــياءٍ.. يلـــوح

ونفحـــــةُ عطـــرٍ ذكـــيٍّ.. تَفـــوح

وصــــدرٌ يجـــيءُ لصـــدرٍ يـــروح

و حاشـــــيةٌ مـــــن غِطـــاءِ السـرير

وأصـــداءُ نجـــوى كَسَـحْبِ الحريـــر

ونهــــدانِ قامــــا عــــلى الشــــاطئينْ

يَمُـــدّانِ نحـــوَ غريـــقِ الغـــرام

يَـــدَيْنِ يُليحـــانِ بـــالبُرْعُمَين

***

تعاليــتِ ((بــاريسُ)).. كـلُّ الــدُّروبِ

تفَــــايضُ مُفْعَمَـــــةً بالقُبَـــلْ

تعلَّمـــتِ كيـــفَ يَشُـــقُّ الغَـــزَل

طريـــــق الحيـــــاةِ إذا أظلـــــا

مـــن اليـــأس، والتـــاثَ فاســـتجهما

وكيـــفَ تُجِـــدُّ الشـــفاهُ الأمـــلْ[1]

إذا مـــا التـــوى بـــالمُنى عُـــودُهُ

وحُـــلَّ مـــن اليـــأسِ معقـــودُهُ

---

[1] تجد: تشحذ، تقوي.

***

تعلّمــــتِ ((بـــاريسُ)) أنَّ الضَّـــجَرْ
إذا لم يُـــــدَفْ.. بلذيـــــذِ السَّـــــمَر[1]
ولحـــنِ الكـــؤوسِ.. وسَـــجْعِ الـــوَتَر
ومـــا لم تغَـــصَّ بحُلـــوِ اللُّمـــى
شــــفاهٌ.. تعـــودُ لتشــــكو الظّـــما
ومـــا لم يَجِـــدْ مِعْصَـــمٌ.. مِعْصَـــما
لـــه في حِمـــىً مســـتباحٍ.. حِمـــى
أمــــات الضـــميرَ.. ولاثَ الـــدما
ودبَّ دبيـــــبُ الـــرَّدى.. في المُقـــلْ
وجـــرَّرَ عـــدواهُ.. حيـــثُ انتَقَـــل
تعلّمـــتِ ((بـــاريسُ)).. كيـــفَ المَلَـــل
إذا لم تُقَطَّـــــرْ بكــــــفٍّ رفَـــــل
علـــى سُـــمِّه.. قَطْـــرَةٌ مـــن عســـل
لِتَقْتُلَــــــهُ بِمِــــزاجٍ.. قتـــــل!

***

[1] داف الشيء يديفه ويدوفه: خلطه.

تعلّمـتِ ((بـاريسُ)).. كيـفَ الفـروضْ

تــؤدّى. وكيـــفَ تُــوَفّى.. القــروض

تعلّمـــتِ: كيـــف بوشـــمِ العُضـــوض

عـــلى أذرعٍ بضّـــــةٍ يُســـــتدلُ

وكيـــف.. خُصَـــيْلةُ شـــعرٍ تُسَـــلْ

إذا الشَّـــعرُ عِيـــثَ بـــه فانسَـــدَل

بهـــا عـــن ((ســـبائكِ)) تـــبرٍ بَـــدَل

وأن (حسيســـــاً)) كلـــــفٌ يُفَـــــل

لفـــرطِ الـــوَنى.. أولفَـــرْطِ الجَـــذَل

ووجـــداً تنـــاهى لأوجِ الغمـــوضْ

لأوجِ الوضـــــوحِ.. لأوجِ الوَجَـــــل

فـــريضٌ.. ودنيـــا ســـواه نفَـــلْ

***

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)) إنَّ الصـــباح

أطـــلَّ فـــألقى عليـــكِ الوِشـــاح

و ضـــمَّكِ تحـــتَ خَضـــيبِ الجَنـــاح

و ألفـــاكِ غافيـــــةً فاســـتراح

عـــلى صـــدرِكِ العَطِـــرِ النَـــاعِمِ

وأنفـــــاسِ بُرْعُمِـــكِ الحـــــالم

تعاليـــتِ ((بـــاريسُ)) مـــن نـــائم

كـــأن الـــدُّنا كُلَّهـــا نائمـــهْ

بمُقلتِـــــهِ، و بـــــهِ حالِمـــــه

***

تعاليـتِ ((بـاريسُ)) هـلْ مِـنْ مَزيـدْ؟

عـلى مـا لَـدَيْكِ وهـل مِـنْ جَديـد؟

ومـــاذا تركـــتِ لهـــذا الوجـــود؟

إلى المـــوتِ يَرجِـــعُ أوْ لِلخُلـــود

وللكائنـــاتِ سِـــوى أنْ تُعيـــدْ

نـــماذجَ مـــن حُسْـــنِكِ المســـتفيضْ

بـــماذا يعوِّضُـــها المســـتعيض؟

***

بـــماذا يعـــوِّضُ هـــذي الخـــدودْ

مزبَّـــرةً كغُصـــونِ الـــوُرود

ومثقلـــــةً بـــــثمارِ النُّهـــــود

بهـــذا الـــرُّواءِ.. بهـــذا البَريـــقْ

يُفـــيْضُ عليهـــا شُـــواظُ الحريـــق

كأنّـــــكَ تَعْـــــرِفُ عُنْوانَهــــــا

و رافقـــــتَ مـــن قبـــلُ إنســـانها

و أصـــبحتَ تَعْـــرِفُ مـــاذا يقـــولْ

كـــــأنّ عواطفَـــــهُ و الميــــول

خيــــولٌ أُبـــيحَ لهـــا أنْ تَجُـــول

بحيـــــثُ تشـــــاءُ، ومَيـــــدانُها

صـــميمُ القلـــوب، وصَـــفْوُ العقـــول

بغداد، عام ١٩٤٨

أنيتا

أنّى وُجـدْت ((أنيـتَ))لاحَ يَهُزُّني طيـفٌ لوجهـكِ رائـعُ القسـماتِ
ألق ((الجبين)) أكاد أمسح سطحه! بفمـي، وأنشِـق عِطـرَه بشـذاتي
ومُنوَّر ((الشفتين))، كادت فرجـةٌ مـا بـينَ بـينَ تسـدُّ مـن حسـراتي
وبحيثُ كنتُ تساقَطت عن جانبي نظـراتُ محترِسـين مـن نظـراتي!
نَهـب العيـون يُثيرهـا ويزيغهـا إطـراق أشـعثَ زائـغِ اللفتـات
متـوزِّع الجنبـات يَرقُـبُ قادمـاً! شِـقٌّ وآخـرُ مـال للطرقـات
حسبي وحسبك شـقوةٌ! وعبـادةٌ! أن ليس تفـرُغُ منـك كـأسُ! حيـاتي

بغداد، عام ١٩٤٨

(*) كان حباً عارماً لا يريد – ولا يقدر لو أراد – أن يقف عند حدّ!

كان كأنه يتفجّر عن ((يَنبوع)) خفيٍّ ثجاج.

كأن سرَّ الخفاء في هذا الينبوع.. رغباتٌ!.. وآلامٌ!.. ومطامح!.. ظلّتَ طوال ثلاثين عاماً هي عصارة العمر الزاحف! يسحق بعضها بعضاً!..

حتّى لو وجد هذا الينبوع المختنق منفذاً بديلاً عنه لما اختلف الأمر بكثير!

لقد كان هذا الحب من (الفورة!) و (السورة!..) بدرجة أنَّ صاحبه كان لا يرى في ملامح المرأة التي أحب إلا ما يراه العازف المتجرد في أنغام قيثارته من أنها طريق للتعبير! وشعار للانطلاق..

على هذا الضوء تلتقط الصورة .. الصادقة لقصيدة.. أنيتا! (د. فلاح)

شهرزاد

شهرزاد من أجمل ((المراقص)) الفنية في باريس.. إنه يمت بخياله الفني الرائع، وبجوه السحري الفاتن وبهندسة الألوان الحالمة فيه، إلى الخيال الشرقي المستوحى من ((ليالي شهرزاد)) المعروفة بـ ((ألف ليلة وليلة)).

وقد عالج الشاعر هذه القصيدة في أثناء وجوده في ((باريس)) عام ١٩٤٨م.

إنَّ وجــهَ الــدُّجى ((أنيتــا)) تجــلّى

عــن صــباحٍ مــن مُقلَتَيــكِ أطَــلّا

وكــأنَّ النجــومَ ألقَــيْنَ ظِــلّا

في غــديرٍ مُرقــرَقٍ ضَحْضــاحِ

بــينَ عينيــكِ نُهبــةً للريــاح

وغيــاضُ المُــروجِ أهــدَتكِ طَــلّا

إنَّ هــذا الطــيرَ البليــلَ الجَنــاحِ

المُــدوِّي عــلى مُتــونِ الريــاحِ

والــذي أزعــجَ الــدُّجى بصَــباحِ

عــبَّ في الليــل مــن ((ثُغــورِ)) الأقــاح

رشــفةً مــجَّ عِطرَهــا وتــولّى

حيــثُ هــذا الــرأسُ الجميــلُ تــدلّى

والفِــراشُ الــذي بــه يــتمَلّى

وبحيــثُ ارتــدَّتْ هَبــاءَ نَثــيرا

تمــلأُ الــنفسَ والفضــاءَ عبــيرا

خُصــلاتٌ مِــن شَــعرِكِ الــذَهبيِّ

كنــتِ فيــهِ الثــريَّ أيَّ ثــرِيِّ

***

إســـمعي، إســـمعي ((أنيتـــا)) فهنّـــا

وهُنـــا، صـــادِحٌ صَـــبا فتغنّـــى

والطريـــقُ المهجـــورُ عـــادَ فرَنّـــا

مِـــنْ جديـــدٍ ببعثِـــه يتهنّـــى

فلقـــد دبَّـــتِ الحيـــاةُ إليـــه

وتمشّـــى المعـــاوِدونَ عليـــه

***

إســـمعي وقـــعَ رائحـــينَ وغـــادي

وتَمَـــلَّيْ مِـــنَ الوُجـــودِ المُعـــادِ

والقِطـــارَ المجَلجِـــلَ المُتهـــادي

في ســـفوحٍ مُنســـابَةٍ و َوِهَـــادِ

إســـمعي، إســـمعي ((أنيتـــا)) صَـــداهُ

تجِـــدي عـــن صَـــدى الزَّمـــانِ بـــديلا

وتَـــرَينَ الـــدُّنيا تُجِـــدُّ رَحـــيلا

بالأمـــانيِّ غُـــدوةً وأصـــيلا

***

إنَّ وجـــهَ الـــدُجى ((أنيتـــا)) يُلـــيحُ

والليـــالي في ((شـــهرَزَادَ)) تَصـيحُ

ههُنـــا، ههُنـــا يَطيـــبُ الصَّـــبوحُ

حُلُـــمٌ رائِـــعٌ وطيـــفٌ لذيـــذُ

بهـــا اليـــومُ مِـــن غـــدٍ يســـتعيذُ

واللَّيـــالي مِـــن اللَّيـــالي تَلـــوذُ

فطريـــــدٌ مؤمَّـــــلٌ، وأخيـــــذُ

حُلُـــمٌ رائـــعٌ كـــأنَّ الخَيـــالا

حـــينَ ضـــاقَت بـــه الحيـــاةُ مَجـــالا

مَـــلَّ أســـفارَهُ فحـــطَّ الرِّحـــالا

ههُنـــا، فهـــو عـــن سِـــواهُ صَـــدوفُ

وهـــو في أعـــيُنِ السُّـــقاةِ يَطـــوف

لِجناحيـــهِ في الكـــؤوس رفيـــف

ورنـــينُ الأوتـــارِ منهـــا حفيـــف

حُلُـــمٌ رائـــعٌ، وجـــوٌّ لطيـــفُ

والنَّـــدامى عـــلى الكـــؤوسِ عُكـــوف

والأبـــاريقُ نـــالَ منهـــا النَّزيـــف

غـــير أنّـــا - ورُبَّ صـــفوٍ يُخيـــف -

مَلَـــكَ الـــذُّعرُ نفسَـــنا والفـــؤادا

ونسِـــينا حتـــى المُنـــى والمُـــرادا
وأبحْنـــا للعاطِفـــاتِ القِيـــادا
أتـــرى أنَّ هـيـــذه ((الشـــهرزَادا))
ذكَّرتنـــا أحلامُهـــا ((بغـــدادا))؟

***

يـــا حبيبـــي! وهـــذه الأطيـــافُ
عـــن قريـــبٍ بيقظـــةٍ ســـتُداف
وإلى مثلهـــا انقضـــتْ، ستُضـــاف
يـــا حبيبـــي! وهـــذه الأعطـــاف
تتثنّـــى عـــلى الكـــؤوسِ دَلالا
كـــلُّ عِطـــف، لـــولا الحيـــاءُ لســـالا
ســـوفَ تنهـــدُّ بعـــدَ حـــينٍ كَـــلالا
حـــينَ تســـتامُها الحيـــاةُ النِّضـــالا
حـــينَ تَلقـــى مـــا لا تُطيـــقُ احـــتِمالا

***

يـــا حبيبـــي: وهـــذه النَّظـــراتُ
في مُـــذابِ الفُتـــورِ مُنكسِـــراتُ
والوجـــوهُ الحيِيَّـــةُ الخَفِـــراتُ

والنُّفـــوسُ الفيّاضـــةُ الخـــيِّرات

والشِـــفاهُ النديَّـــةُ العَطِـــرات

والشُعورُ المسترسِلاتُ انسيابا

وجفـــونٌ تســـتثقِلُ الأهـــدابا

والأكُــفُّ التـــي تـــذوبُ انجـــذابا

كـــلُّ خَصرٍ بكـــلِّ كـــفٍّ يُلَـــفُّ

وشِـــفاهٌ عـــلى شِـــفاهٍ تَـــرِفُّ

وقلـــوبٌ مـــن صـــفوها تُستَشَـــفّ

كـــلُّ هـــذا، وكـــلُّ مـــا غـــيرُ هـــذا

عـــن قليـــلٍ سيســـتطيرُ رَذاذا

***

فـــأفيقي فقـــد تَنـــاهى المَطـــافُ

واســـتردَّتْ هِباتِهـــا الألطـــاف

هـــا هُـــمُ العـــازِفونَ حولَـــكِ طـــافُوا

يســتعيدُونَ مِـــن صـــدى الأجيـــالِ

وحفيـــفِ الأحـــراشِ و الأدغـــالِ

مـــا يَخـــالُونَ أنَّ في مُقلتيـــكِ

وارتجـــاجِ المُيـــول في وجنتيـــك

ونَشـــيرِ الجَـــديلِ عـــن جانِبيـــك

صِـــلةٌ بينَـــهُ وبـــينَ الخَيـــالِ

لستُ أدري ((أنيتُ)) كيفَ استحالا

وجهُـــكِ المُســـتظِلُّ بالأضـــواءِ

خافِتـــاتٍ كعاطفـــاتِ المُرائـــي

نغَـــماً ســـارِباً مـــع الأنغـــامِ

***

يـــا حبيبـــي! وللنـــديمِ هُمـــومُ

يُقعِـــدُ ((الكـــأسَ)) ثِقلُهـــا .. ويُقـــيم

يـــا حبيبـــي! و((ليـــتَ..))، شيءٌ عَقـــيم

ليـــتَ أنَّ الحيـــاةَ ظِـــلٌّ مُغـــيم

هكذا:

ليـــتَ أنَّ عيشـــاً يـــدومُ

مثلَ هذا،

ليـــتَ ((الشـــقاءَ)) سَرابُ

يرتعـــي المـــرءُ ظِلَّـــه ويهـــابُ

من بعيدٍ،

ليـــتَ ((النعـــيمَ)) شرابُ

كلـــما ألهَــبَ الســرابُ النُفوســـا

نَهَلَــتْ مِنـــهُ، تســتزيدُ، الكؤوســـا

ليـتَ ((دمـعَ)) الفجـرِ الحـزينِ البـاكي

لفــراقِ الــدجى، بعــينِ الــورودِ

ويـــذَوبِ النـــدى، يعــودُ فيرقـــا

ليـــتَ أنَّ ((الظـــلامَ)) يرتـــقُ فتقـــا

شـــقَّهُ الصـــبحُ في ((الربـــى)) والسِّـــكاكِ

ليـــتَ أنَّ ((الـــدُجى)) يعـــودُ فيُســـقى

مـــن كـــؤوس النـــدمانِ والأقـــداحِ

ليـــتَ هـــذا الظـــلَّ الخفـــوقَ الجَنـــاحِ

يرتمـــي فوقَهـــا مـــن المِصـــباحِ

مُشـــعِراً بانصـــرامِ حَبـــلٍ تبقّـــى

مـــن حبـــالِ الـــدُّجى يعـــودُ فيَرقـــى

***

يـــا حبيبـــي راحَ ((الظـــلامُ)) يُـــداحُ

والأبـــــاريقُ ظِلّهـــــا ينـــــزاح

عـــن مُغِـــدٍّ في سَـــيرِهِ، وطلـــيحِ

ومُبـــاحٍ لحُكْمِهـــا، ومُبـــيح

و ((ظِلالٌ)) من الدمِ المسفوح!

بيد ((الصُّبحِ)) في الفضاء الجريح!

راعشاتٌ على الثرى، والحُقولِ

وعلى الجدولِ الرتيبِ المَسيل

في مُرَيجٍ أهدى الصَباحُ إليه

قُبلةً تَخْلَعُ الدلالَ عليه

وتهادى النّسيمُ بين يديه

مُتْعَباً، ناعِساً، بليلاً، كسولا!

لم يَجِدْ مثلَه الصباحُ رسولا

لِلقاء السنابلِ المُغْفياتِ

في دثارٍ ضافٍ من الذِّكريَاتِ؟

ولإيقاظِ تلكُمُ ((المُغرياتِ))!

من صبايا الحُقول، والفتيات!

سالِكاً ذلكَ السَبيلَ الجميلا

في ثنايا الثّيابِ والطيّاتِ!!

* * *

و ((ظِلالٌ)) من الغُيومِ الرِّقاق

فوق خُضْرِ الرُّبى، وبينَ السواقي

تتلاقـــى بمَوعـــدٍ للتلاقـــي!

بظـــلالٍ كـــأنّهُنَّ خيـــوطُ

يَتشـــابكنَ جَيْئَـــةً، وَ ذهابـــا

مـــن طيـــور تجمَّعـــت أسْرابـــا

يَتغـــازَلْنَ والصَّـــبا، والضَّـــبابا

تتحـــدّى قِناعَـــه و تُمـــيطُ

* * *

يـــا حبيبـــي ورغبتـــي ودلـــيلي!

إنَّ لـــونَ الظـــلامِ حـــالَ فحُـــولي!

والـــدّراري بعـــدَ الصـــراعِ الطويـــل

وســـنا الفجـــرِ ينحـــدِرْنَ فُلـــولا

وبنـــاتُ الـــنَعْشِ المُقِـــلِّ القتـــيلا

يتَـــذوَّبنَ حَســـرةً و عـــويلا

و يُجـــرِّرْنَ مـــن حِـــدادٍ ذيـــولا

مُســـبَلاتٍ عـــلى المجـــرِّ الـــذليلِ

يـــا حبيبـــي! مـــالَ الزمـــانُ فمـــيلي

و أمـــيلي بموضـــعِ التّقبيـــل!

* * *

يـــا حبيبـــي: لم يبـــقَ لي مـــن مـــآبِ
مـــن لُبانـــاتِ هـــذه الأطيـــابِ
و ((الظـــلامِ)) المزعـــزَعِ الأطنـــاب
ومُجاجـــاتِ عِطْـــرِهِ المُنســـاب
غـــيرُ هـــذا ((الليـــلِ!)) الفســـيحِ الرِّحـــاب
بـــين جَفنيـــكِ حـــارَ والأهـــداب

* * *

إيْ وعَيْنَيْـــكِ والخيـــالِ الشَّـــرودِ
إيْ وهـــذا الغـــورِ الســـحيقِ البعيـــد
بـــين مُوقَيْـــكِ يَســـبِقُ الأبعـــادا
إيْ و ((صـــحراءَ)) صَحصَـــحٍ.. تتنـــادى
عنـــدَها مـــن ((عـــوالِمٍ)) أصـــداءُ
إيْ ولمـــحٍ..! مـــن السّـــنا يتهـــادى
فتســـيرُ الأطيـــافُ والأهـــواءُ
خلفَه،
إي وصـــامتٍ كالجليـــدِ
ومـــدوٍّ كقاصـــفاتِ الرُّعـــود
منهما،

إيْ وذلـــــك ((الإنســــانِ))!

هازئـــا بــــالمَلاكِ، والشــــيطانِ:

لَامتِـــدادُ الفضـــا، وعُنــفُ الــدياجي

وخِضَـــمٌّ مـــن بحـــرهِ العجّـــاج

دِونَ هــذا الطــرفِ الكحيــلِ الســاجي

روعــــةً وانبســـــاطةً واقتـــــدارا

إيْ، وعينيـــكِ حلفـــةً لا تُمـــارى

بغداد، عام ١٩٤٨

ذكريات

(أنيتا-القطيعة)

هذه القطعة الثانية من قصيدة ((أنيتا)) نُظمت في فترة القطيعة، وهي استعراض وتذكر للفترة السابقة، وتعداد لمظاهر تلك الذكريات.

لا تَمُــرِّي ((أنيــتُ)) طَيفــاً ببــالي

مــا لِطيــفٍ يسُــمُّ لحمــي ومــالي؟

أنــا عنــدي مــن مُوحِشــاتِ الخَيــالِ

الطَّيـــوفُ المُعرِّســـاتُ حِيـــالي

كـــذئابٍ مســـعورةٍ وسَـــعالي

بـــل تَعـــالَيْ إلى يَـــديَّ، تعـــالِي

فهُـــما الآنَ يَحضِـــنانِ الفِراشـــا

خاليـــاً منـــكِ يســـتفيضُ ارتعاشـــا

***

ههنـــا، ههنـــا، مكانُـــكِ أمـــسِ

ههنـــا، مـــسَّ أمـــسِ رأسُـــكِ رأسي

ههنـــا أمـــسِ، أمـــسِ، ذوَّبـــتُ نفســـي

في يبـــيسٍ مـــن الشـــفاهِ الظَّـــوامي

تتســـاقى مِـــن القلـــوب الـــدّوامي

***

أمـــسِ كنّـــا هُنـــا هنـــا نتســـاقى

مـــن كـــؤوسِ الهـــوى دِهاقـــاً وِفاقـــا

أمـــسِ كنَّـــا رُوحـــاً بـــروحٍ تَلاقـــى

ويــــــداً تحتــــــوي يــــــداً، وفُــــــؤادا:

لأخيـــــهِ يبـــثُّ نجـــوى، وعينـــا:

تَرتعـــي أُختَهـــا، فكيـــفَ وأينـــا؟

عـــادَ مـــا كـــانَ أمـــسِ منَّـــا طِباقـــا

وحشـــــــةً و ارتعاشـــــــةً وفِراقـــــــا

***

أمـــسِ، أمـــسِ، التقـــت هُنـــا شَـــفَتانِ

كانتـــا مـــن عجيـــبِ صُـــنع الزمـــانِ

ذوَّبَ الـــدهرُ مـــن مـــزيجِ الأمـــاني

فـــيهما، كـــلَّ مـــوحِشٍ ولطيـــفِ

و بليـــــدٍ وحـــــائرٍ وعصـــــوفِ

***

أمـــسِ، أمـــسِ، التقـــت هنـــا شـــفتانِ

يســــــتطيرانِ ((وَقــــــدةً)) وأوارا

ويســــــيلان في المراشــــــفِ نــــــارا

ويُثـــــيرانِ مـــــن شَـــــكاةِ الزمـــــانِ

في لُهـــاثِ الأنفـــاسِ مثـــلَ الـــدخان

وكــأنَّ العيــونَ بُلهــاً، ســكارى

مــن عِثــارِ اللُّهــاثِ تُكســى غُبــارا

***

أمــسِ، راحــتْ عــلى الشــفاهِ تــدور

قُــبُلاتٌ مــن قبــلُ كانــت أســارى

في شِــغافِ الفــؤادِ، حَــيرى، تمــورُ

وزوانٍ! كــأنهُنَّ العــذارى

أمــسِ، رُدَّتْ إماؤهــا أحــرارا

وأماطــتْ عــن ((الضّــميرِ!)) السِّــتارا

فبــدا ذلــك ((الحِــمارُ!!)) الصــغيرُ

مــثقلاً، فوقــه الخنــا، والفجــورُ!

يأكُــلُ الشــهوةَ الفظيعــةَ.. نــارا

ويعُــدُّ الصــبرَ القبــيحَ فخــارا

ثُــمَّ يَطغــى ســعيُرها ويثــورُ

فــوقَ وجــهٍ يَضــوي، وعــينٍ تغــورُ

ثــمَّ يُلــوي بِثِقْلِــهِ.. ويخــورُ

***

أمــسِ ((نبــعٌ)) بــين الشــفاه طَهــورُ

غسَلَ الحِقدَ، والخنا، والعارا
ونهى (الرِّجسَ) أن يكون شعارا
أمسِ، راحت على الشِّفاهِ تدورُ
هَمَساتٌ تُصغي لهنَّ الدُّهورُ
وبذيل ((المجرِّ)) منها عبيرُ!

***

ههنا أمسِ، كانَ خيطٌ يَرِقُّ
من نسيجِ الدُّجى، وفجرٌ يشُقُّ
دربَه، والنجومُ شِقٌّ وشِقُّ
ههنا أمسِ، كانَ جَرْسٌ يَدُقُّ
ضرَباتٍ ((سِتّاً)) يرنُّ صَداها
وتُفيقُ الدُّنيا على نجواها

***

أمسِ مدَّ الصباحُ كفّاً فحلّا
من نجومِ السماءِ عِقداً تحلّى
بسناهُ الدُّجى، وفرَّقَ شَملا
أمسِ، إلّا نجماً دنا فتدلّى
يُرغِمُ الشمسَ أن ترى منهُ ظِلّا

أمــسِ، هــذا الــنجمُ الغريــبُ أطــلّا

مِـــن عـــلى شُرفـــةٍ نُطِـــلُّ عليهـــا

ونُزَجّـــي همـــسَ الشـــفاهِ إليهـــا

* * *

أمــسِ، هــذا الــنجمُ المنــوَّرُ كانــا

يَرتبـــي مـــن ذُرى الســماءِ مَكانـــا

أمـــسِ، والآنَ لا يـــزالُ عِيانـــا

وســـيَرتَدُّ بُكـــرةً وعشِـــيّا

مـــاثِلا ظِلُّـــه الخفـــوقُ لـــديّا

يمـــلأُ الـــنفسَ لوعـــةً وحنانـــا

* * *

كـــانَ في ظِـــلِّ غيمـــةٍ تتهـــرّى

ترتَديـــه طَـــوراً، وطَـــوراً تَعـــرّى

ومشـــى ((ســـانِحٌ)) إليـــه، ومـــرّا

((بـــارحٌ)) جَنبَـــه، وكـــانَ جَنـــاحُ

يلتقـــي جنـــبَ آخـــرٍ ينـــزاحُ:

عنـــهُ؛ في حـــينَ راحَ يبغـــي مَمَـــرّا

بـــينَ هـــذا وذاكَ حتّـــى استقرّا

أفتــــدرِينَ أيـــنَ؟ تــــدرينَ أينـــا!!

فلقـــــد كنـــتِ تملئـــينَ العَينـــا

مِـــن جمـــالِ ((الشُّــجيرةِ)) الورفـــاءِ

تـــــــتراءى كقُبّـــــــةٍ خَضــــراءِ

عـــن يمـــينِ الحديقـــةِ الغنّـــاء

بُرهـــةً! ثُـــمَّ راحَ يمشـــي الهوَينـــا

و الهُوَينـــا! حتـــى اضْـــمَحلَّ فغابـــا

وانطـــوى ثـــمَّ عـــادَ أمـــسِ فآبـــا

وتمشَّـــــى فُويـــقَ، ثُـــمَّ دُوَينـــا!

ورآنـــا – ولا نـــؤوبُ – انطوينـــا

ورأى غيرَنـــا يُجِـــدُّ مكانـــا

كـــانَ في أمـــسِ مَرْتَعـــاً لِهوانـــا

هكـــذا، هكـــذا، أردنـــا فكانـــا

فلنُخَـــلِّ القضـــا! ونُعْـــفِ الزمانـــا

بغداد، عام ١٩٤٩

فـــراق

(أنيتا – التلاقي)

رفَّ جُـــنْحُ الـــدُّجى ((أنيـــتُ)) عَليّـــا

رفَّـــةً خِلـــتُ وَقْعَهـــا في عظـــامي

كـــان أحنـــى، وكـــان أشـــهى إليّـــا

لـــو طَـــواني عنـــه جَنـــاحُ الحِـــمامِ

لـــو تعوَّضـــتُ ثَـــمَّ عـــن مُقلتيّـــا

مُقلَتَـــيْ هـــانِيءٍ تعـــرّى فنامـــا

وتناســـى اللَّـــذاتِ والآلامـــا

***

خِلْـــتُ أني منـــه أنـــازِلُ ذِئبـــا

رَجَفـــتْ بـــالعُواءِ منـــه القِفـــارُ

خِلـــتُ أنَّ النجـــومَ تَـــنقَضُّ رُعبـــا

و ســـماءً تُقِلُّهـــا تنهـــارُ

والأحاســـيسُ شـــبَّ منهـــا أوارُ

لـــفَّ عينـــيَّ وَهجُـــه فاســـتطارا

ضَرَمـــاً يُمطِـــرُ الفُـــؤادَ شرارا

***

يـــا هَنـــائي وشَـــقوتي: يـــا نعيمـــي

وجحيمـــي: يـــا كـــوثري وحميمـــي

يـــا وَقـــائي مـــن وافـــداتِ الهُمـــومِ

جنِّبينـــي رَتـــعَ الظـــلامِ البهـــيمِ

في عِظـــامي، بـــالثغرِ منـــكِ البســـيمِ

وأديـــلي مـــن حُكـــمِ هـــذا الظَّلـــومِ

بِصِـــراطٍ مـــن لُطفـــكِ المســـتقيمِ

***

يـــا رُقـــادي إذا اســـتطالَ سُـــهادي

وسُـــهادي إذا ذَمَّـــتْ رُقـــادي

يـــا صـــميماً أضَـــعتهُ مِـــن فُـــؤادي

ثـــم ألفيـــتُ في يـــديكِ الصـــميما

لا تهبّـــي عـــليَّ إلّا نســـيما

يَـــنفَحُ اللُّطـــفَ والهَـــوى والشَّـــبابا

يـــا يـــدَ الله رحمـــةً وعـــذابا

إفتحـــي لي مِـــن الهنـــاءةِ بابـــا

ســـامحي ســـامحي، فـــإنَّ اللَّيـــالي

التّـــوالي مـــنهنَّ مثـــلَ الخـــوالي

نـــاقلاتٌ ســـاعاتِها كـــالظِّلالِ

لِســـوانا، ونحـــن عـــمّا قريـــبِ
نـــتراءى مثـــلَ الخَيـــالِ المُريـــبِ

***

ســـامحي! إنَّ روعـــةً وشـــبابا
وجلـــوداً مجلُـــوَّةً وإهابـــا
ســـوف تغـــدو إذا أطـــار الغُرابـــا
منـــكِ هـــذا (الـــثلجُ!) النـــديفُ سَرَابـــا

وســـيبقى عـــلى الزمـــانِ نَـــدِيّا
وعـــلى لافـــحِ الهجـــيرِ عَصِـــيّا
خـــافقٌ لا تَرَيْنَـــهُ اليـــومَ شـــيّا

بغداد،عام ١٩٤٩

وداع

(انيتا الرحيل)

((أنيــتُ)) نزَلنــا بــوادي السِّــباعْ

بــوادٍ يُــذيبُ حدِيــدَ الصِّــراع

يُعَــيِّرُ فيــه الجبــانُ الشُّــجاع

((أنيــتُ)) لقــد حــانَ يــومُ الــوداع

***

إليَّ إليَّ حبيبـــــي ((أنيـــــتْ))

إليَّ إليَّ بجيـــــدٍ ولِيـــــت

كـــأنَّ عُـــروقَها النـــافِرات

خُطــوطٌ مِــن الكلِــم الســاحِرات

إليَّ بـــذاكَ الجبـــينِ الصَّـــليتْ

تخـــافَقَ عـــنْ جانبيـــهِ الشَّـــعَرْ

يبُـــثُّ إليَّ أريـــجَ الزَّهَـــرْ

ســيَعبِقُ في خـــاطري مـــا حَيِيـــتْ

ويُـــذكِرُني صَـــبوتي لـــو نَسِـــيت

إليَّ إليَّ حَبيبـــــي ((أنيـــــتْ))

***

إليَّ إليَّ بـــــذاكَ الـــــذِّراعْ

أبـــضَّ تفـــايَضُ مِنـــهُ الشُّـــعاع

أطِــــلّي عـــليَّ بـــهِ كالشِّـــراع

فقـــد لَفحَتنـــي سَـــمومُ العِـــراقْ

فـــألهبنَ مِنَّـــيَ جُـــرحَ الفِـــراق

إليَّ إليَّ بـــــــه للعِنـــــــاق

لغـــيرِ العِنـــاقِ الـــذي تَعـــرِفينْ

بحيـــثُ يلُـــزُّ الـــوتينُ الـــوتين

عَشِـــيَّةَ أهتِـــفُ أو تهتِفـــين

لـــنجم القَضـــا، ولسَـــهمِ القَـــدَرْ

وللمُســـتَقِرِّ بـــذاكَ المَقَـــرّ!!!

بـــأنْ لا يُميِّـــلَ هـــذا السَّـــفينْ

إلى حيـــثُ أرهَـــبُ، أو تَـــرهَبين

إلى وَحَـــلٍ مـــن دُمـــوعٍ وطـــين

***

إليَّ بصـــــدرِكِ ذاكَ الخِضَـــــمّ

مِـــنَ العاطفـــاتِ العُجـــابِ الشِـــيَمّ

مِـــنَ العاصـــفاتِ بلحـــمٍ ((ودَمّ))

***

تُلَــــونُ وجهَــــكِ في كـــلِّ آنْ
بـــما لم تُلَـــوِّنْ فُصـــولُ الزّمـــان
أحاســـيسُ تعُـــرِبُ عـــن كـــلِّ شـــان

***

كـــأنَّ وُجوهـــاً عَـــداداً لـــديكِ
تَـــرِفُّ ظِـــلالاً عـــلى مُقلَتيـــك
كأنَّـــكِ تُلقِـــينَ عـــن عاتِقيـــك

بتلـــكَ الظـــلالِ القِبـــاحِ، اللِّطـــاف
وأشـــباجِهنَّ السّـــمانِ العِجـــاف

عنـــاءَ الضـــميرِ، وثِقْـــلَ السِـــنين
وجهـــلَ المصـــيرِ، وعِلْـــمَ اليقـــين:
بلُطـــفِ الحيـــاةِ وجُهـــدِ الظَّنـــين:

بســـاعاتِها أنْ يـــروحَ الحِـــمامْ
إلى الصـــمتِ، يـــدفعُها والظـــلام

***

إليَّ إليَّ حبيبـــــي ((أنيـــتْ))
إليَّ بنبـــعِ الحيـــاةِ المُميـــتْ
إليَّ بـــذاكَ النظـــيمِ الشّـــتيت

بثغـــــركِ ذاكَ العبـــــوسِ الطـــــروبْ

يَـــــرفُّ إذا مـــــا عـــــلاهُ الشُّـــــحوب

كـــــأنِّيَ أقـــــرأ ((سِـــــفر)) الغُيـــــوب

عـــــلى شـــــفَتيكِ، و((سِرَّ)) الخفايـــــا

كـــــأنِّيَ أســـــمعُ عتـــــبَ الـــــذّنوب

عليـــــكِ، ووقـــــعَ دبيـــــبِ الرزايـــــا

كـــــأنِّيَ أشربُ كـــــأسَ الخطايـــــا

وســـــؤرَ دمٍ مُهـــــدَرٍ مِـــــن سِـــــوايا

كـــــأنِّيَ أمضُـــــغُ لحـــــمَ الضّـــــحايا

تنـــــاثرُ مِـــــن بـــــينِ تلـــــكَ الثنايـــــا

كـــــأنَّ الـــــزفيرَ بـــــنفحِ الطُّيـــــوبْ

إذا امتَزجـــــا يَكشِـــــفانِ النوايـــــا

ويَستصْـــــرِخانِ أثـــــيماً يتـــــوبْ:

عـــــلى مـــــا تجَرَّمـــــهُ مِـــــن منايـــــا

إليَّ هَـــــــــــواني، إليَّ هَوايـــــــــا

إليَّ المُنـــــى تُشـــــترى بالمنايـــــا!

* * *

إليَّ إليَّ بتلـــــــــــــــكَ البقايـــــــــــا

مِـــن المُسْـــأراتِ بتلـــكَ الجيُـــوبْ

إليَّ بصَـــفوِ النعـــيمِ المَشـــوب

بلَفـــحِ أُوارِ الجحـــيمِ الشَّـــبوب

إليَّ إليَّ أغيثـــــي ظمايـــــا

فقـــد نـــالَ مِـــن شـــفتيَّ اللُّغـــوبْ

بغداد، عام ١٩٤٩

برم بالشباب

برِمتُ بريعانِ هذا الشبابِ ... تخارَسَ في الفجرِ صدّاحُهُ
وجاء خِضَمَّ الحياةِ الرهيب ... وكفَّ عن الجدفِ ملّاحُهُ
برمتُ فليتَ الردى عاصفٌ ... بهذا الشباب فيجتاحُهُ
أموتُ وجهدُ الحياةِ اللذيذ ... تطوفُ بعينيَّ أشباحُهُ
تُهدهِدُ روحيَ أمساؤه ... وتُنعِشُ نفسيَ أصباحُهُ
أموتُ وبي ظمأ للشَّجا ... تهُبُّ فتعصِفُ أرياحُهُ
فمالي وللعيشِ لا تُستثارُ ... بنارِ التحرُّقِ أطماحُهُ
ومالي وللموتِ إنْ لم ترِفَّ ... عليَّ من الحُزن أفراحُهُ

***

سيُطربُني وقعُ زحفِ السنين ... بسرِّ الحياةِ، وعُمقِ القِدَمْ
وتفتحُ عينيَّ سُودُ الدياجي ... يُنوِّر منها بريقُ الألم
ستُلهِبُني عاصفاتُ الرِّياحِ ... فقد ملَّ سمعي بريقُ النَّسم
أرى الموتَ نبعَ الحياةِ الجميل ... إذا خَضَّبته الليالي بدم
وعن وهَجِ الكأس كأسِ الوجودِ ... تُترجِمُ عيناي سرَّ العدم

ألَــذُّ عنــاقَ ظِــلالِ الحيــاةِ تخــالَطَ فيهــا سرورٌ بهَــمّ!

ولا أعــرِفُ النــومَ حتــى تــرِفَّ عــلى جانبيــهِ نُســورُ الحُلُــم

يُصــافقُ منهــا الجنــاحُ الجنــاحَ وتُوشِــكُ مــن زحمــةٍ تــرتَطم

ولم أدر مـــا يقظـــةٌ لا تُثـــارُ عواصـــفُها برهيـــبِ الــنَّغم!؟

بغداد، عام ١٩٤٩

(*) كتبت إلى الشاعر أحدى فتيات بغداد كتاباً تبثّه فيه آلامها وهي في ريعان شبابها، وتعدد له مظاهر القساوة والجمود والقيود التي تحيطها، وتستثير فيه الشاعرية لتصوير جزعها من مثل هذا الشباب.

هاشم الوتري

ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم للدكتور (هاشم الوتري) عميد الكلية الطبية بجامعة بغداد، واستغل الشاعر دعوته إلى هذا الحفل ليعبر عن غضبه على الوضع والنظام القائم، وروى الشاعر ظروف القصيدة وملابسات إلقائها لمجلة المثقف العربي التي نشرتها في عددها الثاني لشهر حزيران عام ١٩٧١ قائلاً: كان الجو السياسي محتدماً، وكنت أشعر أن الواجب يقضي بأن أحدد موقفي. كان كل شيء يدفع إلى الحدية: الجو السياسي، المناسبة، شخص (نوري السعيد)، شخص (الجواهري)، كنت موطِّناً نفسي حتى الموت!.

اتصلوا بي هاتفياً، وطلبوا إليّ بإلحاح أن أشارك بقصيدة في الاحتفال، فتظاهرت بالرفض. فألحوا، وأصررت على الرفض. وفي حقيقة الأمر كنتُ أُهلِّلُ للطلب، كنت أرقص وراء التليفون، وإنما كان الرفض تظاهراً ودلالاً. لأنني أردت إلا أدع لهم مجالاً للتنصل من الدعوة إذا ما علموا بما كنت مُزمعاً عليه.

قلت (لإسماعيل ناجي) – سكرتير (الوتري) – إن القصيدة قد توقعهم في مأزق، فقال: لا عليك إن نقابة الأطباء ستتحمل المسؤولية. (وبالمناسبة فالدكتور ((اسماعيل ناجي)) هذا هو نفسه الذي أذاع بياناً على الصحف يقول فيه: إنهم لم يدعوني إلى المشاركة في الاحتفال، كل ذلك – والبطاقة ((المذهبة)) بالدعوة إياها كانت وما تزال معي – ولربما كانت حتى الآن بين أوراقي).على هذا النحو تثبتُّ، ومن فوري عرضت مطبعتي للبيع، ونشرت إعلاناً في الصحف بذلك. أردت أن أدخر ثمن المطبعة للعائلة ضماناً لها وتحسباً لما قد يحدث فيما بعد. ولا أكتمك أن العائلة كانت يومئذ تشتري حتّى الخبزَ والحليبَ بالدين!!.

وما إن نُشر الإعلان حتى صادفني في مقهى (حسن العجمي) شاب ذكر أن اسمه ((حسن)). كانت الجريدة مغلقة (يقصد جريدة الرأي العام)، فعرض عليَّ حسن – ولم أكن أعرفه من قبل – أن يقرضني ثمن المطبعة دون أن يطلب مني أية ضمانة. فقلت الأفضل أن نرهنها، فوافق بعد إلحاح مني وأعطاني في اليوم التالي (٥٠٠) دينار. وقد وفَّيتها له بعد ذلك بقليل، أي بعد بيع المطبعة نهائياً.

لقد أنعشني هذا أكثر فأكثر وزاد من عنفي في القصيدة، بخاصة وأنني قد اطمأننت، لما حصلت عليه من نقود، على مصير العائلة.

وفي الليل، في سطح الدار، كنت منبطحاً على حصير، وكنت أحدو، كما هي عادتي بما أنظمه من قصيد. كان صوتي رقيقاً جداً ومؤثراً. وما إن وصلت المورد الذي يبدأ بـ ((إيه عميد الدار شكوى صاحب))، حتى سمعت زوجتي وهي خالة فرات تقول ((عوافي أبو فرات)). كنت أظنها نائمة، فوجئت بها تنصت لي، ولا تضنّ عليَّ بالتشجيع. مهما كانت العقبى التي تنتظرها ومن معها!.

وقبل الموعد بيوم أعطيتُها النقود وسفَّرتهم جميعاً إلى ((النجف)) وهيأت ما يلزم لما قد يقع.

وحلَّ اليوم الموعود. كانت القصيدة قد اكتملت، فلبست بدلة جديدة خُطتها للمناسبة، وذهبتُ وألقيتُ القصيدة.

كان المكانُ بغصُّ بالحضور، وقد احتشد الشباب فيه احتشاداً، غير أنَّ أحداً لم يَستعِدْ بيتاً واحداً من فرط الرهبة.

أما (الوتريّ) الممتدح المقصود فكان يتلفت حوله مستغرباً أو كالمُستغرب. خائفاً أو كالخائف. متنصلاً أو كالمتنصل. وأما أقطاب الحكم وكل وجوهه البارزة تقريباً فقد أخِذوا أخذ الذين كفروا!!.

((وأما أنا فقد مضيتُ في الإلقاء حتى النهاية. وبعد أن أكملت مزّقت أوراقي وذريتها أمام الجمهور، ثم غادرت المكان سيراً على الأقدام ومضيتُ إلى المطبعة ((حيث كانت هي مقري بعد سفر العائلة)).

ويختتم القصة:

ومر يومان وثالث ولم يأخذني أحد. وفي صباح اليوم الرابع جاؤوني ففتشوا المطبعة بحثاً عن القصيدة فلم يجدوها ثم اعتقلوني ومكثت في الاعتقال شهراً واحداً. وأطلق سراحي بمناسبة العيد)).

وقد أضاف الجواهري إلى طبعة دار العودة ما يلي:

(وفي معتقلي – في مديرية التحقيقات الجنائية – جاءني وفدٌ من الشباب ومعه ((قصاصات القصيدة)) الممزقة وقد جمعوها من حديقة المسبح حيث أقيم الاحتفال وذلك لغرض مقابلتها، وأذكر أنها ألصقت بعناية، عدا شطر من أبياتها أطارته الريح فأكملته لهم).

مَجَّدتُ فيكَ مَشاعِراً ومَواهبا و قضيْتُ فَرْضاً للنوابغِ واجِبا
والمُبدعينَ ((الخالقينَ)) تنوَّرتْ شتّى عوالمَ كُنَّ قبلُ خرائبا
شرفاً ((عميدَ الدارِ)) عليا رُتبةٍ بُوِّئْتَها في الخالدينِ مراتبا
جازَتْكَ عن تَعَبِ الفؤادِ، فلم يكن تعبُ الدماغ يهُمُّ شهماً ناصبا
أعْطَتْكَها كفٌّ تضمُّ نقائضاً تعيا العقولُ بحلِّها وغرائبا
مُدَّتْ لرفعِ الأفضلينَ مَكانةً وهوتْ لصفعِ الأعدلينَ مَطالبا!
و مضتْ تُحرِّرُ ألفَ ألفِ مقالةٍ في كيفَ يحترمونَ جيلاً واثبا
في حين تُرهِقُ بالتّعنتِ شاعراً يَهدي مَواطنَهُ، وتُزْهِقُ كاتبا
((التَيمسيّونَ!)) الَّذينَ تناهبوا هذي البلادَ حبائباً وأقاربا
والمغدِقونَ على ((البياضِ)) نعيمَهُمْ والخالعونَ على ((السواد!)) زرائبا
والحاضنونَ الخائنينَ بلادَهُمْ حَضْنَ الطيورِ الرائماتِ زواغبا
يَستصرخونَ على الشّعُوبِ لُصوصَها في حينَ يَحتجزونَ لِصّاً ساربا
ويُجنِّبونَ الكلبَ وَخزةَ واخزٍ ويُجهِّزونَ على الجُموعِ مَعاطِبا
أولاءِ ((هاشمُ)) مَنْ أروكَ بساعةٍ يصحو الضميرُ بها! ضميراً ثائبا
فاحمَدْهُمُ أن قد أقاموا جانباً واذمُمْهُمُ أن قد أمالوا جانبا
وتحرَّسَنْ أنْ يقتضوكَ ثوابَها! وتوقَّ هذا ((الصيرفيَّ)) الحاسِبا

***

لله درُّكَ أيُّ آسٍ مُنقِذٍ يُزجي إلى الداءِ الدواءَ كتائبا

سبعونَ عاماً جُلْتَ في جَنَباتها تَبكي حَريباً أو تُسامرُ واصبا

مُتحدِّياً حُكْمَ الطباعِ! ودافعاً غَضَبَ السَّماءِ، وللقضاءِ مُغالِبا!

تتلمَّسُ ((النبضاتِ)) تجري إثرَها خلَجاتُ وجهِكَ راغباً أو راهبا

ومُشارِفٍ! نَسَجَ الهلاكُ ثيابَهُ ألبستَهُ ثوبَ الحياةِ مُجاذِبا

ومُكايِدٍ كَرْبَ المماتِ شركتَهُ - إذْ لم تَجِدْ منجىً - عَناءً كارِبا

و محشرَجٍ وقفَ الحِمامُ ببابِهِ فدفعتَهُ عنه فزُحزِحَ خائبا

كم رُحْتَ تُطلِعُ من نجومٍ تختفي فينا، وكم أعْلَيْتَ نجماً ثاقبا[1]

هذا الشَّبابُ ومِن سَناكَ رفيفُهُ مجدُ البلادِ بهِ يرفُّ ذوائبا

هذا الغِراسُ وملءُ عينكَ قُرّةٌ أنا قطفنا مِن جَناهُ أطايبا

هذا المَعينُ، وقد أسَلتَ نَميرَهُ وجهُ الحياةِ به سيُصبحُ عاشبا

هذي الأكفُّ على الصدورِ نوازِلاً مثلُ الغيوثِ على الزُّروعِ سواكبا

***

أوقفتَ للصَّرعى نهاراً دائباً وسهِرْتَ ليلاً ((نابغيّاً)) ناصبا[2]

وحضَنْتَ هاتيكَ الأسِرَّةَ فوقَها أُسْدٌ مُضَرَّجةٌ تلوبُ لواغِبا

---

[1] البيت والأبيات الأربعة بعده إشارة إلى الجيل الجديد من اطباء العراق الذين هم مدينون للسيد ((الوتري)) بالتعليم والتوجيه.

[2] القطعة حتّى البيت: ((وتعهد الكفن الخضيب..)) إشارة إلى موقف السيد ((الوتري)) المشرّف من ((وثبة كانون)) وشهدائها، وتقديم استقالته وهو في ((الكلية الطبية)) احتجاجاً على اقتحام ((الشرطة)) إياها.

أرَجٌ مـن الـذِكرى يلفُّـكَ عِطْـرُهُ ... ويَزيـدُ جانبَـكَ المُوطَّـدَ جانبـا

ولأنتَ صُنْتَ ((الدارِ)) يومَ أباحَها ... بـاغٍ يُنـازِلُ في الكريهـةِ طالبـا

الغَـيُّ يُنْجِـدُ بالرَصـاص مُزَمْجِـراً ... والرُّشـدُ يُنجِـدُ بالحجـارةِ حاصبا

وَلأنتَ أثخَنْتَ الفؤادَ مـن الأسـى ... للمُثخَنـينَ مِـن الجِـراحِ تعاقُبـا

أعـراسُ مملكـةٍ تُـزَفُّ لمجـدِها ... غُـررُ الشَّـبابِ الى الـتُّرابِ كواكبا

الحاضـنينَ جِـراحَهُمْ وكـأنَّهم ... يَتَحضَّـنونَ خرائـداً وكواعبـا

والصـابرينَ الـواهبينَ نُفوسَـهُمْ ... والُمخجِلـينَ بهـا الكـريمَ الواهبـا

غُـرَفُ الجنـانِ تضَـوَّعَتْ جَنَـبَاتُها ... بصـديدِ هاتيـكَ الجـراح لواهبـا[1]

وبحَشْـرَجاتِ الـذاهبينَ مُثـيرةً ... للقـادمينَ مواكبـاً فمواكبـا

غادى الحيا تلكَ القبورَ وإنْ غـدت ... بالنَّاضـحاتِ مـن الـدّماءِ عواشبا

وتعهَّـد الكَفَـنَ الخضـيب بمثلِـه ... وطـنٌ سـيَبْعَثُ كـلَّ يـومٍ خاضِـبا

***

بغـدادُ كـانَ المجـدُ عنـدَكِ قَيْنـةً ... تلهـو وعُـوداً يَسـتحثُّ الضّـاربا

وزِقـاقَ خَمْـرٍ تسـتَجِدُّ مَسـاحِباً ... وهَشـيمَ رَيْحـان يُـذرّى جانبـا

و ((الجسرُ)) تمنحُهُ العيونُ من المَهـا ... في الناسِـبينَ وشـائجاً ومَناسِـبا

الحمـدُ للتـأريخِ حـينَ تحوَّلَـتْ ... تلـكَ المَرافِـهُ فاسـتَحَلْنَ مَتاعبـا

---

[1] غرف الجنان: يراد بها غرف المستشفى ورحباتها التي ضمت الجرحى والصرعى من شهداء يوم الوثبة.

الشِّعْرُ أصبحَ وهو لُعْبةُ لاعبٍ | إنْ لم يَسِلْ ضَرَماً وجَمْراً لاهبا
والكأسُ عادتْ كأسَ موتٍ ينتشي | زاهي الشبابِ بها، ويمسحُ شارِبا!
و ((الجسرُ)) يفخرُ أنَّ فوقَ أديمِهِ | جثثَ الضَّحايا قد تَرَكْنَ مساحبا!
و على بريقِ الموتِ رُحْنَ سوافراً | بيضٌ كواعبُ، يندفعنَ عَصائبا

***

حدِّثْ عميدَ الدارِ كيفَ تَبَدَّلَتْ | بُؤَراً قِبابٌ كُنَّ أمسِ محارِبا
كيفَ استحالَ المجدُ عاراً يُتَّقى | والمكرُماتُ من الرّجالِ مَعايبا
ولِمَ استباحَ ((الوغدُ)) حُرمةَ من سَقى | هذي الديارَ دماً زكِيّاً سارِبا

***

إيهِ ((عميدَ الدارِ)) كلُّ لئيمةٍ | لا بُدَّ واجدةٌ لئيماً صاحبا
ولكلِّ ((فاحشةٍ)) المَتاعِ دَميمةٍ | سُوقٌ تُتيحُ لها دَميماً راغبا
ولقد رأى المستعمِرونَ فرائساً | منّا، وألفَوْا كلبَ صيدٍ سائبا!
فتعهَّدوهُ، فراحَ طوعَ بنَانِهِمْ | يَبْرُونَ أنياباً لهُ ومَخالبا
أعَرَفتَ مملكةً يُباحُ ((شهيدُها)) | للخائنينَ الخادمينَ أجانبا؟
مستأجَرينَ يُخَرِّبونَ ديارَهُمْ | ويُكافأُون على الخرابِ رواتبا
مُتَنمرينَ يُنَصِّبونَ صُدورهُمْ | مِثْلَ السِّباعِ ضَراوةً وتكالُبا
حتى إذا جَدَّتْ وغىً وتضرَّمتْ | نارٌ تلُفُّ أباعِداً وأقارِبا
لَزِمُوا ((جُحورَهُمُ)) وطارَ حليمُهُمْ | ذُعراً، وبُدِّلَتِ الأسودُ أرانبا

***

إيهٍ ((عميدَ الدارِ))! شكوى صاحبٍ طَفَحَتْ لواعجُهُ فناجى صاحبا

خُبِّرْتُ أنَّكَ لستَ تبرحُ سائلاً عنّي، تُناشدُ ذاهباً أو آيبا

وتقولُ كيفَ يَظلُّ ((نجمٌ)) ساطعٌ مِلءَ العيونِ، عن المحافلِ غائبا

الآنَ أُنبيكَ اليقينَ كما جلا وضَحُ ((الصَّباحِ)) عن العيون غياهبا

فلقد سَكَتُّ مخاطِباً إذ لم أجِدْ مَن يستحقُّ صَدى الشكاةِ مُخاطَبا

أُنبيكَ عن شرّ الطّغامِ مَفاجراً ومَفاخراً ومَساعياً ومَكاسبا

الشّاربينَ دمَ الشّبابِ لأنّهُ لو نالَ من دَمِهِمْ لكانَ الشّاربا

والحاقدينَ على البلادِ لأنّها حَقَرَتْهُمُ حَقْرَ السَّليبِ السّالبا

ولأنّها أبداً تدوسُ أفاعياً منهمْ تَمُجُ سمومَها.. وعقاربا

شَلَّتْ يدُ المستعمرينَ وفرضُها هذي العُلوقَ على الدّماءِ ضرائبا

ألقى إليهمْ وِزْرَهُ فتحمَّلوا أثقالَهُ حَمْلَ ((الثّيابِ)) مشاجبا

وأذابَهُمْ في ((المُوبقاتِ)) فأصبحوا منها ((فُجوراً)) في فجورٍ ذائبا

يَتَمَهَّلُ الباغي عواقبَ بَغْيِهِ وتراهُمُ يَستعجلونَ عواقبا

حتى كأنَّ مصايراً محتومةً سُوداً تُنيلُهُمُ مُنىً ورَغائبا

قد قلتُ لِلشّاكينَ أنَّ ((عِصابةً)) غصَبَتْ حقوقَ الأكثرينَ تَلاعُبا:

ليتَ ((المواليَ)) يغصِبونَ بأمرِهِمْ بل ليتَهم يترسَّمونَ ((الغاصبا))

فيُهادِنونَ شهامةً ورُجولةً ويُحارِبونَ ((عقائداً))! ومذاهبا

***

أُنبيكَ عن شرِّ الطَّغامِ نكايةً بالمؤثرينَ ضميرَهمْ والواجبا

لقدِ ابتُلُوا بي صاعقاً مُتَلهِّباً وقد ابتُليتُ بهمْ جَهاماً كاذبا[1]

حشَدوا عليَّ المُغرياتِ مُسيلةً صغراً لُعابَ الأرذلينَ رغائبا

بالكأسِ يَقْرَعُها نديمٌ مالئاً بالوعدِ منها الحافَتَيْنِ وقاطبا[2]

وبتلكُمُ الخَلَواتِ تُمسخُ عندَها تُلْعُ الرِّقابِ من الظّباءِ ثعالبا!!

وبأنْ أَروحَ ضُحىً ((وزيراً)) مثلَما أصبحتُ عن أمْرٍ بليلٍ ((نائبا))

ظنّاً بأنَّ يدي تُمدُّ لتشتري سَقطَ المتَاع، وأنْ أبيعَ مواهبا

وبأنْ يروحَ وراءَ ظهريَ موطنٌ أسمنتُ نحراً عندَه وترائبا

حتى إذا عجَموا قناةً مُرَّةً شوكاءَ، تُدمي من أتاها حاطبا[3]

واستيأسُوا منها، ومن مُتخشِّب عَنَتاً كصِلِّ الرَملِ يَنفُخ غاضبا

حُرٌّ يُحاسِبُ نفسَهُ أن تَرْعَوي حتّى يروحَ لِمَنْ سواه مُحاسبا

ويحوزَ مدحَ الأكثرينَ مَفاخراً ويحوزَ ذمَّ الأكثرينَ مثالبا!!

حتى إذا الجُنديُّ شدَّ حِزامَهُ ورأى الفضيلةَ أنْ يظَلَّ مُحاربا

حَشدوا عليه الجُوعَ يَنشِبُ نابَه في جلدِ ((أرقطَ)) لا يُبالي ناشبا!

---

[1] الجهام الكاذب: هو السحاب الذي لا يعقبه مطر.

[2] البيت والتاليان له تعريض بالوصي على عرش العراق آنذاك الأمير عبد الإله.

[3] القناة الشوكاء: هي التي يكثر في فروعها وأغصانها الشوك.

وعلى شُبولِ اللَّيثِ خرقُ نعالهم! أزكى من المُترهِّلينَ حقائبا[1]

يتساءلونَ أينزلونَ بلادَهم؟ أمْ يقطعونَ فدافِداً وسباسبا؟

إنْ يعصِرِ المتحكِّمونَ دماءَهم أو يغتدوا صُفْرَ الوجوه شواحبا

فالأرضُ تشهدُ أنَّها خُضِبَتْ دماً منّي، وكان أخو النعيمِ الخاضبا

ماذا يضُرُّ الجوعُ؟ مجدٌ شامخٌ أنّي أظَلُّ مع الرعيَّة ساغبا

أنّي أظَلُّ مع الرعيَّةِ مُرْهَقاً أنّي أظَلُّ مع الرعيَّةِ لاغبا

يتبجَّحونَ بأنَّ مَوجاً طاغياً سَدُّوا عليهِ مَنافذاً ومَساربا

كَذبوا فملءُ فمِ الزّمان قصائدي أبداً تجوبُ مَشارقاً ومَغاربا

تستَلُّ من أظفارِهم وتحطُّ من أقدارِهمْ، وتثُلُّ مجداً كاذبا

أنا حتفهُم ألجُ البيوتَ عليهمُ أُغري الوليدَ بشتمهمْ والحاجبا

خسِئُوا: فَلمْ تَزَلِ الرُّجولةُ حُرَّةً تأبى لها غيرَ الأماثلِ خاطبا

والأمثلونَ همُ السَّوادُ: فديتُهمْ بالأرذلينَ من الشُراةِ مَناصبا

بمُمَلِّكينَ الأجنبيَّ نفوسَهمْ ومُصَعِّدينَ على الجمُوعِ مَناكبا

***

أعلِمتَ ((هاشمُ)) أيُّ وَقْدٍ جاحمٍ هذا الأديمُ تَراهُ نِضواً شاحبا؟

أنا ذا أمامَكَ ماثلاً مُتَجبِّراً أطأُ الطُغاةَ بشِسْعِ نعليَ عازبا

---

[1] يريد الشاعر بشبول الليث أولاده وأطفاله.

وأمُطُّ من شفتيَّ هُزءاً أنْ أرى ... عُفْرَ الجباهِ على الحياةِ تكالُبا

أرثي لحالِ مُزخرَفينَ حمائلاً ... في حينَ هُمْ مُتَكهِّمونَ مَضاربا

لله دَرُّ أبٍ يَراني شاخصاً ... للهاجراتِ، لِحُرِّ وَجْهيَ ناصبا

أتبرَّضُ الماءَ الزُلالَ وغُنيتي ... كِسَرُ الرَّغيفِ مَطاعماً ومَشاربا

أوْصى الظِّلالَ الخافقاتِ نَسائِماً ... ألّا تُبَرِّدَ من شَذاتي لاهبا

ودعا ظلامَ الليلِ أنْ يختطَّ لي ... بينَ النجومِ اللامعاتِ مَضاربا

ونهى طُيوفَ المُغرياتِ عَرائساً ... عنْ أنْ يعودَ لها كَرايَ ملاعبا

لستُ الذي يُعطي الزمان قيادَه ... ويروحُ عن نهجٍ تنهَّجَ ناكبا

آليتُ أقْتَحمُ الطُغاةَ مُصرِّحاً ... إذ لم أُعَوّدْ أنْ أكونَ الرّائبا

وغَرَسْتُ رجليَ في سَعيرِ عَذابِهِم ... وثَبَتُّ حيثُ أرى الدعيَّ الهاربا

وتركتُ للمشتفِّ من أسآرِهم ... أن يستمنَّ على الضّروعِ الحالبا

ولبينَ بينَ مُنافِقٍ متربِّصٍ ... رعيَ الظروف! مُواكباً ومُجانبا

يلِغُ الدِّماءَ مع الوحوشِ نهارَه ... ويعودُ في الّليلِ! التَّقيَّ الراهبا

وتُسيلُ أطماعُ الحياةِ لُعابَهُ ... وتُشِبُّ منه سِنامَهُ والغارِبا

عاشَ الحياةَ يصيدُ في مُتكدِّرٍ ... منها، ويخبطُ في دُجاها حاطبا

حتى إذا زوَتِ المطامِعُ وجهَها ... عنه، وقطَّبتِ اللُّبانةُ حاجبا

ألقى بقارعةِ الطريقِ رداءَه ... يَهدي المُضلِّينَ الطريقَ اللاحِبا!

خطَّانِ ما افترقا، فإما خُطَّةٌ ... يلقى الكَميُّ بها الطُغاةَ مُناصِبا

الجـوعُ يَرْصُـدها.. وإمّـا خطَّـةٌ تجـترُّ منهـا طـاعِماً أو شـاربا

***

لا بُدَّ ((هاشمُ)) والزَّمانُ كـما تـرى يُجـري مـع الصَّـفوِ الـزُّلالِ شـوائبا

والفجـرُ ينصُرُ لا محالـةَ ((ديكَـهُ)) ويُطـيرُ مـن ليـلٍ ((غُرابـاً)) ناعبـا!

والأرضُ تَعْمُرُ بالشُّعوبِ فلن ترى بُومـاً مَشـوماً يَسـتطيبُ خرائبـا

والحـالِمونَ سـيَفْقَهونَ إذا انجَلَـتْ هـذي الطُّيـوفُ خوادعـاً وكواذبـا

لا بُـدَّ عائـدةٌ إلى عُشّـاقِها تلـكَ العهـودُ وإنْ حُسِـبْنَ ذواهبـا

بغداد، عام ١٩٤٩

إليها

تهَضَّمَني قَدُّكِ الأهيفُ	وألهَبَني حُسنُكِ المُترَفُ

وضايَقَني أنَّ ذاك المِشَدَّ يضيقُ به خَصرُكِ المُرهَفُ

وقد جُنَّ ورِكُكِ من غَيظِهِ	سمينٌ يُناهِضُه أعجَفُ

فِداءٌ لعَينَيكِ كلُّ العيون أخالَط جَفنيهِما قَرْقَفُ

كأنّي أرى القُبَلَ العابثاتِ من بينِ مُوقَيهِما تَنطِفُ

ورعشةَ أهدابِكِ المثقلاتِ على فَرْطِ ما حُمِّلَت تَحلِفُ

كما الليلُ صَبَّ السَّوادَ المُخيفَ صَبَّ الهوى شعرُكِ الأغدَفُ

تَلَبَّدَ مِثلَ ظَليلِ الغمام وراحتْ به غُمَمٌ تُكْشَفُ

***

أطارَ الغرورَ نثيرُ الجديلَ على دَورة البَدر إذ يُعقَفُ

و راحَ الحُليُّ على المِعصَمين بأعذبِ ألحانهِ يَعزِفُ

وأوشكَ هذا النسيجُ اللصيقُ بنَهديك من فَرْحةٍ يهتِفُ

وكاد يُذيعُ حديث الجنانِ وأسرارَ كَوثَره المُطرفُ

مُنى النفسِ إنَّ المنى تَرتَمي	على قَدَميكِ وتَستَعطِفُ

وطوعَ يَديك كما تشتهين حياةٌ تَجَدَّدُ أو تَتلفُ

مُنى النفسِ إنّ على وجنَتيكِ من رَغبةٍ ظُللاً تزحفُ

تعاليْ نَصُنْ مقلةً يرتمي	بها شَرَرٌ وفماً يَرجِفُ

ونُطلِــقْ مـــن الأسر رُوحـــاً تجــيشُ في قفـــصٍ مـــن دمٍ ترسِـــفُ
تعـــالي أذُقْـــكِ فكـــلُّ الـــثمار تَـــرفُّ، ونوَّارُهـــا يُقطَـــفُ
صراعٌ يطـــولُ فكـــمْ تهـــدفين إلى الـــروح منـــي وكـــم أهـــدِفُ
إلى الجســم منــكِ، وكــم تَعــرِفين أيــنَ المَحَــزُّ، وكــم أعــرِفُ
ومـا بـينَ هـذينِ يمشي الزمـانُ ويُفنـــي مُلوكـــاً ويَســـتخلِفُ

***

أمـــيلي بصـــدركِ نَبْـــعَ الحيـــاةِ وخـــلِّي فـــماً ظامئـــاً يَرشِـــفُ
وميطـــي الـــرِداءَ عـــن البُرْعُمَـــينَ يَفِـــضْ عَســـلٌ مِـــنهما يَرعَـــفُ
ومُـــرِّي بكفـــي تَشُـــقُّ الطريـــقَ لعاصـــفةٍ بهـــما تعصِـــفُ
أمـــيلي فيَنبـــوعُ هـــذا الجـــمالِ إلى أمـــدٍ ثـــم يُســـتنزَفُ
وهـــذا الشـــبابُ الطليـــقُ العِنـــان ســـيُكْبَحُ منـــه ويُســـتوقَفُ
أمـيلي فَسـيفُ غـدٍ مُصـلَتٌ علينـا، وسـمْعُ القَضـا مُرهَـفُ
عِـــدي ثُـــمَّ لا تُخلِفـــي، فـــالحِمامُ صُـــنوُكِ في العنـــفِ لا يُخلِـــفُ

***

خَـــبِرتُ العنيـــفَ مـــن الطارئـــاتِ مـــا يســـتميلُ ومـــا يقصِـــفُ
وذُقـــتُ مـــنَ الغِيـــد شرَّ السُّـــموم طعْـــماً يُميـــتُ ويُســـتَلْطَفُ
وخضـــتُ مـــن الحُـــبِّ لُـــجِّيَّةً عـــلى مَـــتن جِنيَّـــة أُقـــذَفُ
فـــلا والهـــوى مـــا اســـتَفَزَّ الفـــؤادَ ألطـــفُ منـــكِ ولا أعنَـــفُ

بغداد، عام ١٩٤٩

أطبق دجى

أطْبِــقْ دُجــىً، أطْبِــقْ ضَــبابُ   أطْبِــقْ جَهامــاً يــا سَــحابُ

أطبــق دُخــانُ مــن الضــمير   مُحَرَّقــاً، أطبــق عَــذابُ

أطبــق دَمــارُ عــلى حُمــاةِ دمــارِهم، أطبــق تَبــابُ

أطبــق جَــزاءُ عــلى بُنــاةِ قُبــورِهم أطبــق عِقــابُ

أطبــق نعيــبُ، يُجِــبْ صــداكَ البُــومُ، أطبــق يــا خَــرابُ

أطبــق عــلى مُتَبلِّــدينَ شــكا خُمــولَهمُ الــذُّبابُ

لم يَعرِفــوا لــونَ الســماءِ لِفــرْطِ مــا انحنَــتِ الرقــابُ

ولفــرطِ مــا دِيســتْ رؤوســهمُ كــما دِيــسَ الــترابُ

أطبــق عــلى المِعــزى يُــرادُ بهــا عــلى الجــوعِ احــتِلابُ

أطبــق عــلى هــذي المُســوخ تَعــافُ عيشــتَها الكــلابُ

في كــلِّ جارحــةٍ يلــوحُ لجــارحٍ ظُفُــرٌ ونــابُ

يجــري الصــديدُ مِــن الهــوانِ كأنــه مِســكٌ مُــلابُ

***

أطبــق عــلى الديــدانِ ملَّتهــا فَيافيــكَ الرِّحــابُ

أطبــق عــلى هــذي الوجــوه كأنهــا صُــوَرٌ كِــذابُ

المُخرَســاتِ بهــا الغُضــونُ فــلا ســؤالَ ولا جــوابُ

بُلْهــاً تــدورُ بهــا العيــونُ كــأنَّ صحصَــحَها سَرابُ

مـــلَّ الفـــؤادُ مـــن الضـــمير وضـــجَّ بـــالرُّوح الإهـــابُ

***

أطبـــقْ عـــلى مُتفـــرِّقينَ يَزيـــدُ فُـــرْقَتَهم مُصـــابُ

يتبجَّحـــونَ بـــأنَّ إخـــوتَهم يحُـــلُّ بهـــم عَـــذابُ

نـــدِموا بـــأنْ طلبـــوا أقـــلَّ حُقـــوقهِمْ يومـــاً، فتـــابوا

وتـــأوَّبوا للـــذلِّ يأكـــلُ رُوحَهـــم نِعْـــمَ المـــآبُ!

أطبـــقْ عـــلى هـــذي الكُـــرُوشِ يَمُطُّهـــا شَـــحْمٌ مُـــذابُ

مِـــن حولِهـــا بقـــرٌ يَخُـــورُ، وحولَـــه غَرثـــى سِـــغابُ

أطبـــقْ إلى أنْ ينتهـــي للخـــابطينَ بـــكَ احتطـــابُ

أطبـــق عـــلى مُتَنَفِّجـــينَ كـــما تَنَفَّجـــتِ العِيـــابُ[1]

مســـتنوِقينَ و يـــزأرونَ كـــأنهم أُسْـــدٌ غِـــلابُ

يَزهـــوهمُ عَسَـــلٌ ويُلهـــيهم عـــن العليـــاء صـــابُ[2]

يَمشـــي مِـــن الأمجـــادِ خَلْفَهُـــمُ بِمَيْسَـــرَةٍ رِكـــابُ[3]

---

[1] المتنفج: النافج والنفاج، المتعاظم والمتكبر والمتضخم. والعياب جمع ((عيبة)): السفط توضع فيه الثياب.

[2] زها الشيء الرجل: استخفه واستطاره. والصاب: شجر شديد المرارة.

[3] الميسرة: ضد المعسرة.

فـــاذا التقـــت حَلَـــقُ البطـــانِ وجـــدَّتِ النُـــوبُ الصِّـــعابُ[1]

خَفَقَـــتْ ظِلالُهُـــم ومـــاعوا مِـــن نُعـــومَتِهِم فـــذابوا

ونَجَـــوا بأنفُســـهِمْ وراحـــت طُعمَـــةَ النـــارِ الصـــحابُ

***

أطبـــق دُجـــىً، لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخْفِـــقْ شِـــهابُ

أطبـــق فتحـــتَ ســـماكَ خَلـــقٌ في بصـــائره مُصـــابُ

لا ينفـــتحْ – خوفـــاً عليـــه – مِـــن العمـــى للنـــور بـــابُ

أطبـــق إلى يـــومِ النشـــور ويـــومَ يكتمـــلُ النصـــابُ

أطبـــق دجـــىً حتَّـــى يقـــيءَ خُمـــولَ أهـــلِ الغـــاب غـــابُ

أطبـــق دُجـــىً؛ حتـــى يَمَـــلَّ مـــن الســـوادِ بـــهِ الغُـــرابُ

أطبـــق دُجـــىً؛ حتـــى يُحَلِّـــقَ في ســـماواتٍ عُقـــابُ

غضـــبانَ أنْ لم تحـــم أعشاشـــاً لهـــا طـــيرٌ غِضـــابُ

***

أطبـــق دُجـــىً؛ يَسْـــرَحْ بظلّـــكَ نـــاعماً عـــارٌ وعـــابُ

مِـــن لونِـــكَ الـــداجي رِيـــاءٌو ارتيـــاعٌ وارتيـــابُ

يـــا عِصـــمةَ الجـــاني، ويـــا سرحـــاً تلـــوذُ بـــه الـــذئابُ

[1] حلق البطان: ما يربط به الحزام من آلة وعدة. و ((التقى)): حلق البطان مثل يضرب لعظمة المكروه واشتداده.

يـــا مـــنَ مشـــتْ بـــدمائها فيــــه الخنــــاجرُ والحِــــرابُ

يـــا مـــنْ يضِـــجُّ مـــن الشـــرورِ الزاحفـــاتِ بـــه العُبـــابُ

يـــا مـــنْ تضـــيقُ مـــن الهـــوام الزاحفـــاتِ بـــه الشِّـــعابُ

كُـــن سِـــتْرَ مُجرِمـــةٍ تهـــاوَتْ عـــن جريمتِهـــا الثيـــابُ

***

أطبـــق، فـــأين تفِـــرُّ إنْ تُســـفرْ وينحـــدرِ النِقـــابُ؟!

هـــذي الغَبـــاوات الكريمـــةُ! و الجمـــودُ المُســـتطابُ!

هـــذا النفـــاقُ تَربُّـــهُ صُـــحُفٌ ويُسْـــمِنهُ كِتـــابُ!

أطبـــق دُجـــى، حتـــى تجـــولَ كأنهـــا خيـــلٌ عِـــرابُ

هـــذي المعـــرّات الهِجـــانُ لهـــا لظُلمتِـــك انتســـابُ

***

أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الســـوءاتِ - عاريـــةً - حجـــابُ

أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الأنيـــابِ - مُشْـــحذةً - قـــرابُ

أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الآثـــام - شـــائخةً - شـــبابُ

أطبـــق؛ فأنـــتَ لصِـــبغةٍ منهـــا إذا نصَـــلَتْ خِضـــابُ

***

كُـــنْ سِـــتْرَها لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخفِـــقْ شـــهابُ

بغداد، عام ١٩٤٩

حنين

أحِـــنُّ إلى شَـــبَحٍ يَلْمَـــحُ بعينَــــيَّ أطيافُـــــه تَمْـــرَحُ

أرى الشَّـمسَ تُشْرِقُ مـن وجهـهِ ومـــا بـــينَ أثوابِـــهِ تجـــنحُ[1]

رضيَّ السَـماتِ، كـأنَّ الضَّـمير عـــلى وَجْهِـــهِ أَلِقـــاً يَطْفَـــحُ

كـــأنَّ العبـــيرَ بأردانِـــهِ عـــلى كـــلِّ ((خــاطرةٍ)) يَــنْفَحُ

كـــأنَّ بريـــقَ المُنـــى والهنـــا بعينيـــهِ عـــن كوكـــبٍ يقـــدحُ

كـــأنَّ غـــديراً فُويـــقَ الجبـــينِ عـــن ثقـــةٍ في ((غـــدٍ)) يَنْضَـــحُ

كـــأنَّ الغُصـــونَ عـــلى وَجْنَتيـــهِ يُكِـــنُّ بهـــا نغـــمٌ مُفْـــرِحُ[2]

كـــأنَّ بهامتِـــــه منْبعـــــاً مـــن النُـــورِ، أو جمـــرةً تجـــدحُ

كـأنَّ (فَنَـاراً)) عـلى ((كاهـل)) يُنَـــارُ بـــهِ عـــالَمٌ أفســـحُ

و آخَـــرَ شُـــدَّتْ عليـــه يـــدٌ فـــلا يَسْـــتبِينُ، ولا تُفْـــتَحُ!

***

أحِـنُّ إليـهِ بليـغَ الصُّـمُوت معانيـــهِ عَـــنْ نَفْســـها تُفْصِـــحُ

تَفـايَضَ منـهُ كمـوجِ الخِضَـمِّ أو لحـــنِ ســـاجعةٍ تصـــدَحُ

جَمـالٌ، ولـيسَ كهـذا الجـمال! بـــما بهرَجَـــتْ زينـــةٌ يُصْـــلَحُ

---

[1] جنح يجنح جنوحاً: أقبل.. ومال.

[2] الغضون: جمع غَضْن أو غَضَن، وهو كل تجعد وتثن في جلد أو ثوب أو غيرها.

كــأنَّ الـــدُّهورَ بأطماحِهـــا إلى خِلقـــةٍ مِثْلِـــهِ تَطْمَـــحُ

كـــأنَّ الأمـــورَ بمقياســـهِ تُقـــاسُ فتؤخـــذُ أو تُطـــرحُ

كـــأنَّ الوجـــوهَ عـــلى ضَـــوئهِ تَلـــوحُ فتَحسُـــنُ أو تَقـــبُحُ

***

يُـــداعبُني إذ تَجِـــدُّ الخُطـــوب فـــأمْزَحُ منهـــا كـــما يَمْـــزَحُ

يُشَـــدُّ جَنـــاني بعَزْماتـــهِ و دمعـــي بِبَسْـــماتِهِ يُمْسَـــحُ

و يُـــبْرِدُ نَفسِـــي بأنفاسِـــهِ إذا لَفَّنـــي عاصِـــفٌ يَلْفَـــحُ

و يَطْرُقُنـــي كلَّـــما راودتْ ضَـــميريَ فاحشـــةٌ ترشَـــحُ[1]

وكِـــدتُ أُطـــاحُ بإغرائِهـــا فأحْـــدو ركائِـــبَ مَـــنْ طُوِّحـــوا

فيمشـــي إليَّ وثِقْـــلُ الشُـــكوكِ مُنـــيخٌ عـــلى الـــنَّفْسِ لا يَـــبْرَحُ

وقـــد أوشـــكَ الصَّـــبرُ أنْ يلتـــوي و يكسِـــرَهُ الْمُـــبْهِضُ الْمُـــترِحُ

وحـــين تكـــادُ شِـــعافُ الفـــؤادِ بِســـكِّينِ مُطْمِعـــةٍ تُجْـــرَحُ[2]

وإذْ يُركِبُ النّفسَ – حَـدَّ الـرَّدى – عِنـــانٌ مـــن الشـــرِّ، لا تُكـــبَحُ

و إذْ يَعْصُـرُ القلـبَ حُـبُّ الحيـاة! و كـــابوسُ جِرمانِهـــا الْمُفْـــدِحُ

فيرفـــعُ وجهـــي إلى وجهِـــهِ ويقـــرأ فيـــه ويَسْتَوْضِـــحُ

فـــأرجِفُ رُعبـــاً كـــأنَّ الحشـــا تَخَطَّفَـــهُ أجـــدَلٌ أجلَـــحُ

[1] ترشح: تندى بالعرق.

[2] الشعاف: جمع شعفة، وهي من القلب رأسه عند معلق النياط.

وأفْهَمُ مِنْ نظرةٍ أنَّني لشرٍّ فكَّرْتُ بهِ أصْلُحُ!!
وأنَّ الضميرَ بغيٌّ يجيء لها ((الَّليلُ)) ما ((الصُّبْحُ)) يستقبحُ
وأنْ ليسَ ذلكَ من دَيْدَنِ لِمَنْ هَمُّهُ عالَمٌ أصلَحُ
فأنهالُ لثماً على كفِّهِ وأسألُ عفواً وأسْتَصْفِحُ

***

أحِنُّ لهُ: وكأنَّ الحياةَ خضراءَ مِنْ دونِهِ، صَحْصَحُ[1]
أحِنُّ لهُ: وأحِبُّ الكَرى لسانحةٍ منهُ قد تَسْنَحُ
أحِنُّ لهُ: ليسَ يَقْوى النَّعيمُ وكُلُّ لذاذاتِهِ مُرْبحُ
ولا كلُّ ما نَهَزَ الناهزون مِنَ المُمتِعاتِ وما استَنْزَحوا[2]
ولا كلُّ ما أمَّلَ الآمِلون ولا مُخْفِقٌ منهُ، أو مُنْجَحُ
لِتَعْدِلَ مِنْ ثَغْرِهِ بَسْمَةً بها نَسْمَةُ الخلْدِ تُسْتَرْوَحُ

***

فيا ليتني بعضُ أنفاسِهِ لأمْنَحَ مِنْهُنَّ ما يَمْنَحُ
ويا ليتني ((ذرَّةٌ)) عندَه لأسْبَحَ في فَلَكٍ يَسْبَحُ

بغداد، عام ١٩٤٩

---

[1] صحصح: جمعه صحاصح، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد.

[2] نهز بالدلو في البئر: ضرب بها في الماء لتمتلىء. استنزح من نزح البئر إذا استقى ماءها حتى قل كثيراً أو نفد.

سر في جهادك

إثر فوز حزبِ ((الوفد المصري)) بالانتخابات وإعلان حكومة الوفد إلغاءَ معاهدة (١٩٣٦) البريطانية - المصرية.

سِرْ في جهــادك يَحتَضِــنْك لِــواءُ نشــرتْ عليــه قُلوبَهــا الشُــهداءُ

ضــوَّى بــه عَلَــقُ النجيــعِ كأنــه قــبسٌ يَنــارُ بــهِ الــدُّجى ويُضــاءُ[1]

من عَهد ((زغلـولٍ)) يـرِفُّ وتحتَه لِمُكابــدي وَهــجِ الــوغى أفيــاءُ

لم يُخْــزِه الخلَــفُ الكــريمُ ولا ازدرى الأبنــاءُ مــا شرَعــتْ لهــا الآبــاءُ

فَـدتِ الكرامــةَ بالحيــاةِ، ولم تقُــلْ إنَّ الكرامـــةَ للحيــــاةِ فِــــداءُ

إنَّ الجهـــادَ صــحيفةٌ مخضـــوبةٌ جَمَــدتْ عليهــا للشُّــعوبِ دمــاءُ

هَوَتِ العُروشُ على مَدِبِّ سُطورِها وتصــاغرتْ لحروفِهــا الكُــبراءُ

حمــراءُ صــارخةٌ، ومِــنْ لَمحِ السـنا للتضـــحياتِ فإنهــا بيضـــاءُ

الهاديــاتُ الخــابطينَ تســاقطتْ منهــا عــلى خُطــواتِهمْ أضــواءُ

ضــلُّوا الطريــقَ فأرشَـدَتهمْ هامــةٌ مَنخوبـــةٌ أو إصـــبعٌ جـــذّاءُ

آمنـــتُ بالفـــادينَ.. كـــلُّ بَنِيَّـــةٍ لم تُعلِهـــا أشـــلاؤهُم فَهَبــاءُ

***

أزعــيمَ مصــرَ: وللشُّـعوبِ أمانــةٌ مــا انفــكَّ يحمِــلُ ثِقلَهــا الأمنــاءُ[2]

الصــامِدونَ عــلى وُعــورةِ دَرْبِهــمْ مــا مسَّـــهم ضــجَرٌ ولا إعيــاءُ

والصابرونَ على الجِـلادِ.. وحـولَهم لُمجالِـــدينَ تنـــاثرتْ أشـــلاء

يُنهــى بهــا المُتشــكِّكونَ وإنهــا أمـــرٌ لحُـــرٍّ مُـــؤمنٍ ونِـــداءُ

---

[1] النجيع: الدم النافع الذي به يحيا الإنسان ويصح.

[2] يقصد بزعيم مصر: مصطفى النحاس.

ورسـالةٌ خُلِقَ البليغُ سريرةً ... لأدائِهـا، لا القالـةُ البلغـاءُ

إنَّ الضـميرَ متـى تخـوَّنَ ربَّـه ... شـكٌّ، فقـد خـانَ اللسـانَ أداءُ

***

سرْ في جهادِكَ تمشِ خلفَكَ أُمةٌ ... هـي بـالطّموحِ منيعـةٌ عصماءُ

شرفٌ يمُـدُّ الحـقَّ أنَّ غريمَهـا ... شـاكي السـلاحِ، وأنهـا عَـزلاءُ

عَركت صُروفَ الدهر لم تَبطُشْ بها ... غُمّـى، ولا طاشـتْ بهـا نَعـماءُ

تَرمـي فتـدفعُ بالرُّمـاةِ إصـابةٌ ... وتَزيـدُ في تجـريبهمْ أخطـاءُ

واسـتكملتْ عُـددَ الجهـادِ، فـذادةٌ ... شُـمُّ الأنـوفِ، وقـادةٌ أكفـاءُ

في كـلِّ يـومٍ أبلـجٌ يَنفـي بهـا ... ظُلَـمَ الشُّـكوكِ، وأزهـرٌ وضّـاءُ

يجتَـثُّ مِـن دَغـلِ القـديمِ مُشـذِّبٌ ... فيهـا.. ويحـدِثُ لِبْنـةً بنّـاءُ

وجـزاهُمُ خـيراً جَـزوهُ بمثلـهِ ... وطـنٌ أفـاءَ ظِلالَـه وأفـاؤوا

حتى انتهتْ لكَ فاضطلعت بعبئها ... و لِمثْـلِ مَتنِـكَ كانـتِ الأعبـاءُ

ولمثـلِ نفسـك مـا تُفَـلُّ بمثلـهِ ... عنـد النفـوس عزيمـة ومضـاءُ

فاصـمُدْ فحقُّـكَ قـوةٌ مرهونـةٌ ... الأقويـاءُ إزاءَه ضُـعفاءُ

و انفُـذْ بطعنتِـكَ الصـميمةِ إنهـا ... داءُ البُغـاةِ وإنهـا لَـدواءُ

فلقـد تعجّـبَ مُسـتبيحٌ غاصِـبٌ ... إنَّ المُبـاحَ ذِمـارُهم رُحَمـاءُ

ولقـد تسـاءَلَ مقتَـلٌ مُتكَشِّـفٌ ... للبغـي: أيـنَ الطعنـةُ النَّجْلاءُ

ولقـد تشـكَّت مِـن هـوانِ لـديغِها ... في النـاسِ تلـكَ الحيَّـةُ الرقطـاءُ

* * *

أزعيمَ ((مِصرَ)) متى تُـرِدْ إنطاقَهـا ... تَنطِـقْ وتفصـحْ نقمـةٌ خرسـاءُ

مكبوتـةٌ كالنـارِ أعلَـتْ وَقْـدَها ... وَسْـطَ البيـوتِ مُصـرَّةٌ نكبـاءُ

سبعونَ عاماً و ((الكِنانـةُ)) تَغتلي ... والنيـلُ يَشـخَبُ والجمـوعُ تُسـاءُ[1]

وتُرابـةُ الـوادي تَـئِنُّ وحولهـا ... مرعوبـةً تتجـاوبُ الأصـداءُ

والـذُّلُّ يعتصِرُ النفـوسَ جِرانُـه ... وكـأنَّ حَشرجةَ الصـدورِ رُغـاءُ[2]

وعلى العُيـونِ مِـن المَغاظـةِ جمـرةٌ ... وعلى القُلـوبِ مـن الهـوانِ غُثـاءُ[3]

وثرى دنشـوايَ الخضيبُ تصوبُه ... بالـذكرياتِ غَمامـةٌ سـوداءُ

وصحائفُ التـاريخِ أفسـدَ زهوَهـا ... مـا عـاثَ في جَنَباتِهـا الـدُّخلاءُ

كقـوائمِ الطـاووسِ حـين تَروعُـه ... يَغـدو زُقـاءً ذلـكَ الخُـيَلاءُ[4]

وكـأنَّ مِنطقَـةَ ((القنـالِ)) تلوَّثـت ... بـالواغِلينَ، جَريمـةٌ شـنعاءُ

وكـأنَّ مَغـرِزَ كـلِّ رِجـلٍ مـنهمُ ... صـوتٌ يَصيحُ متـى يـتمُّ جَـلاءُ؟

* * *

---

[1] يشخب بضم الخاء وفتحه: يسيل.

[2] الجران هو في الأصل مقدم العنق من البعير.. ثم استعير للأحمال والأثقال كما هو المقصود هنا لدلالة الأصل عليه إذ كان العنق ومقدمه مركزي الثقل في البدن.. والرغاء صوت الناقة والجمل.

[3] المغاظة: بمعنى الاغتياظ. و ((الغثاء)): هو ما يخالط زبد السيل من زبد الشجر البالي.

[4] الزقاء: الصياح.

سِرْ في جهادِكَ تلقَ حولَك تَرتمي ... ستَّ الجهاتِ لخَصمكَ البغضاءُ
هي خيرُ ما أسدى الطغاةُ وأسلَفت ... كفُّ الغُزاة، وما أفادَ بلاءُ
ومِنَ الصُّدورِ الموغَراتِ ذخيرةٌ ... ومن الذُّحولِ كتيبةٌ شهباءُ[1]
واشددْ جَنانَكَ لا ينلْكَ مُثبِّطٌ ... بالمُغرياتِ، ولا يَخُنْكَ دَهاءُ
واحذرْ: فملءُ ثيابِ خصمِكَ غادِرٌ ... حذِرُ الجنانِ، وكائدٌ مَشّاءُ
بزَّ الثعالبَ في اقتناصِ أخيذِها ... وشأى الذئابَ بما تُساسُ الشاءُ
متنمرٌ يَغشى الضِّعافَ كأنه ... بُمسوحِه مترهبٌ بكّاءُ
يَستلُّ مِن قعرِ النُّفوسِ إباءَها ... و عِمادُ ما تبني الشعوبُ إباءُ
ويُشيعُ فيها اليأسَ أنْ تعلو يدٌ ... من دُونه، أو أنْ يقومَ بناءُ
أو أنْ يدورَ بغيرِ ما يُوحي به ... فَلَكٌ لها، أو أنْ تطولَ سماءُ
أو أنْ تمخضَ عن زعيمٍ بطنُها ... ما لم ((يعمِّدْ)) عندَه الزُّعماءُ

***

((شرَّ البُزاةِ)) قنصتَ، في يقَظاتِه ... خطرٌ، وفي غَفَواتِه إغواءُ[2]
يأتي الحَمامةَ وَكرَها إنْ أخلَدتْ ... ذُعراً، وأنذرَ بالحِمامِ فضاءُ
و استمْتَه شرَّ الظروفِ وقد هفا ... و تلقَّفَتْهُ غابةٌ شَجْراءُ
فتوقَّ أنْ تُرخي يديكَ فلم تَزَلْ ... فيهِ حياةٌ تُختشى وذِماءُ

---

[1] الذحول: الثارات والأحقاد.

[2] شر البزاة: يراد به هنا بريطانيا.

***

أثبتْ كُعُوبَكَ تَغْلِ تحتَكَ ساعةً رمضاءُ، ثَمَّةَ تبرُدُ الرمضاءُ

وتَمَلَّ بالبُرَحاءِ تحمَدْ غِبَّها وتَمُدُّ مِن أنفاسِكَ الصُّعَداءُ

ما أهونَ السرّاءَ إنْ لم تَغْشَها وتُزكِّ طُهْرَ نَتاجِها الضرّاءُ

شرفُ السياسةِ أن تخوضَ غِمارَها مُستبسِلاً، وكذلكَ الهيجاءُ

لو لم يكنْ عُقبى نضالِ مُناضلٍ إمّا، وإمّا.. لم يكنْ زُعماءُ

***

سبحانَ آلاءِ الشُّعوبِ فإنَّها لَتُقَلِّبُ الأيامَ كيفَ تشاءُ

واللهِ في هِممِ الرِّجالِ، وإنْ رمى - رَجْمَ الظُّنونِ - وشعوذَ الجهلاءُ

المحْكِمو أسرِ الشُّعوبِ تبدَّلتْ دُولٌ بهمْ، فإذا هُمُ الأسراءُ

ناموا على الغَبْقِ اللذيذِ وأصبحوا فإذا الصَّبوحُ مدامعٌ ودماءُ

وإذا العبيدُ النائمونَ على العصا ناهُونَ في أوطانِهِمْ أُمراءُ[1]

وإذا وخيزُ الشوكِ يفرُشُ مَلعباً فرشَتهُ أمسِ حديقةٌ غنّاءُ

وإذا بحُكمِ الأخرقينَ كما انبرتْ حمقاءُ تَنقُضُ غزْلَها خرقاءُ

***

يا وفدَ ((مصرَ)) رأيتَ كيف تحوَّلت لِنقيضِها الأسماءُ والأشياءُ؟

---

[1] أمراء: جمع آمر.

أرأيتَ كيف الظلم أثبتَ صورةً لخرافةٍ تَعْيا بها العَنْقاءُ؟

نزلَ ((السَّراةُ!)) على الصعالِكِ عالةً فلهمْ غِذاءٌ عندَهم وكِساءُ

عشرونَ مليوناً عريقٌ مجدُهم للبيضِ مِن خُلفائهم أُجَراءُ

منهمْ وإنْ سُلِخَتْ جلودُ نسائِهم للغانياتِ معاطفٌ وفِراءُ

وبهمْ وإنْ فُجِرتْ عُروقُهم دماً للشاربينَ تفجّرُ الصَّهْباءُ

ومِن الجياعِ وإنْ خوتْ أمعاؤهم للاعبينَ موائدٌ خضراءُ

ومِن البلادِ وإنْ تشرَّد أهلُها حِصنٌ يَقيهمْ غارةً ووِقاءُ

ومِن الشبابِ بمصرَ رَغْمَ أُنوفِهم عمَّن بلندَنَ جزيةٌ وفِداءُ

وكذلكمْ يجزي الحليفُ حليفَه! دُستورُ شرعٍ سنَّهُ الخُلفاءُ!

نِدٌّ يُعاهِدُ نِدَّهُ! ووراءَه قَدَرٌ يُقهقِه ساخِراً وقضاءُ

فإذا تململَ قيلَ بِئسَتْ شيمةٌ طُعنَ الوفاءُ بها، وبئسَ وفاءُ

رُحماكَ تاريخَ الشعوبِ تحدَّنا ما شئتَ، إلاّ أنَّنا بُلَداءُ

***

سِرْ في جهادِكَ علَّ جذوةَ قابسٍ من ((طور سينا)) تقبسُ الصحراءُ

ولعلَّ قافلةً تسيرُ القَهقرى فيها يُبدِّلُ سيرَها حدّاءُ

ولعلَّ مُضطَجَعَ النيامِ تهزُّه كفُّ الصباحِ فيحسرَ الإعفاءُ

ولعلَّ أهلَ الكهفِ يُفرجُ عنهمُ فإذا هُم يَقَظٌ به أحياءُ[1]
أزعيمَ ((مصرَ)) تلفَّتتْ لكِ جيرةٌ رثّاءُ، بادٍ بؤسُها، عجفاءُ
تستاقُها كفُّ الخطوبِ كأنها نَعَمٌ يُراحُ بسرْحِها ويُجاءُ
حُسرتْ عن المرعى وراحتْ ترتعي منها الخطوبُ وتسمَنُ الأرزاءُ
واجتاحَها حبُّ السلامةِ ذِلةً ومِن السلامةِ للشعوبِ وَباءُ
تتدافعُ الشهواتُ بينَ عِصابةٍ وعصابةٍ، وتجاذبُ الأهواءُ

***

أزعيمَ ((مصرَ)) وقد يُنيمُ على الأذى حمدٌ، ويُغري بالخمولِ ثناءُ
ومِن القساوةِ في العتابِ مودَّةٌ ومِن الثناءِ خديعةٌ ورياءُ
وكذا الشعوبُ يَمُدُّ في نَزَواتِها مَلَقٌ، ويُنعِشُ ذُلَّها إغراءُ
لزمتْ جموعُ ((الرافدينِ)) جُحورَها مِثْلَ الأراملِ ضَمَّهُنَّ خِباءُ
وتبنَّتِ الشكوى، فكلُّ سلاحِها عندَ التصادُمِ آهةٌ حَرّاءُ
تلكَ ((العواصمُ)) كانَ سِترٌ تَتقي خُزْرَ العيونِ بهِ وكانَ غِطاءُ
واليومَ وهي على العراءِ كأنها بينَ العوالمِ سَوأةٌ نكراءُ
كانتْ على عهدِ ((البداةِ)) جَنائناً واليومَ وهي بُقَيْعةٌ جرداءُ
يتفيأُ المتحكِّمونَ ظِلالَها والأجنبيُّ.. وأهلُها فقراءُ

---

[1] يقظ: مصدر يراد به الجمع أي إيقاظ

وتـروحُ تستسـقي الغَـمامَ ظـوامىءٌ		في حـــينَ يُغـرِقُ آخـــرينَ المــاءُ
وبحمرةِ ((الدُّستورِ))! تشـقى أُمَّـةٌ		وعليـــهِ يـــبردُ مَعشــرٌ سُـــعداءُ
أُخِذَ ((العبيـدُ))! المُوثقـونَ بحبلِـهِ		وانســـلَّ منـــه عبيـــدهُ الطُّلقـــاءُ
وكـأنَّ ((نِصـفاً)) زبـدةٌ موّاعـةٌ		منـــه، و((نصـفاً)) صـخرةٌ صـمّاءُ

***

لم يبـــقَ شيءُ يســـتفِزُّ مُســـامحاً		لم تبـلُ هـــذي الأمـــةُ السـمحاءُ
زَعَـمَ المـبرأُ حالَهـا أنْ قـد مَشـى		فيهـــا السَّـــقامُ، وأعضــلَتْ أدواءُ
كَــذِباً؛ فعنـــدَ المشـرِقَينِ نظـائرٌ		ممـــا تحِـــسُّ، وعنـــدَه نُظـــراءُ
أُمــمٌ غــزا المسـتعمرون ديارَهــا		ونفوسَـها، وعَتـوا بهـا مـا شـاؤوا
شُرِعتْ لها بِـدعُ الضـلالِ وعُبِّـدتْ		سُـبُلُ الخنـا، واستُحدثَ الـزعماءُ
وتضـافرُ الإقطـاع ينخـرُ صُـلبَها		و الجهـــلُ، والإدقـــاعُ والإثـــراءُ
وتعـــدَّدتْ فيهـا المـذاهبُ ضَـلَّةً		وتفرَّقـــتْ شِـــيعاً بهـــا الآراءُ
وبحالـــكٍ مِـن ليلِهـا كانـتْ يـدٌ		تمتـــدُّ مِـــن تاريخهـــا بيضـــاءُ
وتـروحُ تَمسـحُ كـلَّ مـوطِنِ عِلَّـةٍ		حتـــى يحِـــلَّ محلَّهـــا الإبـــراءُ
لا هُــمَّ جَنِّبنــي الضـلالَ: أأمَّـةٌ		عُقــرُ البطــونِ؟! وأمَّــةٌ عشـراءُ[1]

***

---

[1] عشراء أي ولود.

مُلَّ المُقامُ ((زعيمَ مصرَ)) بموطنٍ صافٍ بهِ سُرّاقُه الخُفراءُ
أصفى، فلا عَودٌ ولا إبداءُ وخوى، فلا دَلَجٌ ولا إسراءُ[1]
وهفا: فَخَيْلُ الحادثاتِ تدوسُه وتدوسُ كلَّ بَطيئةٍ عَجلاءُ
بين اثنتينِ! فساسةٌ قد أُوثِقوا بالأجنبيِّ، وساسةٌ جُبناءُ
و ((مُحايدونَ)) يُفاخرونَ بأنهم عَمّا يَحيقُ بأهلِهِمْ غُرَباءُ
هَوَوا السلامةَ حيثُ كلُّ عشيرِهم صرعى، وكلُّ رفاقِهم أنضاء[2]
و ((مناوشونَ)) يُبادِلونَ خصومَهم غَزَلاً، فلا عَنَتٌ ولا إيذاءُ
و ((مهذَّبونَ)) خُصومةً وطريقةً!! مَرِنونَ في أُسلوبهم ظُرفاءُ!
يَدرونَ من معنى ((السياسةِ)) أنها كأسٌ بها يتقارعُ النُّدماءُ
مُتسامِحونَ يُميلُهم تَرَفُ الصِّبا! وتُشيعُ فيهم رخوَها النَّعماءُ

***

و ((مُخدِّرونَ)) يُسهِّلونَ مهمَّةَ الجرّاحِ ساعةَ تُبترُ الأعضاءُ

و ((مُنفِّسونَ)) كأنهم صَمّامةٌ يَنفي بها ضَغطَ البُخارِ الماءُ
طوراً على المُستعمِرينَ، وتارةً حربٌ على أعدائهم شَعواءُ
يَبغونَ أنصافَ الحُلولِ، وإنَّهم أدرى بأنَّ المنصَفاتِ هُراءُ
متصيدو جاهٍ يرونَ طريقَه أنْ يُجمعَ الدَّهماءُ والوجهاءُ

[1] أصفى: خلا. الدلج: السير من أول الليل، الإسراء: السير عامَّة الليل.

[2] أنضاء: جمع النضو وهو المهزول الضعيف.

فهمُ معَ الغرثـى صَباحاً، غـيرُهم | في الليـلِ سـاعةَ تُسـرجُ الأبهـاءُ
يتعطَّفـونَ عـلى ((السـوادِ)) وإنـه | منهمْ كـما احتكَّـتْ بهـم ((حربـاءُ))
ويُبصبصـونَ لِمُـدقِعٍ، ويمَسُّـهُمْ | ضَرٌّ إذا مـسَّ الـترابَ حِـذاءُ
ويُثرثـرونَ عـنِ الإخـاءِ وحـولهم | خَـوَلٌ أسـارى عنـدهم، وإمـاءُ

***

و ((مظاهرونَ)) على الطغاةِ وإنهم | شُرَطٌ لهـمْ إنْ صرَّحـتْ هيجـاءُ[1]
يتراشقونَ عـلى الرَّخـاءِ كـما رمتْ | بـالورد أترابـاً لهـا غيـداءُ
فـإذا تفجَّـرتِ الجمـوعُ وآذنـتْ | بـالفجرِ تلـكَ الليلـةُ الطَّخيـاءُ
نهضوا لتفريقِ الصُّفوفِ، وأقسموا | أنْ لا يَمَـسَّ الحـاكمينَ بـلاءُ
ثـمَّ ارتقـوْا أدراجَهـا فـإذا بهـم | رغـمَ العبيـدِ!! السـادةُ الـوزراءُ

***

و ((مثقَّفونَ)) ثَنـاهمُ عـن شعبهم | بَيـعٌ يَـدُرُّ عَلَـيْهِمُ وشِراءُ
أعمـتهُمُ عـن كـلِّ قَصْـدٍ شـهوةٌ | ولقـد تحِـسُّ طريقَهـا عَميـاءُ
زوَتِ ((الشبابَ)) عن البلادِ مطامعٌ | مجذومـةٌ، ومنـافعٌ خَسّـاءُ
حتى مـن الألمِ الحبيسِ تصـوَّحتْ | جنبـاتُهُمْ، وتعرّضـتِ السـيماءُ[2]
بئسَ الضُّلوعُ: فلا الرِّماحُ تقصَّفَتْ | فيهـا، ولا عَصـفتْ بهـا الشـحناءُ

---

(1) صرحت: ظهرت.

(2) تصوحت: خلت. السِّيماء: الهيئة والعلامة.

واستسلمَ ((الشعراءُ)) إلّا عُصبةً تُسقى الحميمَ، وأخلدَ ((الأدباءُ))

واستأثرَ ((الفنانُ)) يرسمُ ((بطَّةً)) حسناءَ تمسحُ ريشَها حسناءُ

وتنافسَ ((الفُقهاء)) أيٌّ منهمُ عندَ الصلاةِ الضارعُ البكّاءُ

***

وتغيَّبتْ بينَ السُّجونِ ((عُصارةٌ)) هي في عُيونِ مُسلَّطٍ أقذاءُ

غطَّتْ على فقْرِ ((الرجال)) كما ارتمت في الفقرِ تُزهى ((واحةٌ)) خضراءُ

ومشتْ على البلدِ المُليحِ نسائمٌ من رُوحِهمْ وتساقطتْ أنداءُ

ومَضَوا على النهْجِ السويِّ وإنه في ((الرافدينِ)) لكربةٌ وعَناءُ

وتحمَّلوا دِيةَ الصُّمودِ، وإنها زُبَرُ الحديدِ يجرُّه السجناءُ[1]

حَبسوا ((الضمائر)) أنْ تُلاثَ، كما أبت أكلَ الثُّديِّ على الطَّوى عَذْراءُ

وتنكَّروا للحاكمينَ فهاهمُ أُكُلٌ لسوطِ عَذابهمْ وغِذاءُ

***

ولقد تروعُكَ، حين تنظرُ من ((علٍ)) فيها لأسفلَ، هُوَّة جَوفاءُ

الموتُ يكمُنُ عندَها وتسُدُّها خلَلَ الرمادِ ((الثورةُ)) الحمراءُ

فمُكرشٌ نُفْجُ الحضينِ كمُقْرِبٍ، بادي الوِحام كأنه ((النُّفَساءُ))[2]

---

[1] الزبر: جمع زبرة وهي القطعة من الحديد.

[2] نفج الحضين: عظيم الأرداف. المقرب: المرأة التي قرب ولادها.

ومُصـعلكٌ لِصـقُ الهـوانِ كـأنما قذفتـهُ مِـن أحشـائِها الغـبراءُ[1]

وشواحبٌ ضُنكُ العظام خـدودُها وكـأنهنَّ بـما نُـزِفنَ خَـواءُ[2]

ولواهـبٌ حُمْـرُ الخـدودِ كـأنما فـيهنَّ مـن شُربِ الـدِّماءِ حَيـاءُ

ومكـافؤون عـلى الجرائم خـيرَ مـا يُجـزى الكـريمُ! لأنهـمْ قُرَبـاءُ

ومزامِلـو قعـرِ السُّـجونِ كرامـةً ويُعـذَّبونَ لأنهـمْ كُرَمـاءُ

بغداد، عام ١٩٥٠

---

[1] لصق الهوان: أي ملازم الهوان.

[2] الضنك: جمع ضنيك وهو الضيق الدقيق.

الفهرست

ملحق للباحثين

طبعات ديوان الجواهري

١- حلبة الأدب (أول مجموعة في العشرينات).

٢- طبعة ١٩٢٨.

٣- طبعة ١٩٣٥.

٤- طبعة ١٩٤٩.

٥- طبعة ١٩٥٠.

٦- طبعة ١٩٥٣.

٧- طبعة ١٩٥٧.

٨- طبعة ١٩٦٠.

٩- طبعة ١٩٦١.

١٠- بريد الغربة.

١١- طبعة ١٩٦٧.

١٢- طبعة ١٩٦٨.

١٣- طبعة ١٩٦٩.

١٤- خلجات ١٩٧١.

١٥- بريد العودة.

١٦- طبعة وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٧٣ - ١٩٨٠.

١٧- طبعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

١٨- طبعة دار ((العودة)) ١٩٨٢.

١٩- مختارات ((الجواهري في العيون من أشعاره)) - دار ((طلاس)) ١٩٨٦.

الجزء الثالث

القصيدة	المرجع وتأريخ النشر
ستالينغراد	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٠١ في ٢١/ ٢/ ١٩٤٣، ٥ ج٢، ١٢ ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢، ١٩*.
يوم الجيش الأحمر	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٠٣ في ٢٦/ ٢/ ١٩٤٣، ١٦ ج٣، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.
عالم الغد	جريدة "الرأي العام" (نشرت قطعاً متلاحقة – الأولى في العدد ٨٤٢ في ١٩/ ١٠/ ١٩٤٣ والأخيرة في العدد ٩١٧ في ٢٢/ ١/ ١٩٤٤)، جريدة "الجمهورية"/ الملحق الأسبوعي ابتداءً من العدد ٢٠٠٤ عام ١٩٧٤، ١٦ ج٧، ١٨ ج٤.
تونس	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٣٣ في ٢٦/ ٥/ ١٩٤٣، ٤ ج١ (كاملة)، ٩ج٢، ١١، ١٢ ج١ (غير كاملة)، ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
أمم تجد ونلعب	جريدة "الرأي العام" العدد ٦٠٤ في ٧/ ٧/ ١٩٤٢ (قطعة منها)، العدد ى١٠٠١ في ٦/ ٥/ ١٩٤٤ (كاملة)، ٤ ج١، ٨ج١، ١٣ ج٢، ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ج٢، ١٩.
نشيد العودة	جريدة "الرأي العام" العدد ١٠٠٦ في ١٢/ ٥/ ١٩٤٤ بعنوان "١١ آيار ١٩٤٤ نشيد العودة"، ١٦ ج٣، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.

إلى الرصافي	جريـدة "الـرأي العـام" العـدد ١٠٠٨ في ١٥/ ٥/ ١٩٤٤ والعـــدد ١٠١٩ في ٢٧/ ٥/ ١٩٤٤، ٦ج٣، ٨ج١، ١١، ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
الأصيل في لبنان	٢١/ ٨/ ١٩٤٤، ٥ج٢، ١٢ ج١، بعنوان "الأصيل في دجلة" ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
أبو العلاء المعري	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١١٢١في ٥/ ١٠/ ١٩٤٤، ٤ج١، ٧، ٩ج٢، ١١، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٢، ١٩.
أحييك طه	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١١٥٠ في ١٣/ ١١/ ١٩٤٤، ٤ ج١، ٩ج٢، ١١، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.
جمال الدين الأفغاني	جريدة ((الرأي العام)) العـدد الخـاص ١١٧٥ في ١٦/ ١٢/ ١٩٤٤، ٤ج١، ٧، ٩ ج٢، ١١، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
يافا الجميلة	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٢٢٨ في ١٦/ ٣/ ١٩٤٥، ٤ج١، ١٦ ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٢، ١٩.
ألقت مراسيها الخطوب	جريـدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٢٧٧ في ١٧/ ٥/ ١٩٤٥ بعنـوان ((يـوم٨ مـايس أو الجيـل الجديـد))، ١٤، ١٦ ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٣.
طرطرا	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٤٨٤ في ٢٤/ ٣/ ١٩٤٦، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ذ٨ج٢، ١٩.

ذكرى وعد بلفور	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٣٧٢ في ٤/ ١١/ ١٩٤٥، ٤ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
ذكرى أبو التمن	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٤٢٢ في ١٦/ ١/ ١٩٤٦، ٤ج١، ٧، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢،١٩.
دجلة في الخريف	جريـدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٤٢٤ في ٩/ ١/ ١٩٤٦، ٤ج١، ٧، ٩ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
الجيل الجديد	جريـدة ((الـرأي العـام)) العـدد١٤٥٥ في ١٧/ ٢/ ١٩٤٦ بعنوان ((ياأيها الجيل الجديد))، ١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
إلى الوفد الرياضي الإيراني	جريـدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٤٩١ في ٢/ ٤/ ١٩٤٦، ١٤،١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٢.
أرج الشباب	جريدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٥٠١ في ١٤/ ٤/ ١٩٤٦، بعنـوان ((إلى أشـبال اليـوم وأسـود الغـد)) ١٤، ١٦ج٣،
إلى المناضلين	جريـدة ((الـرأي العـام)) العـدد ١٥١٧ في ٢/ ٥/ ١٩٤٦، ٥ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٢، ١٩.
عمر فاخوري	٤ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢، ١٩.
أرشد العمري	١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
ذات الحجاب	مجلة ((عالم الغد)) العـدد ١٧ في ١٥/ ١٠/ ١٩٤٦، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.

أندونيسيا المجاهدة	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٣٦ في ٦/ ٢/ ١٩٤٧، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.
أخي الياس	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٥٢ في ٢٥/ ٢/ ١٩٤٧، ٥ج٢، ٩ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
اليأس المنشود	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٥٣ في ١٧/ ٢/ ١٩٤٧ بعنوان ((اليأس المنشود أو فلسطين بين العرب والصهاينة)) (القسم الأول منها)، مجلة ((عالم الغد)) العددان ٢٣ و ٢٤ في تشرين الأول ١٩٤٧، ٥ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٣،
يا بنت رسطاليس	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٦٤ في ٢٨/ ٤/ ١٩٤٧، ٥ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢.
عدنا وقوداً	٤ج١، ٧، ٩ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
المقصورة	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٩١٠ في ١١/٨/١٩٤٨، ٦ج٣، ٨ج١، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢، ١٩.
عند الوداع	قطعة من المقصورة، ١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
مقطعات من لندن	١٦ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
آمنت بالحسين	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٢٢٩ في ٣٠/ ١١/ ١٩٤٧، ٤ج١، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
ناغيت لبنانا	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٢٣٢ في ٣/ ١٢/ ١٩٤٧، ٦ج٣، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.

الشهيد قيس	جريدة ((الرأي العام)) في ٢٨/ ١/ ١٩٤٨، ٥ج٢، ١٣ ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٢.
قف بأجداث الضحايا	جريدة ((صدى الدستور)) العدد ٢٠ في ٢٠/ ٢/ ١٩٤٨، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.
أخي جعفر	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٨٣٦ في ١٥/ ٢/ ١٩٤٨، ٤ج١، ٧، ٨ج١، ١١، ١٢ج١، ١٦ ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢،
يوم الشهيد	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٨٧١ في ٢٨/ ٣/ ١٩٤٨، ٥ج٢، ١٢ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٤، ١٨ج٢، ١٩.
دم الشهيد	جريدة ((الرأي العام)) العدد الخاص بوثبة كانون ١٩٤٨، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.
ذكريات	جريدة ((الرأي العام)) العدد الخاص بمناسبة أربعين الشهيد جعفر الجواهري، ١٦ ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢.
عرت الخطوب	جريدة ((الحضارة)) العدد ٦٤ في ٢٤/ ٧/ ١٩٤٨ بعنوان ((عرت الخطوب))، جريدة ((العصور)) العدد ٣٩ في ٢٤/ ٧/ ١٩٤٨، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
يا ثمر العار	جريدة ((الحضارة)) العدد٦٥ في ٣١/ ٧/ ١٩٤٨، ١٦ج٣، ١٨ج٢.
فلسطين والأندلس	جريدة ((الحضارة)) العدد ٦٥ في ١٣/ ٧/ ١٩٤٨، ١٦ج٣.
فلسطين	٤ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٢.
أطل مكثاً	٥ج٢، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.

باريس	جريدة ((الحضارة)) عام ١٩٤٨ (قسم منها))، جريدة ((الثورة)) (كاملة) في الأعداد ١١١٩ في ٢٠/ ٤/ ١٩٧٢ و ١١٣٠ في ٤/ ٥/ ١٩٧٢ و ١١٣٦ في ١٠/ ٥/ ١٩٧٢. ١٤، ١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٢.
أنيتا	٥ج٢، ١٢ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٢، ١٩.
شهرزاد	١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٢، ١٩.
ذكريات	١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٣، ١٩.
فراق	١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٣، ١٩.
وداع	١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٣، ١٩.
برم بالشباب	٥ج٢ بعنوان ((برمت))، ٨ج١، ١٦ج٣، ١٧ج٥، ١٨ج٣.
هاشم الوتري	٥ج٢ بعنوان ((إلى الدكتور الوتري))، ٧ بعنوان ((إيه عميد الدار))، ١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٣، ١٩.
إليها	٥ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٣، ١٨ج٣.
أطبق دجى	٥ج٢، ٧، ٨ج١، ١٠، ١١، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج١، ١٨ج٣، ١٩.
حنين	٤ج١، ٩ج٢، ١٠، ١١، ١٣ج٢، ١٦ج٣، ١٧ج٢، ١٨ج٣،
سر في جهادك	جريدة ((العالم العربي)) العدد ٧١٥٧ في ٤/ ١٢/ ١٩٥٠ ، ٦ج٣، ١٣ج٢، ١٦ج٤، ١٧ج١، ١٨ج٣.

يا دجلةَ الخيرِ يا أُمَّ البساتينِ ... حييّتُ سفحَكَ عن بعدٍ فحييّني

يا أُمَّ بغدادَ، في ظَرفٍ ومن غَنجٍ ... مشى التبغددُ حتى في الدهاقينِ

يا أُمَّ تلكَ التي من "ألفِ ليلتِها" ... للآنَ يعبقُ عطرٌ في التلاحينِ

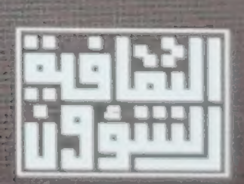
يا مستجمَّ النُّواسيِّ التي لبستْ ... به الحضارةُ ثوباً وشيَ هارونِ

الغاسلَ الهمَّ في ثغرٍ، وفي حَبَبٍ ... والملبسَ العقلَ أزياءَ المجانينِ

والساحبَ الزقَّ يأباهُ ويُكرهُهُ ... والمنفقَ اليومَ يُفدى بالثلاثينِ

والراهنَ السابريَّ الخزَّ في قدحٍ ... والملهمَ الفنَّ من لهوٍ أفانينِ

والمسمعَ الدهرَ، والدنيا، وساكنَها ... قرعَ النواقيسِ في عيدِ الشعانينِ



وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية
طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية
info@darculture.com
سعر النسخة : 8000 IQD